

من المسرح العالمي

١٤٨

جريمة قتل في الكاتدرائية

تأليف : ت . س . اليوت

ترجمة وتقديم : صلاح عبد الصبور

مراجعة : د . أمين العيوطي

تصدر عن
وزارة
الإعلام
الكويت

١٤٨



من المسرح العالمي

جريمة قتل في الكاتدرائية

تأليف : ت. س. اليوت
ترجمة وتقديم : صلاح عبد الصبور
مراجعة : د. أمين العيوطي

تصدر عن : وزارة الإعلام الكويت

مقدمة بقلم صلاح عبد الصبور

ت.س. اليوت ومسرحه الشعرى

١ ـ لوحة حياة

★ عام ١٨٣٤

نزح كاهن بروتستانتى ينتمى الى طائفة الموحدين ، واسمه « وليم جرينليف اليوت » من بوسطن في منطقة « نيو انجلند » الى قلب القارة الامريكية ، واختار مدينة « سانت لويس » مستقرا له ٠

ولا بد لفهم النزوح من العودة الى استجلاء الواقع الامريكى فى ذلك الزمان ٠ لقد كانت منطقة نيو انجلند ، على الساحل الشمالى الشرقى للولايات المتحدة هى موطن الثقافة والارستقراطية ، وما يتبعهما من أنماط للحياة تتفاوت بين الحكمة والتكلف ، وكانت بوسطن ، بمجاورتها لكامبريدج على نهر تشارلز ، التى توجد فيها جامعة هارفارد هى العاصمة الثقافية لينوانجلند ومن ثم فهى العاصمة الثقافية للولايات المتحدة ٠

أما سانت لويس ، فهى فى غرب الوسط ، وهى مجرد محطة تجارية تفتح الطريق الى الغرب الذى لم يكن قد اندمج فى البنيان الامريكى ، او استغلت ثرواته واراضيه الشاسعة ٠ ولذلك فلم يكن عجيبا ان يجيب الكاهن حين سأله احدهم عن مكانه أو مكانته فى سانت لويس :

« أنا هنا مثل شلن فضى بين بنسات من النحاس الاحمر »

ولقد عمل الكاهن النازح بالتعليم ، فأنشأ مدرسة اليوت فى سانت لويس ، ثم أضاف اليها معهد واشنطن ، ونما المعهدان تحت رعايته حتى اصبحا « جامعة واشنطن » ، وهى الجامعة الكبرى فى ولاية ميسورى وعاصمتها (سانت لويس) الآن ، ومنذ ذلك الزمان ٠ ولقد مات الكاهن النازح فى عام ١٨٨٧ وهو مدير لهذه الجامعة ٠ ولذلك فان هذه الجامعة لا تذكر الا وذكر معها اسم منشئها « وليم جرينليف اليوت » ٠

★ عام ١٨٨٨

في ٢٦ سبتمبر من هذا العام ، ولد توماس ستيرنز اليوت ، الشاعر الذى عرفه العالم فيما بعد بمختصرات حروف اسميه الاولين فضلا عن اسم الاسرة : ت. س. اليوت .

كان توماس حفيد الكاهن النازح ، ورغم أن الاسرة حملت منذ ثلاثة قرون تقاليد الانتماء الى الثقافة الا ان أباه « هنرى » بن « وليم جرينليف اليوت » آثر العمل بالصناعة ، فأقام ورشة لصناعة الطوب المضغوط .

ولقد جاء الشاعر باسم « ستيرنز » من أمه . فهي تنتمي الى اسرة من اسر نيوانجلند المسماه بهذا الاسم . وكان هنرى لم يجد من بين أهل سانت لويس من يستحق مصاهرته ، فرجع الى موطنه الاول زائرا ، واختار هذه المرأة من بين بنات نيو انجلند ، وعاد بها الى سانت لويس .

كانت « شارلوت » امرأة ولودا ، ولدت سبعة اطفال آخرهم « توماس » . وكانت ايضا محبة للادب ، شاعرة على نمط شاعرات عصرها ، فنظمت قصيدة طويلة عن « سافونارولا » الراهب الايطالي الثائر ، وكتبت في نثر متكلف سيرة حميها الكاهن منشيء جامعة سانت لويس .

كانت اسرة « اليوت » اذن من أسر نيوانجلند ، ثم سانت لويس العريقة ، ومما يجدر ذكره ان جون آدامز ثاني رئيس للولايات المتحدة كان ابن عم أبي الكاهن وليم اليوت ، وان اليوت الاول وآدامز الاول كانا أخوين .

★ عام ١٩٠٥

بعد التعليم الاولى والثانوى في سانت لويس أرسل توماس اليوت ابن السابعة عشرة الى هارفارد . وقضى السنة الاعدادية في اكاديمية ميلتون ، ثم أتم دراسة البكالوريوس في هارفارد في ثلاث سنوات ، وهي مدة قصيرة تشي باجتهاده ودأبه . وكان من اساتذته في هارفارد نفر من اللامعين منهم الفيلسوف الاسباني المتأمرك جورج سانتيانا ، والفيلسوف الامريكي وليم جيمس ، والناقد ارفنج بابيت ، واخيرا فيلسوف انجليزى شاب في آخر عشريناته هو برتراند راسل .

فتن اليوت في هذه الفترة ببايرون ، ثم تحول الى آل براوننج « روبرت واليزابيث » ، لكنه مالبث ان ضاق بالشعر الانجليزى كله ، واقبل على قراءة الشعر الفرنسى ، ثم هـام حبا بالشـاعر الايطـالي دانتي ، وتعلم من اجله الايطالية مستعينا بترجمـة انجليزية نثـرية للكوميديا الالهية ٠

وقد التقى اليوت بالحركة الرمزية الفرنسيـة من خلال كتـاب وجده في مكتبة هارفارد ٠ وكان هذا الكتاب هو الحـركة الـرمزية في الادب لارثر سيمونز طبعة لندن عام (١٩٠٢) ٠ وقاده هذا الكتاب الى قـراءة رامبو وفيرلين ، ثم الى الشـاعر الفرنسى الذى تـرك في نفسه اكبر الاثر ، وهو « جيل لافورج » الذى مات في عام ١٨٨٧ وهو في السابعة والعشرين من عمره ، تاركا ثلاثة مجلدات من الشعر ، قال اليوت فيما بعد انه كان أول امريكى قرأها ٠

★ عام ١٩١٠

في آخر هذا العام اتم اليوت دراسة الماجستير التي تستغرق سنة واحدة ٠ وكان طيلة هذا العام حائرا بين الشعر والفلسفة ، وبعدها قرر السفر الى باريس ، وهناك سمع بعض محاضرات للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون ٠ والتقى بآلان فورنييه الكـاتب الفرنسى النابغة الذى مات في شبابه محاربا في عام ١٩١٤ بعد ان كتب رواية واحدة ، ولقد حثه فورنييه على قراءة بول كلوديل وانـــدريه جيدودستويفسكى ٠

وفي باريس ساكن اليوت طالب طب يدعى « فردينال » في نفس البنسيون ، ومات فردينال في الحرب عام ١٩١٥ ، واليه اهدى اليوت الطبعة الاولى من مجموعته « بروفروك وملاحظـات اخرى » شافعـا الاهداء باسطر من مطهر « دانتي » تقول :

« كيف تستطيع ان تفهم مقدار الحب الذى يدفئنى تجاهك »

« الحب الذى جعلنى أنسى الزهو »

« وأعامل الاشباح كأنها الحقيقة »

وفكر اليوت في هذا الزمن ان يتحول الى الكتابة بالفرنسية ، كما فعل مواطنه الامريكى « جوليان جرين » فيما بعد ٠ ولكنه قاوم هذا الاغراء ، وعاد الى هارفارد بعد عام واحد ليستكمل دراسة الفلسفة ، وليـوثق صلته باستاذه راسل ٠

★ عام ١٩١٢

اليوت في هارفارد بعــد غربته الفرنسية القصيرة ، يقــرأ في الفلسفة ، ويعد لدرجة الدكتوراة فيها ، ويكتب واحدة من أهم قصائده وهي : « أغنية حب ج ٠ الفريد بروفروك » ٠

★ عام ١٩١٤

في اواسط هذا العام حصل اليوت على منحة من جامعة اوكسفورد لاتمام رسالته للدكتوراة ، فقصد الى انجلترا ٠ وفي ٢٢ سبتمبر التقى في لندن بالشاعر الامريكي المهاجر عزرا باوند ٠ وكان قد ارسل اليــه من قبل بالبريد مخطوطة قصيدته بروفروك فأعجب باوند بها ، وبعث بها الى هارييت مونرو محررة مجلة « الشعر » التي تصدر في شيكاغو ٠ والتي كان هو مراسلها بلندن ، مرفقا لها بتعليق يقول فيه « هذه أفضل قصيدة كتبها أمريكي فيما أرى ، وارجو الا تكــون فريدة ، وان يكــون للشاعر غيرها » ٠

شجع باوند اليوت على الاقامة في انجلترا رغم انه ضاق سريعــا باكسفورد وجوها الكئيب ، وشجعه ايضا على ان يتزوج من الانجليزية « فيفين هاى وود » ٠

★ عام ١٩١٥

في ٢٦ يونيو عام ١٩١٥ تزوج اليوت من فيفين هاى وود ، وكان كلاهما في السابعة والعشرين من عمره ، وان كانت تكبره بشهور كان أبو فيفين رسام بورتريه محترفا ، نال شهرة برسم وجوه الطبقة العليا، واعتزل العمل حين جمع من المال ما يؤمن له حياة مستقرة ٠

وكانت فيفين فتاة جذابة المنظر ، ضئيلة الحجم ، مليئة بالحيوية ذات شعر بني غامق ، وعينين زرقاوين ، وكانت الى ذلك متقلبة المزاج ميالة للثناء ، عرضة لنوبات من الغضب واليأس ٠

لم يشهد احد من اسرتيهما الزواج ، فقد كانت اسرة الزوج على ضفة المحيط الاخرى ، بينما انكرت اسرة فيفين زواج ابنتها من طالب فلسفة امريكي لا دخل له الا منحة الجامعة ٠

وفي نفس الشهر ظهرت في مجلة الشعر التي تصدر في شيكاغو قصيدة « بروفروك » التي كان باوند قد ارسل بها الى السيدة «مونرو»

وعمل اليوت منذ بدء العام الدراسي معلما في مدرسة ابتدائية بأجر سنوى قدره ١٤٠ جنيها زيادة على العشاء والشاى • وكان يعلم الفرنسية والحساب والتاريخ والرسم والسباحة •

كان الزواج فاشلا ، وكان اليوت يتحمل نوبات غضب زوجته بصبر بالغ • والتقى اليوت باستاذه القديم برتراند راسل الذى كان قد عاد من الولايات المتحدة ليستأنف نشاطه الفلسفي والادبي في لندن • وتذكر راسل تلميذه القديم ، وحدب عليه ، ودعاه للاقامة في بيته الكبير هو وزوجته •

ولعلنا نعلم ان راسل سليل اسرة انجليزية عريقة ، وكان في ذلك الوقت شابا وفيلسوفا لامعا ، ورياضيا مرموقا ، واستاذا جامعيا عالي القدر ، وصديقا لمجتمع لندن المثقف كله •

وقدم راسل تلميذه القديم الى وجوه اهل الفن والادب في لندن ، وصار اليوت ضيفا مرحبا به فرجينيا وولف وزوجها لينارد وولف ، وتعرف باختها فانيسيا الرسامة ، وزوجها كلايف بيل مؤرخ الفن الشهير ، وبألدوس هكسلي وزوجته مارى ، وكاتب التراجم ليتون ستراتشى وغيرهم •

كان هؤلاء العلية يرحبون باليوت بينهم ، ولكنهم يتوجسون خيفة من وجود زوجته ذات الطبع النارى والغضب المتفجر ، وقد ظل اليوت يقيم ببيت راسل شهورا حتى دب الخلاف بينهما لما ظنه اليوت من علاقة بين زوجته وبين راسل •

★ عام ١٩١٦

اتم اليوت كتابة رسالة الدكتوراة بعنوان **المعرفة والتجربة عند ف• برادلي** وبرادلي (١٨٤٦ ــ ١٩٢٤) فيلسوف انجليزى من ألمع فلاسفة العصر الحديث •

وارسل اليوت الرسالة الى هارفارد ، وقبلتها الجامعة ، وحدد اليوت موعد السفر ، وحجز بطاقتي سفر الى امريكا له ولزوجته ، ولكن الزوجة رفضت السفر متذرعة بالخوف من غواصات الالمان التي كانت تذرع المحيط الاطلسى ، فالغى الشاعر السفر ، وطوى صفحة درجة الدكتوراة الى الابد ، وان كانت الرسالة قد طبعت ككتاب فيما بعد •

انتقل اليوت الى العمل بمدرسة اخرى بأجر أعلى • وعمل فى الوقت ذاته مساعدا لتحرير مجلة **ايجويست** بمكافأة قدرها ستة وثلاثون جنيها شهريا ، كان نصفها تقريبا يدفعه باوند من جيبه الخاص •

★ عام ١٩١٧

التحق اليوت كاتب حسابات ببنك اللويـدز ، وكان عمله هو مراجعة الحسابات الواردة للبنك من العملاء الاجانب ، وقد ساعدته معرفته باللغات الفرنسية والالمانية والايطالية فضلا عن قليــل من الاسبانية والدانمركية والسويدية •

وفى هذا العام ظهرت مجموعته **بروفروك وملاحظات اخرى**

★ عام ١٩١٨

حاول اليوت التطوع للحرب ، بعد ان دخلتها الولايات المتحدة ، ولكن لياقته البدنية خانته ، اذ ردته هيئة الكشف على المتطوعين ، حين وجدت لديه فتاقا مزمنا ، وتقدم للعمل فى المخابرات ، ولكن الهدنة حالت دون ذلك اذ استغرق هذا السعى شهورا طويلة •

★ عام ١٩١٩

أصبح اليوت من كتاب الملحق الادبى لصحيفة « التــايمز » اللندنية ، وذلك شرف كبير • وقبل ذلك كان قد وصله نعى أبيه ، وانتابه الحنين لرؤية أمه ومسقط رأسه ، ولـكن صحة فيفين كانت لا تتحمل السفر •

وترقى اليوت فى عمله بالبنك ، حتى رشحته ادارة البنــك « رئيس فرع » ، وتوالى نشر شعره فى المجلات ، وظهرت طبعتان انجليزية وامريكية لمجموعته **أسفار** •

★ عام ١٩٢٢

قضى اليوت بضعة أيام فى عطلة فرنسية وحيدا ، ثم عاد الى لندن ليسلم مخطوطه قصيدته **الارض الخراب** لصديقه باوند ، الذى أجرى فيها عديدا من التعديلات ، فمحا كثيرا من سطورها ، وعدل بعض الصياغات والكلمات ، ثم طبعت القصيدة فى أواخر العام ، وكان نجاحها صاعقا ، واصبح اليوت بعد نشرها من ألمع شعراء العصر •

★ عام ١٩٢٥

كان اليوت قد أصبح محررا لمجلة أدبية **المعيار** ، وتحول من العمل فى بنك اللويدز الى دار النشر « فابر وفابر » ، وكانت مقالاته النقدية الهامة تتوالى مرسية مكانته كناقد جديد الرؤية ، كما نشر قصيدته **الرجال الجوف** التى توقف بعدها عامين كاملين عن كتابة الشعر ، وظن انه لن يعود الى الشعر ثانية فى مستقبل ايامه ٠

★ عام ١٩٢٧

تحول اليوت عن البروتستانتية الى الكاثوليكية ، وفى كتابه النثرى **من أجل لانسلوت اندروز** الذى صدر فى عام ١٩٢٨ ، أعلن اليوت أنه :

« كاثوليكى فى العقيدة ، كلاسـيكى فى الادب ، ملكى فى السياسة »

أما قمة مشاعره الدينية ، فقد تبـدت فى قصيدته الكبرى « اربعاء الرماد » التى عاد بها الى الشعر بعد انقطاع طويل ، واهداها الى زوجته فيفين كشارة تحية ووداع اذ كان قد أيقن بفشل حياته الزوجية ٠

ولقد طبعت القصيدة فى عام ١٩٣٠ ٠

★ عام ١٩٣٢

تلقى اليوت دعوة للمحاضرة فى هارفارد ، وها هو يعود اليها بعد ثمانية عشر عاما ، ليقيم فيها ستة أشهر ، وفى نيته حين يعـود ان ينفصل عن زوجته فيفين ، اذ أنه قيد نفسه بقيد الكاثوليكية الذى لا يبيح الطلاق ٠

جمع اليوت محاضراته فى هارفارد فى تلك الفترة فى كتاب **فائدة الشعر وفائدة النقد** ، واقام فى بيت من بيوت الجامعة يدعى « بيت اليوت » نسبة الى أحد أبناء عمومته الـذى كان مديـرا لهـذه الجامعة يوما ما ٠

قال فى افتتاح هذه المحاضرات :

« من المرغوب فيه ، من وقت لوقت ، كل مائة عام أو زهائها ،

ان يظهر ناقد لكى يعيد عرض ماضينا الادبى ، ويعيد ترتيب الشعر والشعراء • »

وكان كأنه يعنى نفسه بهذا المطلع المثير •

وحاضر اليوت كذلك فى جامعات فرجينيا وييل وجون هوبكنز ، وطبع محاضراته فى فرجينيا بعد ذلك فى كتاب بعنوان **وراء آلهة غريبة** الذى طبع فى عام ١٩٣٤ ، اما محاضراته فى جون هوبكنز ، فقد تحدث فيها عن الشعراء الميتافيزيقيين ، واهمهم عنده الشاعر « جون دون » (١٥٧٢ ـ ١٦٣١) الذى نوه اليوت بذكره ، ودفع به الى المكانة العليا ، وهكذا حقق كلمته التى أشرنا اليها ، حين يعيد الناقد ترتيب الشعر والشعراء •

★ عام ١٩٣٣

عاد اليوت الى انجلترا ، واقام فى ضيعة أحد أصدقائه فى « سرى » ، وارسل أوراق الانفصال الى زوجته • وبعد شهور عاد الى لندن ليقيم وحده •

★ عام ١٩٣٥

قادته عقيدته الدينية الى المسرح مرة ثانية • كان قد حاول الكتابة فى أول العمر ، فكتب قطعة حوارية باسم « سويني غاضبا » ولكنه لم يتمها • وفى هذه السنة كتب بضعة مقاطع للجوقة باسم « الصخرة » ثم دعاه قسيسه وصديقه جورج بل استف تشستر لكى يكتب مسرحية لاحتفالات كانتربيرى عام ١٩٣٥ ، فكتب مسرحيته التى نقدمها فى هذا الكتاب **جريمة قتل فى الكاتدرائية** •

★ عام ١٩٣٩

عرضت مسرحيته الثانية **اجتمـاع شمل العائلة** فى مسرح وستمنستر بلندن ، وظل عرضها خمسة أسابيع • وقال عنها مخرجها انها مسرحية رائعة ولكنها غير ناجحة ، وفى آخر هذا العام قامت الحرب العالمية الثانية • وشغل اليوت بالنشاط الدعائى ، فكان يكتب ويذيع ويحرض على خوض الحرب بوصفه أحد اعلام الثقافة الانجليزية •

★ عام ١٩٤٤

صدرت قصائده الاربع **الرباعيات الاربع** فى انجلترا ، وكانت الطبعة الامريكية قد صدرت قبل ذلك بعام . وقد استغرقت كتابة هذه القصائد سنوات طويلة تمتد بين عامى ١٩٣٥ ـ ١٩٤٢ . وقد استقبلت هذه القصائد استقبالا رائعا .

★ عام ١٩٤٧

فى الثاني والعشرين من يناير توفيت « فيفين » زوجة اليوت فى مستشفى نورثمبرلاند للامراض العقلية ، وهى فى التاسعة والخمسين من عمرها . وحزن اليوت عليها حزنا عميقا . وان كان أشد ما أحزنه ، كما قال لاحد اصدقائه ، انه لا يحتفظ لها بذكرى لحظة واحدة من السعادة .

★ عام ١٩٤٨

منح اليوت جائزة نوبل ووسام الاستحقاق البريطاني الذى جرى العرف الا يحمله الا اربعة وعشرون من الاحياء . وفي تلك السنة سافر الى امريكا محاضرا ، والتقى هناك بصديقه القديم عزرا باوند الذى كان حبيسا فى مستشفى سانت اليزابيث فى واشنطن ، اذ أدانه القضاء الامريكى بعد الحرب بالولاء للفاشية ، وقبض عليه فى روما حين دخلتها جيوش الحلفاء . وتوسط المثقفون الامريكيون لكى يحولوه من السجن الى المستشفى .

★ عام ١٩٥٠

نشر مسرحيته الثالثة **حفل كوكتيل** التى تجدها مترجمة فى العدد التالى . وعرضت المسرحية في لندن ونيويورك معا ، واعجب بها النقاد ، وأحبها المتفرجون لبساطتها ومباشرتها . ولقد استمر عرضها فى نيويورك ٣٢٥ ليلة .

★ عام ١٩٥٧

تزوج اليوت من سكرتيرته الشابة « فاليرى فليتشر » ، وكان عندئذ فى التاسعة والستين بينما كانت هى فى ثلاثينياتها ، وكان زواجا سعيدا كما حكى اصحابه . وسافر بعد ذلك ثلاث مرات الى الولايات المتحدة . وفى عام ١٩٥٩ نشر اليوت مسرحيته **السياسى**

العجوز ، وكان قد أصدر قبل ذلك بخمس سنوات مسرحيته الكاتب المؤتمن •

★ عام ١٩٦٥

في ٤ يناير عام ١٩٦٥ توفي ت.س.اليوت عن سبعة وسبعين عاما • وكتب سيسيل داى لويس الشاعر المشهور نعيه في جريدة التايمز ، ودعاه « اكبر الشعراء الانجليز تأثيرا فى عصرنا » •

وقد أوصى اليوت ان تحرق جثته ، وان يدفن رمادها في كنيسة « ايست كوكر » ، وبعد دفنه بشهر اقيم قداس على روحه في كنيسة رستمنستر حضرته الملكة ورئيس الوزراء ، والقى الممثل المعروف السير أليك جينس خمسة مقاطع من شعره • وعزفت الموسيقى نشيدا من سترافينسكى مبنيا على المقطع الرابع من قصيدة « ليتل جيدنج » احدى قصائد « الرباعيات الاربع » •

وانطوت حياة شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس ، واسهم بشعره في صنع حساسية العصر الذى نعيش فيه ، واثر فى عديد من الشعراء فى مختلف بلاد العالم •

وانطوت ايضا حياة مسرحية ، حاول خلالها اليوت ان يعيد المسرح الشعرى الى مكانه ومكانته ، بعد ان كاد الشعر ان يطرد من على خشبة المسرح •

وانطوت ايضا حياة نقدية استطاع صاحبها بخطواته ومقالاته النقدية ان يفتح الطريق لتيار نقدى جديد مشى فيه لاحقوه وتابعوه طويلا •

★ ★ ★

٢ ـ الشعر والمسرح

في رأي اليوت

ترجمة عربية لمقال نقدى لاليوت فى مجموعة مقالاته « مختارات نثرية » ويعد هذا المقال اوضح بيان لحركة المسرح الشعرى الاليوتى ، والمسرح الشعرى المعاصر بشكل عام •

حين استعرضت حصيلتي النقدية خلال الثلاثين عاما السالفة ، التي لا تتكرر ، فوجئت بهذا الالحاح الذى كنت أعود به الى الحديث عن الدراما ، سواء باختيار أعمال معاصرى شكسبير ، او باستشفاف امكانيات المستقبل • وربما كان الناس قد سئموا سماعي أتحدث في هذا الموضوع ، ولكني ـ بينما أجد انني كنت أؤلف تنويعات لنفس الموضوع طول حياتي ـ فان وجهات نظرى كانت دائمة التبدل والتجديد مع زيادة تجربتي ، حتى انني كنت اضطر لمراجعة الموقف من جديد في كل مرحلة من مراحل تجربتي •

ولما كنت قد تعلمت بالتدريج ، الكثير من مشاكل المسرحية الشعرية ، والشروط التي يتبغي ان تحققها لتبرر وجودها ، فقد اتضحت لى ، لا دوافع رغبتي الذاتية للكتابة فى هذا الشكل، فحسب، بل الدوافع الاعم للرغبة في ان يسترد هذا الشكل مكانته • واني لاعتقد انني لو اوضحت هذه المشاكل وتلك الشروط ، فقد يتضح للاخرين ما اذا كانت المسرحية الشعرية قادرة على ان تعطى لمرتاد المسرح ما تعجز عنه مسرحية النثر ، وكيف تتم لها القدرة على العطاء •

وأنا أصدر عن القول ان الشعر يصبح نزوما لما لا يلزم مسرحيا ، اذا أصبح مجرد تحلية أو زخرفة مضافة ، ولو كان كل ما يعطيه لذوى الذوق الادبى هو متعة سماع الشعر فى نفس الوقت الذى يشهدون التمثيل فيه • بل على الشعر أن يبرر نفسه دراميا ، لا أن يكون شعرا جميلا موضوعا فى قالب درامي فحسب ، بحيث تستغرق المسرحية المتفرجين ، أو تثير انتباههم أحداثها ، او تحرك عواطفهم مواقف شخصياتها، ولا يفطنون كلية الى أن أداة التعبير فيها هي الشعر ولو لم يتحقق ذلك لما وجب ان تكتب دراما شعرية ، بينما يستطيع النثر ان يحقق ذلك كله •

وسواء استخدمنا النثر أو الشعر ، فكلاهما ليس الا وسيلة لغاية • والفرق بينهما ـ من وجهة نظر ما ـ ليس كبيرا كما قد نظن • ففي هذه المسرحيات النثرية التي عاشت بعد مؤلفيها ، والتي ظلت الاجيال التالية تقرؤها وتقدمها على المسرح ، نجد النثر الذى تتحدث به الشخصيات مختلفا فى أفضل اجزائه عن نثر حياتنا العادية ، سواء فى مفرداته او اعرابه وايقاعه • انه نثر كالشعر كتب مرة بعد مرة • واحسن كاتبين مسرحيين عندنا باستثناء شكسبير والاليزابثيين الاخرين الذين مزجوا الشعر بالنثر فى المسرحية الواحدة هما فى رأى كونجريف وشو • وكلاهما ناثر • وان حديثا لاحدى شخصيات

كونجريف أو برنارد شوليملك ـ مهما كان حظ الشخصيات من الاختلاف الواضح ـ ذلك الايقاع الشخصي الذى لا تخطئه الاذن ، والذى هو من علامات الاسلوب النثرى الفني ، وهو ايقاع لايستطيعه الا كاتب الحوار البالغ الحنكة الذى يبرع للسبب ذاته في الحديث الفردى (المونولوج) •

ونحن جميعا قد سمعنا باحدى شخصيات موليير ، ذلك الرجل(١) الذى أبدى دهشته حين انبىء انه يتحدث نثرا • والواقع ان الحق كان فى جانب السيد جوردان ، لا فى جانب معلمه او خالقه موليير فهو لم يكن يتحدث نثرا ، ولكنه كان يتكلم فحسب • وانى لااريد ان أضع تفرقه ثلاثية بين الشعر والنثر وحديثنا العادى الذى يهبط عادة عن مستوى كل من الشعر والنثر • ولو نظرت للأمر من هذه الزاوية لتبينت ان النثر على المسرح مصنوع كالشعر • وباستبدال طرفى القضية ، نستطيع أن نقول ان الشعر يستطيعان يكون طبيعيا على المسرح •

والمتفرج الحساس يستطيع ان يتبين ان النثر الجميل المستعمل فى المسرحية أفضل من نثر المحادثة العادية ، الا أنه لن يراه لغة مختلفة تماما عن اللغة التي يتحدث بها • ولو حدث ذلك لوضع حاجزا بينه وبين الشخصيات المسرحية المتخيلة • اما فى الشعر فان كثيرا من الناس يواجهون المسرحية الشعرية ، وهم واعون بالفرق اللغوى • وهم قد يأسفون حين يصدمهم الشعر ، ولكنهم قد يتعزون اذا استطاع الشعر اجتذابهم ، وهذا لا يعنى ان هناك لونين من المتعة : متعة بالمسرحية ، ومتعة بلغة المسرحية • ففى اعتقادى ان اداة المسرحية سواء أكانت شعرا أم نثرا ، وايقاعها اذا كانت شعرا ينبغى ان يكونا غير ملحوظين •

ويتبع ذلك ان الخلط بين النثر والشعر فى المسرحية الواحدة يجب ان يجتنب لان كل انتقال يجعل المتفرج منتبها لاداة التعبير • وقد تبرر رغبة المؤلف فى اثارة الانتباه هذا الانتقال بين الاداتين ، حين يريد ان ينقل المتفرجين بعنف من أحد جانبى الحقيقة الى جانبها الاخر • وفى ظنى ان هذا النوع من النقل كان مقبولا بسهولة عند

---

(١) مسييو جوردان • شخصية فى مسرحية « البورجوازى النبيل » لموليير ، وهو رجل عامى جنى ثروة ، فحاول ان يسلك مسلك النبلاء ، واستأجر معلم سيف ، ومعلم بلاغة ، وحين انباه معلم البلاغة ان الكلام يتكون من شعر ونثر أبدى دهشته لانه كان يتحدث نثرا طول حياته ، وهو لا يدرى ! (المترجم) •

الجمهور الاليزابيثي الذى اعتادت اذنه على النثر والشعر ، واستملح الزهو الاجوف والفكاهه الهابطة في المسرحية الواحدة ، وبدا لـه ان الاصوب هو ان تنطق الشخصيات العادية بلغـة مألوفـة بينمـا تنطق الشخصيات العالية الرتبة بالشعر حتى في هذرها • ويبدو ان مقاطع النثر فى مسرحيات شكسبير قد صممت لتحدث تأثير التباين • وذلك لن يكون أبدا متخلفا عن عصرنا اذا اتقنه المسرحي • وما دمنا نتحدث عن شكسبير فسيخطر على بالنا مشهد قرع البوابة فيمسرحية **ماكبث**• وكثيرا ما يبدو ليان تغييرالاداة من الشعر الى النثر فى **هنرى الرابع** يشير الى التباين الساخر بين عالم السياسـة العليا وعالـم الحيـاة العادية• فليس ما أمام المتفرجين ـ كما قد يظنون ـ هو تلك المسرحية التاريخية المعتادة وقد زينت ببعض المناظر المسلية المستمدة من الحياة العادية ، بل ان هذه المشاهد النثرية فى كلا الجزأين الاول والثانـي تمدنا بتعليق لاذع على المطامع المضطربة لرؤساء الاحزاب • واليـوم تعاني المسرحية الشعرية كثيرا من الصعاب • ولذلك أعتقد ان النثـر يجب ان يستعمل فيها باقتصاد شديد • وعلينا ان نهدف الى خلق شكل شعرى نستطيع به ان نقول كل ما يجب قوله • فاذا وجدنا موقفـا لا يمكن اجتيازه بالشعر ، فالسبب ان الشكل الشعرى الذى اخترناه ليس طيعا • واذا ثبت ان هناك مناظر لا نستطيع ان نعبر عنها بالشعـر ، فعلينا اما ان نطور شعرنا أو أن نتجنب تقديم تلك المناظر ، لان مـن واجبنا ان نعود متفرجينا على الشعر الى الحد الذى يكفون عن الوعى بـه ، واخشى اذا قدمنا حوارا نثريا فى المسرحية الشعرية عندئذ ان نجذب انتباههم من المسرحية ذاتها ، الى أداتها التعبيرية •

ولكن اذا كان شعرنا يتسع الى المدى الذى يستطيع فيه ان يقول كل ما يجب ان يقال ، فلن يكون عندئذ شعرا طول الوقت ، بل لـن يصبح شعرا الا حين يصل الموقف الدرامى الى درجة مـن «التكثيف» يصبح الشعر عندها هو المنطق الطبيعي ، لانه هو اللغة الوحيدة التـي يستطاع التعبير عن الانفعالات من خلالها •

ومن الضرورى بحق لكل قصيدة طويلـة ، اذا أرادت ان تتجنب الرتابة ان تكون قادرة على ان تقول الاشياء العادية دون اسفاف ، كما ترتفع الى أعلى الافاق دون مبالغـة ، وذلك اكثر اهميـة بالنسبـة للمسرحية ، وبخاصة اذا كانت تتصل بالحياة المعاصرة •

وليس السبب فى كتابة اكثر الاجزاء نثرية فى مسرحية شعرية بالشعر دون النثر هو تجنب انتباه الجمهور الى أداة التعبير فحسب ، بل ان للايقاع الشعرى أثره على السامعين دون ان يعوا بـــه • وان تحليلا قصيرا لاحد مشاهد شكسبير قد يوضح تلك النقطة ، وليكـن

مثالنا هو مشهد افتتاحية **هاملت** كمشهد حسن البناء ، يكاد يعرفه كل انسان ٠

ونحن لا نلحظ التنوع الكبير في الاسلوب حين نشهد هذا المشهد على المسرح ٠ ولكن الواضح هو أنه ليس هناك سطر من الشعر زائد عن الحاجة أو غير مبرر بقيمته الدرامية٠ والسطور الاثنان والعشرون الاولى مبنية على ابسط الكلمات في ابسط تركيب عادى ٠ ولقد كتب شكسبير عديدا من الاعمال الجيدة ، وعمل طويلا في المسرح ، قبل ان يصل الى المستوى الذى يستطيع فيه كتابة هذه السطور الاثنين والعشرين ٠ فليس هناك شيء هادىء ومبسط وواثق الى هذا الحد في اعماله السابقة ٠ لقد كان من قبل يولد حوارا شعريا دارجا من خلال مونولوج لاحدى الشخصيات ، مثل شخصية فولكنبريدج في الملك جون أو المربية في **روميو وجولييت** ٠ أما الخطوة الجديدة البعيدة فهى أن يضمن هذا المونولوج دون اقحام في ثنايا حوار حى من الاجابات القصيرة ٠ ولن يبدأ شاعر في السيطرة على الشعر الدرامى الا اذا استطاع ان يكتب سطورا قصيرة شفافة كتلك التى نجدها في افتتاحية هاملت، فانت عندئذ لا تنتبه واعيا الى اداة الشعر بل الى معنى الشعر لو كنت تشهد هاملت للمرة الاولى دون ان تعلم شيئا عن الرواية ٠ وما أظن أنه يخطر لك أن تسأل عما اذا كان المتحدثون شعرا أو نثرا ٠ واذا كان للشعر علينا تأثير مخالف لتأثير النثر الا اننا في هذه اللحظة سنكون منتبهين لليل وبرده ، وللضباط الذين يخفرون أسوار القلعة ، ولتوقع الحدث المهول ٠ ولست أقول أنه لا مجال عندئذ لحال يكون جزء من المتعة فيها هو التلذذ بسماع الشعر الجميل ـ ولكن الشاعر بالتأكيد يضعه هنا لحتمية درامية ٠ ونحن بالطبع عندما نكون قد شاهدنا المسرحية عديدا من المرات ، وقرأناها بين العروض المختلفة سنبدأ في تحليل الوسائل التى استطاع بها المؤلف التأثير فينا ، ولكننا في المواجهة السريعة لهذا المشهد لن نكون واعين بأداة التعبير فيه ٠

ومن اول المشهد نجد ذلك التنادى الفظ الملائم للموقف ولشخصيات الحراس ، ولكنه لا يوضح شخصية باكثر مما يستلزم دورها في الرواية فيما بعد ٠ ثم يتهادى الشعر في حركة ابطأ مع ظهور الحارسين هوراشيو ومارسيلوس ٠

(هوراشيو يقول انه ليس الا وهمنا)

وتتغير الحركة مرة ثانية عند ظهور شبح الملك فى الهدوء العميق الطارىء

(ما أنت يا من اغتصبت هذا الهزيع من الليل ؟)

(ولاحظ بالمناسبة ذلك الاستبصار بالعقدة كما يوضحه استعمال الفعل « اغتصب ») .

أما الايحاء بالملك فيتضح بعد ذلك لنعرف شبح من هـذا الـذى ظهر :

هكذا عبس ذات مرة فى اثناء مداولة غاضبة

اذ هوى على رأس بولونى فى مزلقته على الثلج .

ثم يلى ذلك تغير مفاجىء الى الترنم المتقطع فى كلمات هوراشيو للشبح (٢) عند ظهوره التالي ، ثم يتغير ذلك الايقاع مرة ثانية مـع الكلمات التى ينطقها مرسيليوس :

اننا لنسىء اليه اذ نقابله بالعنف

وهو على هذا الجـلال

فهو كالهواء لا يطعن

---

(٢) هذه الكلمات هى :

ولكن ، صمتا ، أنظرا ، انه يجىء ثانية
ساجابهه ، ولو حطمنى ، قف ايها الخيال
(ينشر الطيف ذراعيه)
ان كان لك صوت أو نطق تفوه به
تكلم معى
ان تكن هناك مكرمة اصنعها
لتجلب الراحة لك ، والخير لى
تكلم معى
ان كنت مطلعا على ما خبأه القدر لموطنك
فنستطيع اذا عرفناه مسبقا تحاشيه
تكلم
أو ان كنت فى ايام حياتك قد خزنت
فى جوف الارض مالا اغتصبته حراما
ومن أجل ذلك يقولون انكم معشر الارواح تطوفون بعد الموت
أخبرنى عنه . قف ، تكلم ، اوقفه يا مرسيلوس
« يصيح الديك »

وكل ضربة منا باطلة ، انما هي سخرية خبيثة

ويصل الموقف الى ذروته مع كلمات مرسيلوس :

لقد تلاشى مع صياح الديك

يزعم بعضهم انه عندما يحين موسم عيد ميلاد مخلصنا
يغني طير الفجر الليل بطوله

ويكون جواب هوراشيو :

كذلك سمعت ، وانني لاصدق بعضه

ولكن انظر ، ها هو ذا الصباح ، وقد ارتدى وردي الثياب

يخطو على ندى تلك الرابية الناهدة في الشرق

فلنترك الحراسة

هذا شعر عظيم ، وهو ايضا شعر مسرحي • ولكنه فضلا عن كونه شعرا ومسرحيا ، فهو أكبر من هذين الحدين • ففيه اذا حللناه نوع من التصميم الموسيقي الذي يوجهه ويتحد في نفس الوقت مع الحركة المسرحية • وهذا التصميم الموسيقي ينبه نبض عواطفنا ويسرع به كلما مضى بنا الوقت دون ان نحس بوجوده ، ولنلحظ انه في هذه الكلمات الاخيرة لمرسيلوس يكاد « الشعر » ان يظهر ظهورا قصيرا ، وان يحس به وعي المتفرج ، وعندما نسمع هذين السطرين من هوراشيو :

ولكن انظر ، ها هو ذا الصباح ، وقد ارتدى وردي الثياب
يخطر على ندى تلك الرابية الناهدة في الشرق

يكاد الشعر عندئذ ان يرفعنا عن مستوى الشخصية ، ولكن دون احساس بعدم ملاءمة الكلمات التي ستنطق بها بعد ذلك شفتا هوراشيو• فالانتقالات في المشهد تتبع قوانين موسيقى الشعر المسرحي • ولنلحظ ان السطرين اللذين يقولهما هوراشيو (ولكن انظر ••) يسبقهما سطر من ابسط الكلام الذي قد لا يكون شعرا او نثرا :

وكذلك سمعت ، وانني لاصدق بعضه

وهو يتبعهما مباشرة بنصف سطر لا يزيد عن كونه توجيها مسرحيا

فلنترك الحراسة ..

ولعله من الممتع ان نتتبع بتحليل مماثل مسألة وجود تصميمين في المسرحية الشعرية العظيمة . وذلك التصميم الموسيقي ، والتصميم الاخر الذي يمكن ان تلمسه من وجهة نظر الحرفية المسرحيه . ولكني اعتقد ان دراسة هذا المشهد الواحد جديرة بان تجعلنا ندرك ان الشعر ليس مجرد قولبه او زينة مضافة ، ولكنه يكثف الدراما . وهذه الدراسة ايضا توضح اهمية التأثير الذي لا يعي به المتفرج للشعر ، هذا التأثير الذي يحس به اولئك الذين يحبون الشعر بين المتفرجين فحسب ، بل يحس به ايضا اولئك الذين لا يحبون الشعر ، واعني بهم اولئك الذين لا يستطيعون الجلوس الى ديوان شعر والاستمتاع بقراءته . وهؤلاء هم الجمهور الذي يجب ان يحسب له من يكتب المسرحية الشعرية حسابا .

وهنا يحسن ان أقول رأيا في المسرحيات التي ندعوها بالمسرحيات « الشاعرية » رغم انها مكتوبة نثرا ، ان مسرحيات جون ملينجتون سينج(٣) هي حالة خاصة ، لانها مبنية على مصطلحات قوم ريفيين حديثهم بالطبيعة شاعرى ، سواء فى صوره أو ايقاعه . واعتقد أنه أدمج عبارات سمعها من ريفيي ايرلندا . ولغة سنج ليست ممكنة الا في المسرحيات التي تدور احداثها بين هؤلاء الناس . ونستطيع ان نصل الى نتائج عامة اذا نظرنا الى المسرحيات النثرية التي كان الاعجاب بها شديدا في أيام شبابي ، والان قلما تقرأ ، وهي مسرحيات ماترلنك(٤) . وهذه المسرحيات محصورة بطريقة ما في موضوعاتها ، كما ان القول بأن رسم الشخصيات فيها معتم هو دون الحقيقة . ولست أنكر ان لها بعض القيمة الشعرية . ولكن لكي يكون المؤلف المسرحي شاعريا في نثره فعليه ان يكون شاعريا دون انقطاع ، وذلك مما يجعل مجاله محدودا . ولقد كتب سنج مسرحيات عن اناس يتكلمون في الحياة الاصلية بشاعرية ، ولذلك فقد استطاع ان يجعلهم يتحدثون شعرا ويظلون أشخاصا حقيقيين . أما الكاتب الشاعري الذي لا يملك هذه الميزة ، فعليه ان يكون مسرفا في الشاعرية .

---

(٣) كاتب مسرحى ايرلندى (١٨٧١ ـ ١٩٠٩)

(٤) موريس ماترلنك (١٨٦٢ ـ ١٩٤٩) شاعر بلجيكي ومسرحى . كتب بالفرنسية وحصل على جائزة نوبل عام ١٩١١ .

ويمثل ييتس(٥) حالة تختلف عن ماترلنك وسنج • وان دراسة لتطوره المسرحي لتكشف عن المدى البعيد الذي قطعه ، وعن الفوز الذي حققه في مسرحياته الاخيرة • ففي باكورة حياته كتب مسرحيات عن موضوعات يمكن تقبلها كموضوعات شعرية ، في أوزان عروضية لا تصلح الا لحديث الملوك والملكات الاسطوريين • اما مسرحياته المتوسطة « مسرحيات للراقصين » فهي بالغة الجمال ، ولكنها لا تحل أي مشكل يواجه الكاتب المسرحي • بل هي مسرحيات نثرية شاعرية تتخللها ترويحات طيبة من الشعر • ولم يستطع ييتس ان يحل مشكلة الحديث بالشعر الا في مسرحيته الاخيرة « **المطهر** » فأسدى بذلك فضلا لجميع لاحقيه •

---

(٥) وليم بتلر ييتس (١٨٦٥ ـ ١٩٣٩) ايرلندى من اعظم شعراء الانجليزية •

٣ ـ اليوت والمسرح الشعري الجديد

يقترن اسم ت٠ س٠ اليوت بحركة الشعر الحديث ٠ وبخاصة في العالم الانجلو سكسوني اقترانا لازما ٠ ويشمل هذا الاقتران ضفتي المحيط الاطلسي في الجزر البريطانية وامريكا ٠ ومن الحق ان يقال ان اليوت لم يبتدع عالم الحداثة في الشعر وحده ، ولكنه كان ألمع الاصوات فيه ٠

وقد تكون اوضح معالم هذا الشعر معلمين هامين ، هما الميتافيزيقية ولعها بالتحليل واهتمامها بالكشف عن أغوار النفس من تراث الشعر الميتافيزيقي الانجليزي عند جون دون (١٥٧١ ؟ ـ ١٦٣١) ومعاصريه ، أما الرمز فهو من اثار اللقاء بالادب الفرنسي ، عند لافورج وستيفان مالارميه (١٨٤٢ ـ ١٨٩٨) ٠

ومن هذين التيارين تولد التيار الجديد ، فاكتسب من النزعة الميتافيزيقية ولعها بالتحليل واهتماما بالكشف عن أغوار النفس الاساسية ٠ واكتسب من التراث الرمزي اهتمامه بالحدس والايحاء ، فكأن التيارين يجمعان بين ثمرات العقل الذكي والاحساس المتوقد المخالف للتقليد ٠

وقد لاقى هذان التياران تيارا ثالثا ، هو تيار « الصوريين » او مدرسة الصورة الشعر The Imagists ، الذي احتل صدارة الحياة الادبية في أمريكا في العقد الثاني من القرن العشرين ٠ وقد اصدر هذا التيار في عام ١٩١٥ بيانا شعريا أرفقوه بمجموعة منتقاة من اشعارهم ، وتحدثوا فيه عن ملامح اتجاههم (من حيث استعمال لغة الحديث اليومي ، وابتكار قواف شعرية جديدة ، وحرية اختيار الموضوع الشعري ، ثم ابتكار الصورة الجديدة المستمدة من رؤية الشاعر الخاصة ٠ ولقد كانت معظم اراء هذا التيار النقدية مستمدة من فلسفة الناقد الفيلسوف الانجليزي ت٠ أ٠ هيوم ٠ فقد اوضح هيوم أمرين رئيسيين اولهما ان استعمال لغة الحديث العادي ملمح هام من ملامح الشعر الكلاسيكي يختلف به عن الشعر الرومانسي الذي يعمد الى استعمال لغة شعرية خاصة ، وثانيهما ان الوصف الدقيق خصيصة واجبة في كل شعر جيد ، بحيث ان الدقة والتحديد والرؤية النافذة هي جوهر الشعر ٠

ولقد تمثل اليوت هذه التيارات الثلاثة • وانطلق في عام ١٩٣٣ بعد سنوات من مكابدة الشعر الغنائي لكي يعلن رأيه القائل « ان المسرح هو الوسط النموذجي للشعر » • وليكتب بعد ذلك مسرحياته الشعرية المتوالية •

كان أول اعماله هي أناشيد « الصخرة » التي مزج فيها بين سبعة أو ثمانية أنماط من النظم تتراوح بين تقليد أشعار كبلنج تارة وتقليد اشعار سوينبرن تارة أخرى • وتلتها مسرحية **جريمة قتل في الكاتدرائية** التي عاد في معظمها الى تراث « النظم الشعري » الاوروبي في القرن الخامس عشر • وليس من همنا هنا معالجة اسلوب العروض او التقفية والجناس الشعريين في هذه الاعمال ، بل لعلنا نريد أن نسأل عما أفاد اليوت من هذه التيارات الشعرية في معالجته الجديدة للدراما •

ان تخليد الدراما الشعرية في الادب الانجليزي قديم ممتد ، ولقد وصل هذا التقليد الى أبعد مداه في عصر عودة الملكية ، أما في القرن الثامن عشر فقد وضعت بعض مسرحيات درايدن ومعاصريه على الخشبة ، وان كانت هذه المسرحيات بما تحتويه من شعر فخم مقفى على نظام الثنائية قد ظلت مصبوغة بهذه الصبغة الانيقة المصنوعة او المتصنعة ، ولقد زاحمتها الكوميديا والاوبرا الموسيقية في قلوب الرواد ، ثم ما لبثت الاخيرة ان أجلتها من ساحة الذوق العام ، فقنعت الدراما الشعرية في القرن التاسع عشر بمكانها في الكتب ، حتى لقد اطلق عليها النقاد اسما ادبيا جديدا ، وهو دراما الغرفة •

وفي اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بلغ المسرح النثري غايته ، واحتل وحده ساحة الحياة المسرحية ، متذرعا بانه يعبر ـ شأنه في ذلك شأن الرواية الطبيعية والواقعية ـ عن حياة العاديين من الرجال والنساء الذين لا يتحدثون في حياتهم العادية بالشعر او ما يشبهه من محكم القول ومحبوك الحديث • وظل الامر كذلك حتى ابتدأت بعض الفرق المسرحية تعيد عرض مسرحيات شكسبير على حياء شديد في اوروبا وامريكا • ومن هنا كان شكسبير الذى ووری التراب منذ ما يقرب من ثلاثة قرون فى ذلك الزمان (عشرينات هذا القرن) هو الذي اغرى الكثيرين باعادة نبض الحياة الى المسرحية الشعرية ، ودفعها للوقوف على خشبة المسرح كشكل درامي وافر الصلاحية •

وقد سبق ان اشرنا الى قولة اليوت ان المسرح هو الوسط

النموذجي للشعر • وينبغي القول انه ذهب بعد ذلك الى مدى أبعد حين قال في أحد أحاديثه الاذاعية انه يؤمن بأن الشعر هو الاداة الطبيعية والكاملة للمسرح • وقد أضاف عندئذ ان الشعر يفضل النثر في المسرح لانه يستطيع أن يضيف هذه القيمة النمطية الموسيقية التي تدعم الاحساس وتقويه •

والواقع ان النبض الدرامي واضح يستطاع تلمسه في مختلف مراحل حياة اليوت الشعرية ، تلك الحياة التي يستطاع تقسيمها من حيث الشعر الغنائي الى ثلاث مراحل ، أولاهما الفترة الواقعة بين قصيدتي **الارض الخراب** و **الرجال الجوف** أي بين أعوام ١٩١٧ ــ ١٩٢٥ • وثانيتها الفترة التي شهدت قصيدته **اربعاء الرماد** ، كأحد القصائد الرائدة لهذا الشاعر الكبير ، وهي الفترة التي تمتد بين أعوام ١٩٢٥ ــ ١٩٤٢ • وثالثتها فترة الحكمة النابضة والتأمل العميق ، وهي التي تمثل قصائده **الرباعيات الاربع** قمتها السابقة •

ففي كل هذه المراحل نرى اليوت شاعرا غنائيا يكتب القصيد الشعري المتأمل المنفعل ، ولكن في ثنايا هذا القصيد الشعري نبضا دراميا بالغ الرهافة والاحكام • ونحن لا نجد هذا النبض في تعدد أصوات القصيدة أو انتقالها بين مستويات الزمن المختلفة ، أو لجوئها الى الحوار • لا نجد هذا النبض في هذه الملامح فحسب ، بل لعلنا نجده اكثر وضوحا في معمار القصيدة الفني • وبهذا المعنى تصبح قصائد اليوت ومسرحه نسيجا دراميا متشابه الملامح والسمات •



٤ ـ حول جريمة قتل في الكاتدرائية

١ ـ المهاد التاريخي للمسرحية :

كان توماس بيكيت فارسا ورجل بلاط ، تحول الى رجل دين ، وكان في الحالين نموذجا لما يجب ان يكون عليه من ينهض بأى من الدورين • ففي صباه وشبابه الباكر حصل على أرفع أنواع التعليم التي عرفها زمانه متنقلا بين المعاهد المختلفة في لندن وباريس وبولوني بايطاليا • ثم اصبح عونا مقربا الى ثيوبولد كبير أساقفة انجلترا الذى قدمه الى هنرى ملك انجو •

وفي عام ١١٥٤ أصبح هنرى ملك أنجو ملكا على انجلترا باسم هنرى الثاني ، منشئا أسرة البلانتا جيب الحاكمة • فعين هذا الملك توماس بيكيت كبيرا لمستشاريه ومعلما لابنه الصغير الامير هنرى •

عاش توماس في ذلك الوقت حياة رجل البلاط الباذخة ، وزار في تلك الفترة باريس وسيطا في زواج الامير هنرى من كبرى بنات لويس السابع ملك فرنسا ، ففتن العاصمة الفرنسية بأناقته وسلوكه الرفيع ، وفي العام التالي صحب الملك هنرى الثاني في حملة على تولوز ، فكسب لنفسه في وقائع المعركة سمعة المحارب الجسور •

وظل توماس رئيسا للوزراء (كبير المستشارين) ما يقرب من ست سنوات ، حتى مات ثيوبولد كبير الاساقفة ، فعين الملك توماس كبيرا للاساقفة ، لكي يجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية ، ويكون عونا له على تصريف أمور البلاد بمقتضى ما للسلطتين من حق على أجساد الرعايا وارواحهم • ولكن نهج توماس في الحياة ما لبث ان تحول تحولا مثيرا حين لبس طيلسان رجل الله، فقد اتجه الى الزهد والتقشف ، وكف عن غشيان مجالس المسامرة ، وانقطع عن اللهو والصيد • ثم ما لبث ان اصطدم بالنبلاء في صراعهم مع رجال كنائسهم المحلية ، فاصدر امره بحرمان بعض النبلاء • وتصاعد النزاع حتى أنكر توماس حق الملك في فرض الضرائب على ممتلكات الكنيسة • وفي عام ١١٦٤ جمع الملك البرلمان لكي يدعم قراره بحقه في فرض الضرائب ، وطلب من كبير الاساقفة توماس ان يمهر القرار بخاتمه ، ولكن توماس رفض ذلك مراوغا أول الامر ثم معلنا عدم موافقته علنا بعد ذلك •

سقطت مكانة توماس ، وارتفعت عنه حظوة الملك. فحاول مرتين ان يرحل الى فرنسا . ولكن رجال الملك عاقوه عن الابحار ، ثم اجتمع مجلسهم وقرروا دمغ بيكيت بتهمة الخيانة . وفي نوفمبر عام ١١٦٤ تمكن بيكيت من الهرب الى فرنسا حيث ظل في الفلاندرز خمسة أعوام يتبادل الرسائل الحادة مع الملك مهددا اياه بالحرمان ، ومصدرا حكم الحرمان بالفعل على سبعة من أعضاء المجلس الذى دمغه بالخيانة.

وبدأت المفاوضات بينه وبين الملك فى أواخر ١١٦٩ ، ولكن هذه المفاوضات توقفت حين توج الملك ولى عهده فى يونيو عام ١١٧٠ خليفه له . ووثق روجر كبير أساقفة يورك هذا التتويج . واستشاط توماس غضبا ، واصدر قراره بحرمان روجر كبير اساقفة يورك .

واستؤنفت المفاوضات مرة ثانية ، فسمح الملك لبيكيت بالعودة على ان يرفع الحرمان عمن حرمهم من القساوسة والنبلاء . ولكن الاخبار ما لبثت ان وافت الملك ان توماس قد عاد الى كانتربيرى في موكب حافل تحيط به قلوب العامة ، وتتردد حوله اصداء التهليل والتحية. فصرخ الملك عندئذ في مجموعة من نبلائه قائلا « ألا يخصنى أحد منكم من هذا القسيس السيء الخلق » .

وتقدم عندئذ اربعة من النبلاء ، قاصدين الى كانتربيرى حيث طلبوا من توماس ان يرفع الحرمان عن النبلاء والقساوسة ، ولكنه رفض رفضا قاطعا متذرعا بان ذلك من حق البابا وحده . فاستقدم النبلاء بعض الجنود في مساء نفس اليوم ٢٩ ديسمبر عام ١١٧٠ ، واقتحموا على كبير الاساقفة كنيسته ، واهووا عليه بسيوفهم ، دون ان تبدو منه أدنى بادرة للهرب أو التراجع .

٢ ـ حديث عن المسرحية :

مسرحية جريمة قتل في الكاتدرائية مسرحية « طبائع » اذ ان محورها هو الخلاف بين طبيعتين احداهما ماثلة في مسار الاحداث ، وهي شخصية « توماس بيكيت » ، والاخرى محركة للاحداث دون أن تمثل على المسرح ، وهي شخصية « الملك هنرى الثاني » .

لقد صعد توماس بيكيت بثقة الملك من غمار العامة الى أشرف مكان ، فاكتسب بذلك زهوا ما لبث ان اتخذ له مسارا غير متوقع ، وهو الزهد فيما كسبت يداه وعقله ، طامحا الى مكانه أعلى وارفع ، وهو ان يكون « رجل الله » لا « رجل الملك » .

ولعل دور المجرمين الاربعة في المسرحية هي ان يمثلوا جوانبا من شخصية بيكيت ، فان أولهم يمثل شخصية بيكيت اللاهية المستمتعة بلذات الحياة حين كان في كنف الملك • وثانيهم يمثل بيكيت رجل السلطة ، الذي كان يدير المملكة وراء الملك مستمتعا بولاء النبلاء والعامة ، محوطا بالاعجاب والخشية والاكبار • بينما يمثل ثالثهم الرجل الانجليزى العادى البسيط الطبع الذى يريد ان يحكم العقل في كل امره • أما الرابع فهو يمثل زهد بيكيت في سعيه الى الاستشهاد لكى يمثل مكانه عالية في تاريخ الكنيسة الانجليزية كأحد قديسيها •

وهكذا نجد ان هؤلاء المجرمين ليسوا اشخاصا بذواتهم ، ولكنهم ظلال منشخصية بيكيت ، تنعكس على صفحة فكره ، بحيث نوشك ان نظن ان أحدا غيره لا يراهم ، وانه يستمع الى حديثهم منبعثا من باطن نفسه الجياشة بتاريخها ومواقفها •

أما جوقة النساء فهن الشعب الطيب الفقير ، الذى يقوم دراميا بنفس الدور الذى كانت تقوم به الجوقة في المسرح الاغريقى ، فهن يخلقن بشدوهن أو القائهن الحزين جوا حزينا ، وهن احيانا يلقن أو يتنبأن بمسيرة الاحداث ، وهن ينفعلن ساكنات الحركة بما يتوالى من أمور •

ان دورهن هو ان ينتظرن ويشهدن ، وهن قد يعانين عناء متصلا، ولكن العناء هو قدرهن في الحياة ، وكثيرا ما يتساءلن مسلوبات العزم : لم كتب علينا العناء ؟

أما القساوسة الثلاثة رغم قرب شخصياتهن من شخصيات الجوقة فقد أفلح اليوت في تحديد بضعة ملامح مميزة لكل منهم ، فأولهم عاطفي منفعل ، وثانيهم اميل الى العقل ، يجنح الى التفاؤل في بداية المسرحية ، وثالثهم شكاك متشائم مؤمن بأن دورة الاقدار لا بد ان تنتهى الى الكارثة •

ولكن الثلاثة على أى حال رجال مخلصون لبيكيت وكنيسته ، ويواجه اخلاصهم هذا اخلاص الفرسان الاربعة للملك وللقانون الزمنى •

وهكذا تجمعت شخصيات المسرحية فى الايام الاخيرة لعام ١١٧٠ ميلادية حول الكنيسة وداخلها ، واحتدم بينهم الصراع الذى خرج منه بيكيت شهيدا وقديسا •

ولكن هل كان الصراع دراميا بحق ؟

ان اليوت يقول في هذه المسرحية « ان الاستشهاد لم يكن قط من صنع الانسان » • ويعني ذلك ان الله يختار شهداءه • وليس هناك اذن هذا الصراع الدرامي الذى نعرفه في المسرح الكلاسيكي حين تتزاحم فى نفس البطل نوازع الخوف والاقدام والرهبة والحزم ، بل ان « بيكيت » مصمم ابلغ تصميم ان يمضى « في طرق الله ربانيا حتى يفنى فيه » ، وليس عليه عندئذ الا الانتظار حتى ياذن الله بقضائه •

ولكن لهذه المسرحية جلالها رغم ذلك • فقد قدمت لنا شخصية بيكيت حين تسير من زهو الى زهو ، من زهو المنصب الى زهو مصاولة الملك ، ثم تختتم بزهو الاستشهاد ، للسبب الصحيح ، وهو ان يكون الانسان جزءا من ارادة الله دون ان يسب حسابا لعواقب هذا الاستشهاد•

ولعلنا لا ننسى النبض الدرامي المتقد في اكثر اجزاء المسرحية شاعرية ، وهو حديث الجوقة • بل ان بعض النقاد يقولون : ان الجوقة هى البطل الحقيقى لهذه المسرحية • وهم هنا يتلمسون التيار الاغريقى أو المتأغرق فى هذه المسرحية •

ولكن ليس الاثر الاغريقى وحده هو الواضح فى مسرحية جريمة قتل فى الكتدرائية • فان شخصيات « المجربين » وتوظيفها مسرحيا ملمح مستمد من مسرحيات القرون الوسطى الاخلاقية ، التى كانت تمثل مشاهد من حياة السيد المسيح •

★ ★ ★ ★

جريمة قتل في الكاتدرائية

تأليف : ت . س . إليوت
ترجمة : صلاح عبد الصبور
مراجعة : د. أمين العيوطي

العنوان الأصلي للمسرحيـة

The Complete Poems and Plays of

T. S. ELIOT

MURDER IN THE CATHEDRAL

FABER AND FABER
3 Queen Square
London

الجزء الأول

الشخصيات المسرحية

جوقة من نساء كنتر بيرى

ثلاثة كهنة من الكاتدرائية

رســول

كبير الاساقفة توماس بيكيت

اربعة مجربين (١)

مرافقون

---

(١) المجرب « بكسر الراء وتشديدها » • رموز للاغواء الزمني ، مستمر من قصة تجريب المسيح الواردة في الاناجيل •

المشهد :

فى قاعة كبير الاساقفة فى الثامن من ديسمبر عام ١١٧٠

الجوقــة

لنقف هنا ، قرب الكاتدرائية . لننتظر هنا .
أدفعنا الخطر ، هل اليقين بالأمان ، هو ما قــاد خطانا
صوب الكاتدرائية . وما عسى ان يكون الخطر
الذى يحيق بنا ، نحن الفقيرات ، نسوة كانــتر برى الفقيرات ؟ وأية محنة
لم نعتدها من قبل ؟ لاخطر هناك علينا ،ولاامان في
الكاتدرائية . ان ثمة نذيرا بفعل ما
كتب على عيوننا ان تشهده ، قد ساق
اقدامنا صوب الكاتدرائية . اننا مسوقات لحمل عبء الشــهادة .
منذ ذوى اكتوبر الذهبي في نوفمبر المعتم
وجمع التفاح وخزن ، واصبحت الارض نقاطا بنيــة
حادة من الموت في قفر من المـــاء والطين ،
والعام الجديد ينتظر ، يتنفس ، ينتظر ، يهمس في الظلمـــاء .

بينما العامل ينفض الطين عن حذائه ويمد يـــده
صوب النـــار ،
ينتظر العام الجديد ، والقدر ينتظر القادمين .
فمن ذا الذى يمد يده الى النار ، ويتذكر القديسين
في عيدهـــم :
يتذكـــر الشهداء والقديسين الذيـــن ينتظرون
الاستشهاد ؟
من ذا الذى يمد يده الى النار ، وينكر مولاه؟ من
سيدفأ قرب النار ، وينكر مولاه ؟
سبع سنوات انقضت ، وقد انتهى الصيف
سبع سنوات ، منذ تركنا كبير الاساقفـــة ،
وهو الذى كان دوما رحيما بشعبه .
لكن قد لايكون من الخير ان يعود
والحكم بيد الملك او البارونات ؛
لقد عانينا ضروب القمـــع
ولكننا غالبا مانترك وشأننا ،
ونحن قانعون بأن نترك وشأننا .
نحاول ان نحافظ على بيوتنا مرتبة ،
ويحاول التاجر منا ، خجلا حذرا ، ان يجمـــع
ثروة ضئيلة ،
والعامل ينحنى على قطعة ارضه ، ولونها كلونه ،
مفضلا ان يمضى في حياته لا يلحظه احـــد .
والان ، اخشى ان تضطرب الفصول الهادئـــة
فلسوف يأتي الشتاء جالبا الموت من البحر
وسيدق الربيع المدمر على ابوابنـــا

وستأكل الجذور والبراعم عيوننا وآذاننا
وسيحرق الصيف الفاجع قيعان غدراننا
وسينتظر الفقراء اكتوبر آخر ذابلا .
واني للصيف ان يجلب العزاء
عن نيران الخريف وضباب الشتاء ؟
وما عسانا نفعل في حر الصيف
سوى ان ننتظر في البساتين القاحلة اكتوبر آخر
ان مرضا ما سوف يدركنا . نحن ننتظر . نحن
ننتظر
والقديسون والشهداء ينتظرون ، ينتظرون اولئك
الذين
سيغدون شهداء وقديسين .
والقدر معلق بيد الله ، يشكل ما لم يتشكل بعد :
لقد رأيت هذه الامور في حزمة من ضوء الشمس
القدر معلق بيد الله ، لا بيد الساسة
الذين يخططون ويخمنون ، ان
خيرا ، وان شرا ،
ولهم اهدافهم التي تتبدل في ايديهم حسب قالب
العصر .
تعال ، ياديسمبر السعيد ، من سيلحظك ؟ من
سيحفظك ؟
وهل سيولد ابن الانسان ثانية في مذود الازدراء؟
نحن الفقراء ، ليس لنا من فعل ،
الا ان ننتظر وان نكون شهودا .
(يدخل الكهنة)

الكاهن الأول

سبع سنوات انقضت ، وقد انتهى الصيف .
سبع سنوات ، منذ تركنا كبير الاساقفـــة

الكاهن الثاني

وماذا يفعل كبير الاساقفة ، وعاهلنا البابا
مع الملك العنيد ، والملك الفرنسى
مكائد لا تنتهى ، ومداخلات ، واجتماعات
ومداولات ، ولقـــاءات مقبولة ، ولقـــاءات
مرفوضة ،
لا تصل الى نهاية ، او هى لا تنتهى
في مكان او آخر من فرنسا ؟

الكاهن الثالث

انني لا أرى شيئا حاسما حقا في فن الحكم الدنيوى
الا العنف ، والنفاق ، وسوء الادارة المعتاد
وسواء حكم الملك او حكم البارونات :
فان الرجل القوى يحكم بقوته ، والرجل الضعيف
يحكم بنزوتـــه ،
وليس لديهم الا قانون واحد ، وهو ان يحوزوا
السلطة
وان يحتفظوا بهـــا ،
القوى الشكيمة منهم يستطيع ان يعالج جشـــع
الاخرين وشهواتهم ،
اما الضعيف فان جشعه وشهوته يلتهمانه .

الكاهن الأول

ألن تصل هذه الامور الى نهايـــة
حتّى يكون الفقراء المتجمعون عند البوابة
قد نسوا صديقهم ، اباهم في الله ، حتّى يكونوا
قد نسوا
انهم كان لهـــم صديق ؟
(يدخـــل رســـول)

الرســـول

يا عباد الله ، ويا حراس المعبـــد ،
جئت لاخبركم ، دون مواربـــة :
ان كبير الاساقفة في انجلترا ، وهو قريب مـــن
اطراف المدينـــة .
وقد بعث بي قبله على عجـــل
لا حيطكم علما بمجيئه ، بأسرع ما في الامكان .
لتتأهبوا للقائـــه .

الكاهن الأول

ماذا ، هل انتهى النفى ، وهل اجتمع شمل
سيدنا كبير الاساقفة وشمل الملك ؟ يا لهـــا من
مصالحـــة
بين رجلين مزهوين ؟

الكاهن الثالث

وأى سلام يستطيع ان ينمـــو
بين المطرقـــة والســـندان ؟

الكاهن الثاني

انبئتنـــــا
هل انتهت النزاعات القديمة ، وهل سقط حائط
الزهـــو
الذى قام بينهما ؟ هل الامر سلم ام حرب ؟

الكاهن الأول

هـــل يجـــيء
وقد استوثق تماما ، ام آمنا فحسب
في رحاب قوة روما ، والسلطة الروحية ،
ووثوق الحق ، ومحبـــة الشعب ؟

الرســـول

من حقكم ان تبدوا بعض الشك .
انه يجيء مزهوا وحزينا ، مؤكدا كل دعاواه ،
واثقا ، ثقة لا تعرف الشك ، من اخلاص الناس ،
الذين استقبلوه بمشاهد من الحماسة المجنونة ،
مصطفين على جانبي الطريق ، وهم يطوحـــون
بدثاراتهم
وقد فرشوا طريقه بأوراق الاشجار ، وزهـــور
الموسم الاخيرة .
ولسوف تحشر شوارع المدينة لحـــد الاختناق ،
واظن ان حصانه سيحرم من ذيلـــه ،
وان شعرة واحدة من هذا الذيل ستكون ذخيرة
نفيسة مقدسة .

فهو متفق مع البابا ، ومع ملك فرنسا
الذى كان يود ـ صادقا ـ ان يستبقيه في مملكته :
اما فيما يتصل بملكنا ، فذلك شأن آخـــر .

الكاهن الاول

ولكن للمرة الثانية ، هل الامر حرب او سلام ؟

الرســول

سلام ، ولكن دون قبلة سلام
امر مرقع ، اذ اردت رأيى .
فاذا سألتني ، فانى اظن ان سيدنا كبير الاساقفة
ليس بالرجل الذى يتعلق بالاوهـــام ،
وليس بالرجل الذى يتخلى عن القليل من دعاواه.
واذا اردت رايى ، فاني اظن ان هذا السلام
لايبدو كأنه نهاية ، او كأنه بدايـــة .
فمن المعروف الشائع ان كبير الاساقفة
قال للملك ، وهو يرحل عنه ،
مولاى ـ هذا ما قال ـ اني اتركك مقدرا
انى لن اراك ثانية في هذه الحيـــاة .
وانا اعرف هذا ـ يقينا ـ من اعلى المصادر ،
وهناك آراء عديدة في تفسير ما كان يعنيـــه
ولكن ما من احد يعد هذه الكلمات تكهنا سعيدا
(يخـــرج)

الكاهن الاول

اخشى على كبير الاساقفة ، اخشى على الكنيسة،

اعلم ان الزهو الناتج من النجاح المفاجىء
قد زاد استحكاما في نفسه بسبب المحنة المريرة .
ولقد رأيته ، حين كان مستشارا ، مملقا من الملك
محبوبا او مخشيا من رجال الحاشية ذوى الاسلوب
المتغطرس ،
محتقرا ، محتقرا ، منعزلا عنهم ابــدا
وما كان واحدا منهم قط ، وكان عرضة للخطر
دومــا ،
يقتات زهـــوه دوما على فضــائله ،
كان زهوه يســتمد قوته من انصافه ،
كان زهوه يســتمد قوته من كــرمه ،
كان يحتقر السلطة الممنوحة له بالتفويض الزمني ،
ويريد الامتثــال لله وحده .
ولو كان الملك أعظم ممــا هو ، أو كان أضعف
فلربما اختلفت الامور بالنسبة لتوماس

الكاهن الثاني

ومع ذلك فقد عاد سيدنا . عاد سيدنا ثانية الى مكانه
لقد انتظرنا طويلا ، من ديسمبر الى ديسمبر
الموحش .
سيكون كبير الاساقفة على رأسنا ، يطرد اليأس
والشــك .
وسينبئنا بما نفعل ، وسيوجه الينا أوامره.وسيرشدنا
وسيدنا متفق مع البابا ، وكذلك مع ملك فرنسا .

وبوسعنا ان نستند الى صخرة ، وان نأمن موطىء
اقدامنا
في مواجهة اضطراب المـد والجزر الازلي ،
لتوازن قوى البارونات وملاك الاراضي .
ان صخرة الله تحت اقدامنا . فلنلق كبير الاساقفة
بشكرنا القلبي :
لقد عاد سيدنا ، عاد كبير أساقفتنا ، وحين يعود
كبير الاساقفة
فان شكوكنا تنزاح ، لنبتهج اذن ،
أقول : لنبتهج ، ونبدى وجوهنا المستبشرة
ترحيبـا به .
أنا رجل كبير الاساقفة . فلنمنح كبير الاساقفة
ترحابنـا .

الكاهن الثالث

فلتدر الرحى ، سواء أكانت دورتها لخير أو لشر .
لقد سكنت الرحى طوال هذه السنوات السبع ،
ولم يجـدِ خير .
لخير اذن أو لشر ، لتـدر الرحى ،
فمن يستطيع ان يعرف ما نهاية الخير أو الشر ؟
قبل ان تتوقف الطواحـين
وقبل ان يوصـد الباب عن الطريق ،
وتخفت كل ظلال الموسيقى .

الجوقـة

ليست هذه مدينة دوام ، ليس هنا دار مقام .

مريضة هي الريح ، مريض هو الزمن ، والكسب ملتبس
الامـــر ، والخطـــر يقين .
فائت فائت فائت ، فائت هو الزمن ، فائت جد الفوت ،
والعـــام عفّن .
شريرة هي الريح ، ومرير هو البحر ،ورمادية السماء ، رمادية رمادية رمادية .
عد ، يا توماس ، ياكبير الاساقفة ، عد ، عـــد الى فرنســـا .
عد . مسرعا . في هدوء . ودعنا نهلك في هدوء .
جئت مصحوبا بالتهليل ، جئت مصحوبا بالبهجة ولكنك
جئت جالبـــا الموت الى كانتر برى :
جئت بمصير البيت ، ومصيرك ، ومصير العالم .
لا نريد لشيء أن يحدث ،
فقد عشـــنا هادئين سبع ســـنين ،
وافلحنا في تجنب الالتفات الينـــا ،
كنا نحيا ونحيـــا جـــزئيا .
كان هناك ظلم وترف ، ،
كان هناك بعض الفقـــر ، وبعض الســـعة ،
وكانت هناك بعض المظالم الصغيرة .
ولكننا مع ذلك مضينا في الحيـــاة ،
نحيا ، ونحيـــا جزئيـــا .
ففى بعض الاحيان كان القمح يخذلنـــا ،

واحيانا كان الحصاد يجــود ،
وقد يأتي عام ممطـــر ،
يتلوه عام من الجفــاف ،
ويكون التفاح وفيرا في عـــام ،
وفي عام آخر قد ينقص البرقــوق
ولكننا مضينا في الحيـــاة
نحيا ، ونحيا جزئيـــا ،
ولقد راعينا الاعياد ، وسمعنا القداســـات
وخمرنا الجعة وعصير التفـــاح ،
وجمعنا الاخشاب تحسبا للشتاء ،
وتحادثنا على اطراف النـــار
تحادثات على نواصي الطرقـــات ،
وما كان كل حديثنا همســـا ،
كنا نحيا ، بطريقة ما نحيـــا .
ولقد رأينا ولادات ، ووفيات ، وزيجـــات ،
وكانت لنا فضائح متنوعـــة ،
ونالنا الكرب من الضرائب ،
وكان لنا ضحكنا وثرثرتنـــا ،
وقد اختفى العديد من فتياتنا ،
دون تعليل ، وبعض فتياتنا لم يستطعن الاختفاء .
وكان لكل منا رعبـــه الخاص ،
ولكل منا ظله الخاص ، ومخاوفه السرية .
ولكننا الان ، يحيق بنا خوف عظيم ، ليس
خوفا يحسه واحد منا بل يحسه الجميع ،

خوف مثل الميلاد والموت ، حين نعايـــن الميلاد
والموت وحيدين
عزلا في الخلاء كلا على حدة ، نحن
نعاني خوفا لا نستطيع ان نعرفه ، لانستطيع ان
نواجهه ، ولا
يفهمـــه احـــد ،
قلوبنا منزوعة عنا ، وادمغتنا مقشرة مثـــــل
راقات البصلة ،
وارواحنا ضائعة ضائعـــة
في خوف شامل لا يستطيع فهمه احــــد .
انت ياتوماس
يا كبير الاساقفـــة ،
ياتوماس ، ياسيدنا ، دعنا نعيش ، في اطار
عيشنا المتواضع الملوث ، دعنا ، لا تسألنا
ان نتصدى لمصير البيت ،ومصير كبير الاساقفة ،
ومصير العالم .
ياكبير الاساقفة ، هل تدرك ما انت سائلـــه ؟
بينما انت آمن واثق من قدرك ، لا ينالك الشغب
بين الظـــلال
هل تدرك ما يعنيه ذلك للبسطاء الذين يستدرجون
الى
مواجهة القدر ، البسطاء الذين يحيون بين اشياء
صغيرة .
هل تدرك اى عبء تضع على رأس البسطاء ،

الذين يتصدون لمصير البيت ، ومصير سيدهم ،
ومصير العـــالم ؟
أنت يا توماس ، يا كبير الاساقفة ، دعنا ، دعنا ،
دع « دوفـــر »
الكئيبة ، وانشر شراعك الى فرنسا ، توماس
كبير
اساقفتنا سيظل هو كبير اساقفتنا حتى وهو في
فرنســـا .
يا توماس ، يا كبير الاساقفة ، انشر الشراع
الابيض
بين السماء الرمادية والبحر المرير ، دعنـــا ،
دعنا وعـــد الى فرنســـا .

الكاهن الثاني

يا لها من طريقة للحديث في مثل هذا الوقت الحرج !
انكن نســـوة حمقاوات ، ثرثارات ، بلا حياء .
هل تعلمن ان كبير الاساقفة الطيب
قـــد يصل في أى لحظـــة ؟
وان الجموع في الشوارع ستهلل وتهال ،
بينما أنتن ترسلن النقيق كالضفادع في قمم الاشجار
ولكن الضفادع – على الاقل – قد تطبخ وتؤكل .
مهما يكن ما تخفن منه ، وفقا لادراككن الخائر ،
فاني أسألكن على الاقل ان تبدين وجوها مبتهجة ،
وان ترحبن من قلوبكن بكبير الاساقفة الطيب .

(يدخل توماس)

توماس

سلام . ودعهن في تهليلهن .
فهن يتحدثن بأفضل مما يعرفن ، وبالا يحيط به فهمك
هن يعرفن ولا يعرفن ، ما معنى الفعل ومعنى المعاناة .
هن يعرفن ولا يعرفن ، ان الفعل هو المعاناة
وان المعاناة هي الفعل .
ومع ذلك فان الفاعل لا يعاني
والمعاني لا يفعل . ولكن كليهما ثابتان
في فعل أبدى ، في صبر أبدى
يجب على الجميع الاذعان له حتى يراد الامر
ويجب على الجميع ان يعانوه حتى يريدوه ،
حتى يمكن ان يدوم النظام ، لان النظام هو الفعل
وهو المعاناة ، وحتى تستطيع الرحى ان تدور
وان تظل ساكنة الى الابد .

الكاهن الثاني

سامحني ، يا سيدى ، فلم أرك قادما
استغرقتني ثرثرة هؤلاء النسوة الحمقاوات

سامحنا ، ياسيدى ، فقد كنت جديرا بترحيب أفضل
لو اننا كنا أعددنا للقاء هذا الحدث من قبل .

ولكن سيادتك تعلم ان تلك السنوات السبع من الانتظار ،

السنوات السبع من الصلاة ، السنوات السبع من الخواء ،
قد أعدت قلوبنا لمجيئك .

أفضل مما تعطينا أيام سبعة من الوقت لاعداد كنتر
بري .
وعلى كل حال ، فسأوقد النار في كل حجراتك
لكي تذهب النار بلذعة سبتمبرنا الانجليزى ،
فقد اعتدت سيادتك الان على مناخ أفضل .
ولسوف تجد سيادتك حجراتك على هيئتها كما
تركتها .

توماس

وسأحاول ان اتركها على هيئتها كما أجدها .
واني لاكثر من شاكر على اهتمامك الرقيق .
هذه أمور صغيرة ، فهي استراحة قصيرة في كنتر بري
وقد أحدق بنا أعداء متلهفون لا يهدأون .
فالاساقفة المتمردون ، اساقفة يورك ولندن
وسالسبيرى
كانوا خليقين بأن يقطعوا الطريق على خطاباتنا ،
وان يملأوا الساحل بالجواسيس ، وان يرسلوا للقائي
بعضا ممن يحملون لى أمر الكراهية .
ولكني ، بنعمة الله ، كنت عارفا بتدبيرهم
فأرسلت خطاباتي في يوم غير ما توقعوه ،
وعبرت البحر سالما ، ووجدت في صاندويتش
وبروك ، ووارن ، وشريف كنت
قوما اقسموا ان ينزعوا رأسي عن جسدى
ولكن جون ، مطران سالسبيرى ،
خوفا على اسم الملك ، ومحذرا ضد الخيانة ،

جعلهم يكفون أيديهم عني . وهكذا فنحن الان
نصل سـالمين من الاذى .

الكاهن الاول

ولكن هل هم يتبعونك ؟

تومـاس

ان الصقر الجـائع
سوف يقنع بأن يحلق ويرف لفترة قصيرة ، ويدور
هابطـا ،
وهو يختلق العذر ، أو الذريعة المدعاة ، أو الفرصة
وستكون النهاية بسيطة ، مفاجئة ، عطاء من الله .
وفي ذات الوقت ، فان مادة فعلنا الاول
ستكون اشباحا ، ونزاعا مع الاشباح .
ستكون الفترة الفاصلة أشق من بلوغ الغاية
كل الامور تعد للحدث . فراقب الامر .
(يدخل المجرب الاول)

المجرب الاول

ها أنت ذا ترى يا مولاى ، أني لم انتظر الاذى
كما تقضي المراسم :
بل جئت ناسـيا كل حدة طبع ،
آملا ان تجـد رزانتك المـاثلة
العـذر لخفتي المتواضعة
متذكرا كل الزمن الطيب المنقضي .

فسيادتك لن تزدرى صديقا قديما فاقد الحظوة ؟
يا توم العجوز ، يا توم المرح ، يا بيكيت اللندني
سيادتك لن تنسى تلك الامسية على النهر
حين كان الملك وانت وانا كلنا صحبةواصدقاء ؟
ان الصداقة يجب ان تكون اكبر من أن يستطيع
الزمن اللاذع ان يبترّها .
ما الامر يا سيدى ، وانت الان تستردّ
حظوتك لدى الملك ، هل تقول ان الصيف قد انقضى
أو ان الزمن الطيب لا يمكن ان يدوم ؟
أين الزمر في المروج ، وعزف الكمان في الردهة ،
والضحك بينا تطفو نوارات التفاح على المـــاء ،
والغناء عند هبوط الليل ، والهمس في المقاصير ،
والنـــار وهي تلتهم فصل الشتاء ،
وتأكل الظلام ، في صحبة الفكاهة والحكمة والنبيذ !
الان ، وقد اصبحتما متوادين ، الملك وانت ،
يستطيع رجال الدين وسواد الناس ان يعودوا
إلى المرح ،
ولا يعود السرور والمرح بحاجة إلى أن يمشيا في
حذر .

تومــاس

أنت تتحدث عن فصول انقضت ، اوني لا ذكر
مالا يستحق النسيان .

المجرب الأول

وعن الفصل الجديد أيضاً .

لقد أهل الربيع في الشتاء ، وسوف يطفو الثلج
عالقا بالاغصان ، فيكون خلوا كنوارات التفاح
وسيكون الجليد على امتداد الاخاديد مـــرآة
لضوء الشمس .
والحب في الرياض سيبعث العصارة في فروع
النبات .
والسرور يتحدى الكآبة .

تومـــاس

نحن لا نعلم الكثير عن المستقبل
لا نعلم سوى انه من جيل إلى جيل
تحدث نفس الاشياء مرة بعد مرة .
والانسان يتعلم القليل من تجربة الآخرين .
ولكن ، في حياة رجل واحد ، لا يعود نفس
الوقت ابدا .
فابتر الحبل ، ترفع المرساة ، ولكن الاحمق
وحده ، ملتصقا بحمقه ، هو الذى يظن
انه هو الذى يدير العجلة التى يدور عليها .

المجـــرب

ايماءة منك تقنعني مثلما تقنعني طرفة عينك ،
يا مولاى .
والانسان يعود عادة إلى حب ما امتهنه .
ومن اجل الايام الجميلة الماضية ، التى
عادت ثانية
فاني تابعك .

توماس

لست تابعى في هذا الموكب
تأمل في مسلكك . فإذا كنت تريد أن تكون
أكثر أمنا
ففكر في التوبة ، واتبع مولاك .

المجرب

لا أتبعه في هذا الطريق !
فلو مضيت سريعا ،استطاع غيرك ان يكون اسرع
ان سيادتك بالغ الزهو !
ان آمن الوحوش ليس ذلك الذى يزأر بأعلى
صوت ،
ولم يكن دأبك ان تكون قاسيا على الخطاة ،
حين كان الخطاة اصدقاءك . فتساهل . يا رجل !
فالرجل المتساهل يعيش ليأكل أفضل العشاء .
خذ نصيحة صديق . دع كلا لحاله ،
والا فان اوزتك ستطبخ وتؤكل حتى عظامها .

توماس

لقد جئت متأخراً عشرين عاما .

المجرب

إذن ، فأنا اتركك لقدرك .
اتركك لتستمع برذائلك الكبرى ،
التى ستدفع عنها ثمناً أعلى .

وداعا يا سيدى ، فأنا لم أنتظر الاذن كما تقضى
المراسم ،
واني لأمضى كما جئت ، ناسيا كل حدة طبع
آملا أن تجد رزانتك الماثلة
العذر لخفتى المتواضعة .
فإذا كنت ستذكرني ، يا سيدى ، في صلواتك ،
فاني سأذكرك وقت التقبيل تحت الدرج .

توماس

دع كلا وحاله ، كان المرء يظن ان وهم الربيع ،
يمضى يصفر في الريح .
ان المستحيل ما زال اغراء وغواية .
المستحيل ، غير المرغوب فيه ،
الاصوات التى يثقلها النوم ، توقظ عالما ميتا ،
حتى لا يكون العقل كله مستغرقا في الحاضر .
(يدخل المجرب الثاني)

المجرب الثاني

سيادتك نسيتنى ، ربما ، ولكنى سأذكرك .
لقد تلاقينا في كلارندون ، بناحية نورثامبتون ،
وآخر مرة كانت في مونتميريل ، في مدينـــة
« ين » ، والان وقد
ذكرتك بهذين اللقاءين
دعنا فحسب نضع هذه الذكريات التى لم تكن
بالغة البهجة

في الميزان ،
لان هناك ذكريات أبعد زمنا واثقل وزنا :
تلك هى ذكريات أيام كنت وزيرا ،
انظر كيف تخف كفة هذه الذكريات الأخيرة .
انت
يا سيد الساسة
الذى يعترف به الجميع ، يجب ان تقود الدولة
مرة ثانية .

توماس

ماذا تعنى ؟

المجرب

الوزارة التى اعتزلتها
حين عينت كبيرا للاساقفة – وكان ذلك خطأ
منك –
ما زالت هناك فرصة استعادتها ، فكر : يا سيدى ،
ان القوة حين تحاز تنمو مجدا ،
يمتد مع الحياة . ملكا دائما .
ثم قبرا مقدسا ، ونصبا من الرخام .
ان السيطرة على البشر لا تعد جنونا .

توماس

وأى فرح في هذا لرجل الله ؟

المجرب

الحزن وحده

هو نصيب اولئك الذين يهبون الحب لله وحده ،
فهل يكون حظ هذا الذى أمسك بالمادة الصلبة
ان يهيم يقظا مع الظلال المخادعة ؟
ان السلطة حاضرة طوع اليد ، أما القداسة فأمر
يأتي فيما بعد .

توماس

ومن اذن ؟

المجرب

الوزير ، الملك والوزير .
الملك يقود ، والوزير يحكم بسلطانه الواسع
تلك صيغة لا تعلم في المدارس .
عندئذ تكبح العظماء ، وتحمي الفقراء ،
هل يستطيع الانسان تحت عرش الله ان يفعل اكثر
من ذلك ؟
تنزع سلاح الاوغاد ، وتشد ازر القوانين
ان الحكم لصالح القضية المثلى
وتوزيع العدالة بحيث يتساوى الجميع
هو فلاح على الارض ، وربما في السماء .

توماس

وبأى الوسائل ؟

المجرب

ان السلطان الحق

يشترى بثمن شيء من الخضـــوع .

اما سلطانك الروحى فهو هلاك دنيوى .

ان السلطة حاضرة ، في متناول ذلك الذى سوف يستخدمها ببراعـــة .

تومــاس

ومن سينالهــا ؟

المجــرب

ذلك الذى سيأتي .

تومــاس

في أى شـــهر ؟

المجــرب

الاخير من الاول .

تومــاس

وماذا سنعطى في مقابل السلطة ؟

المجــرب

ادعاء سلطان الكهنـــة .

تومــاس

ولماذا يجب ان تعطى ذلك ؟

المجـــرب

من اجل القوة والمجـــد .

تومـــاس

لا !

المجـــرب

نعم ، والا فان الشجاعة ستتحطم ،
وهى حبيسة في كانتر برى ، حاكم بلا مملكة ،
خادم قيد ذاته الى بابا لا سلطان له ،
وعلى عجوز ، محاط بكلاب الصيد .

تومـــاس

لا !

المجـــرب

بل نعم ! فالرجال لابد ان يناوروا ، وكـــذلك
المـــلوك ،
حين يشنون الحروب في الخارج ، يحتاجون الى
اصدقاء موالين
لهم في الداخـــل .
ان السياسة الخاصة ، هى منفعة عامة ،
والكرامة تظل في حاجة الى ان تتزيا باللباقـــة .

تومـــاس

انك تنسى الاساقفـــة
الذين حكمت عليهم بالحرمـــان .

المجــرب

ان البغضاء الجائعــة
لن تماحك في مواجهة المصلحة الذاتية الذكيــة .

تومــاس

انت تنسى البارونات ، الذين لن ينسوا
حرمانهم المتصل من صغائر الميرات .

المجــرب

ولكن في مواجهة البارونات
هناك قضية الملك ، وقضية الفلاح ، وقضيةالوزير

تومــاس

لا ، أأهبط انا الى ان ارغب في سلطان ادني من
سلطاني
وانا الذى احفظ مفاتيح الجنة والجحيم ، السامى
القــدر
وحدى في انجلترا ، من له حق النقض والابرام ،
بسلطان
من البابا ؟
انا المفوض في امر العذاب الابــدى ،
لكى ادين الملوك ، لا اخدم بين خدامهم ،
ذلك هو عملى . لا ! اذهب !

المجــرب

اذن ، فانا اتركك لقدرك .

ان خطاياك تحلق صوب الشمس ، حاجبة صقور
المـــلك .

تومـــاس

السلطة الزمنية ، قد تبنى عالمــــا طيبا
وتحفظ النظام ، كما يعرف العالم النظام .
ان اولئك الذين يضعون ثقتهم في النظام الدنيوى
غير المحكوم بنظام الله ،
فهم – في جهل واثق – يمسكون بالفوضى ،
ويثبتونها ، ينتجون المرض المميت
وينحطون بما يرفعون من قـــدرة . تقاسم السلطان
مع الملك –
لقد كنت أنا الملك ، ساعده ، تفكيره الاصوب.
ولكن ما كان ذات مـــرة صعودا
لا يعني الان الا الهبوط
(يدخل المجرب الثالث)

المجرب الثالث

أنا زائر غير متوقع

تومـــاس

كنت أتوقع مجيئــك ؟

المجرب الثالث

ولكن ليس في هذا الزى ، او لغرضي الراهن .

تومـــاس

لن يثـــير أي غرض دهشتي .

المجـــرب

حســـنا ، يا سيدى ،
لست مولعـــا بالصغائر ، ولست سياسيا .
لا أجيد التسكع أو التآمر فيالبلاط .
ولست نديمـــا في البلاط
لا أعرف الا فرسي وكلبي ومحظيتي ،
واعرف كيف أحفظ نظام ضياعي
أنا سيد ريفي يعنى باموره الخاصة .
ونحن سادة الريف هم من يعرفون البلاد
ونعرف ما تحتاجه البلاد .
فهي بلادنا ، ونحن مهتمون بها .
نحن العمود الفقـــرى للامة .
نحن ، لا الطفيليون المتآمـــرون
المحيطون بالملك . اغفر لي صراحتي :
فأنا رجل انجليزى فظ مستقيم .

تومـــاس

هات ما عندك باستقامة .

المجـــرب

الغرض واضح
ان دوام الصـــداقة لا يعتمد

على ذواتنا ، بل على الظروف .
ولكن الظروف ليست شيئا لم يتّم الفصل فيه .
فقد تتحول الصداقة الزائفة الى صداقة حقيقية
ولكن الصداقة الحقيقية ، اذا انتهت ، لا يمكن
اصلاحها .
وما اسرع ما تتحول العداوة الى تحالف .
فالعداوة التي لم تعرف الصداقة قط
تستطيع بسرعة ان تعرف الوفاق .

تومــاس

رغم كـــونك ريفيـــا
فأنت تغلف المعنى الذى تريد في التعميم الداكن
تمـــاما كأى رجل بـــلاط .

المجـــرب

هذه هي الحقيقة البسيطة !
ليس لديك أى أمل في المصالحة
مع الملك هنرى ، فأنت تتطلع فحسب
الى التأكيد الاعمى في عـــزلتك .
وذلك خطـــأ .

تومــاس

يا هنرى ! يا ملكي !

المجــرب

ان أصدقاء آخـــرين

قد يوجدون في الموقف الحالي .
فالملك في انجلترا ليس بالغ القوة ،
والملك الان في فرنسا يتناحر في « أنجــو » ،
وحوله ينتظر ابناؤه الجياع الى الملك .
نحن نفكر في انجلترا ، نحن نعيش في انجلترا .
وانت ، وانا ، يا سيدى من النورمانديين
وانجلترا ارض يســود عليها النورمانديون
فــدع الملك « الانجيفي » يدمــر نفسه ،
محاربا في أنجو ، فهو لا يفهمنا ، نحن بارونات
الانجليز .
نحن الشــعب .

تومــاس

والام يؤدى هذا الحديث ؟

المجــرب

الى تحالف ســعيد
بين المصــالح العــاقة .

تومــاس

ولكن ماذا تقــدم أنت —
اذا كنت تتحدث باسم البارونات —

المجــرب

بل باسم حــزب قوى .
قد تطلع بعيونه نحوك —

لكي يفيد منك ، اذا كنت سيادتك تسأل عن ذلك؟
فلنا ، سيكون رضـــا الكنيسة ميزة ،
ومباركة البـــابا حمـــاية قوية
في صراعنا من أجل الحرية ، وانت يا سيدى
حين تكون معنا ، قد تستطيع ان توجه ضربة قوية
فورا ، لمصلحة انجلترا ، ولمصلحة روما ،
منهيـــا بها السلطة الطاغيـــة
لبلاط الملك على بلاط الاسقف ،
ولبلاط الملك على بلاط البارونات .

تومـــاس

أنهي سلطة الملك التي ساعدت في خلقها

المجــرب

التي ساعدت في خلقها ،
ولكن الزمن المـــاضي زمن منسي .
ونحن نتوقع شروق مدار جـــديد .

تومـــاس

واذا كان كبير الاساقفة لا يستطيع الثقة بالملك ،
فكيف يستطيع الثقة باولئك الذين يعملون على
نقض سلطته .

المجــرب

الملوك لا يسمحون بسلطة غير سلطتهم ،
وللكنيسة والشعب سبب قوى للوقفة ازاء العرش :

توماس

اذا كان كبير الاساقفة لا يستطيع الثقة بالعرش
فلديه اذن سبب قوى لكي لا يثق بأحد الا الله .
لقد حكمت مرة كوزير
وكان رجال مثلك يسعدون بالانتظار ببابي .
لا في البلاط فحسب ، بل في الحقل ايضا
وفي ساحة المبارزة ، كم جعلت الكثيرين
يرضخون لامرى .
فهل أغدو في هيئة ذئب بين الذئاب
وانا الذى حكمت كالنسر بين الحمائم ؟
فلتتابع خياناتك كما فعلت من قبل :
فلن يقول أحد انني خنت ملكا .

المجرب

اذن ، يا سيدى ، فلن أنتظر ببابك .
واني لامل قبل ان يجيء ربيع جديد
ان يبدى الملك تقديره لولائك .

توماس

ان يصنع الانسان ، ثم يحطم ما صنعه ، خطرت
هذه الفكرة من قبل ببابي ،
انها الممارسة اليائسة للسلطان الهاوى .
لم يفعل شمشون في غزة اكثر من ذلك .
ولكني لو حطمت ، فعليّ ان أحطم نفسي فحسب
(يدخل المجرب الرابع)

المجرب الرابع

حسنا فعلت ، يا توماس ، فعزمك صلب لا يلين.
وحين يكون مكاني بجانبك ، فلن تفتقد صديقا .

تومــاس

من أنت ؟ فلقد توقعت
ثلاثة زوار ، لا أربعـــة .

المجــرب

لا تدهش لاستقبال زائر جـــديد .
لو كنت زائرا منتظرا ، لكنت هنا من قبل .
ولكني دائمـــا أســبق التوقعات .

تومــاس

من أنت ؟

المجــرب

بما انك لا تعرفني ، فاني لا احتاج لاسم ،
وبما انك تعرفني ، فلهذا جئت .
وانت تعرفني ، وان كنت لم تروجهي من قبل .
فلم يتسع الوقت أو المكان للقائنا .

تومــاس

قل ما جئت لقولـــه .

المجــرب

سيقال في آخـــر الامر

لقد علقت بالخطاطيف مزق من لحم المـــاضي ،
والتهور ليس الا ضعفا . وكراهية الملك
القاســية لن تعرف غاية .
وانت تعلم بحق ، ان الملك لن يثق قط
مرة ثانية بالرجل الذى كان صديقه .
فاستعر نفع الاخرين بحـــذر ، واستخدم
أفضالك طالمـــا كان عليك ان تعير .
وقد تنتظر حتّى تقع فريستك في الفخ ، وقــد
استنفدت
أغراضك ، محطما مهشـــما .
أما عن البارونات ، فان حسد الرجال الذين
هم دونك يظل أشـــد عنادا من غضب الملك .
فالملوك يصدرون في افعالهم عن السياسة العامة ،أما
البارونات فعن سعيهم نحو نفعهم الخاص ،
والغيرة هي صفة الشيطان المحتدمة .
والبارونات يمكن استخدامهم كل ضد الاخر ،
أما الملوك فهدفهم ان يحطموا أعداء أكبر .

تومـــاس

وما مشـــورتك ؟

المجــرب

امض قـــدما نحو الغـــاية .
فكل الطرق الاخرى موصدة أمامك
ما عدا الطريق الذى اخترته بالفعل .

ولكن ، ما البهجة ، أو الحكم الملكي .
أو حكم الرجال تحت امـــرة الملك ،
مع ما يصحب ذلك من الخديعة في الحناياوالمناورة خلســـة ،
ازاء امتلاك السلطة الروحية ؟
ان البشر محكوم عليهم بالخطيئة ، منذ سقط آدم—
وانت تحمل مفاتيح الجنـــة والجحيم .
تحمل سلطان النقض والابرام : فأبرم ، يا توماس ، أبـــرم ،
فالملك والاساقفة تحت كعبك .
ملك ، امبراطور ، اسقف ، بارون ، ملك :
سيادة غير مؤكدة لجيوش ذائبة ،
والحرب ، والوباء ، والثـــورة
والمؤامرات الجديدة ، والتحالفات المنقوضة ؟
ان يصبح الانسان سيدا أو خادما في ساعة زمن ،
ذلك كله هو مجرى تقلبات السلطة الزمنية .
وسيعرف الملك العجوز ذلك ، حين يجد في النفس الاخير
أنه يمضي بلا أبناء ، بلا امبراطورية ، وسوف
يعض على نواجذه المحطمة .
انك تمسك بالمغزل : فأدر ، يا توماس ، أدر
خيط الحياة الخالدة والموت .
انك تحوز هذا السلطان ، فاحتفظ به .

تومــاس

السلطان الاعلى قــدرا ، في هذه الارض ؟

المجــرب

الاعلى قــدرا ، فيما عدا واحدا .

تومــاس

ذلك ما لم افهمــــه .

المجــرب

ليس لي أن اخبرك كيف يكون الامر كذلك ،
فأنا هنا يا توماس ، لاخبرك بما تعرف .

تومــاس

والام يلوم ذلك ؟

المجــرب

فيما عدا ما تعرفه فعلا ، لا تسألني شيئا .
ولكن فكر ، يا توماس ، فكر في المجد بعدالموت
فحين يموت ملك ، هناك ملك جديد ،
وملك جــديد هو عهــد جــديد .
والملك ينسى حين يأتي آخــــر :
لكن القديس والشهيد يحكمان من القبر .
فكر يا توماس ، فكر في الاعداء الفزعين ،
يزحفون تائبين ، خائفين من ظل ،

فكر في الحجيج ، يصطفون
أمام الضريح المتلألىء بالجواهــــر ،
جيلا بعد جيــــل
يركعون في تضرع ،
فكر في المعجزات ، بنعمة الله ،
وفكر أن أعداءك سيكونون في مكان آخــــر .

تومــاس

لقد فكرت في هذه الامور .

المجــرب

ولذلك أخـــبرك .
ان لافكارك من القوة ما لا يستطيع الملوك معه ان يجبروك على شيء
ولقد فكرت ايضا ، احيانا في صلواتك ،
واحيانا حين تتمهل عند زوايا الدرج ،
وبين النوم واليقظة ، في الصباح الباكر ،
حين تصيح الطيور ، لقد فكرت في المزيد من الازدراء .
أنه لا شيء يدوم ، ولكن العجلة تدور ،
والعش ينهب ، والطير ينوح ،
والضريح سينهب ، والذهب سينفق ،
والجواهر قد تصبح زينة سيدات مستهترات ،
والحـــرم يحطم ، ويلقى بخزائنه
في جحور الطفيليين والعاهرات .

وذلك حين تنقطع المعجزات ،ويهجرك المخلصون
وسيبذل البشر ما بوسعهم لنسيانك .
والاسوأ من ذلك ما يأتي بعده ، ما قد يكون حين
لا يكرهك البشر
بما يكفي لكي يثلبوك او يلعنوك ،
بل يمعنون في تقدير الخصائص التى افتقدتها
ويحاولون ان يستوضحوا الحقيقة التاريخية .
عندما يعلن الرجال انه لم يكن ثمة سر مقدس
وراء هذا الرجل الذى لعب دورا معينا في التاريخ.

توماس

لكن ، ماذا هناك لا فعله ؟ ماذا ترك لى لافعله ؟
اليس هناك تاج خالد لاكسبه ؟

المجرب

نعم ، ياتوماس ، نعم ، لقد فكرت في ذلك ايضا
ماذا يقارن بمجد القديسين
اذ يسكنون الى الابد في حضرة الرب ؟
واى مجد ارضى ، لملك او امبراطور ،
او اى زهو ارضى ، ليس في الحق فقرا
اذا قورن بثراء العظمة السماوية
فابحث عن طريق الاستشهاد ، اجعل نفسك الادني
على الارض ، لتعلو في السماء .
وانظر الى ابعد من قدمك ، حيث تمتد الهوة .
ويمضى مضطهدوك في عذابهم الابدى ،

في عذاب الاحتراق ، دون تكفير عن الذنب .

تومــاس

لا !
من انت ، اذ تجربني برغباتي الخاصــة ؟
لقد جاء آخرون ، مجربون دنيويــون ،
جربوني بالبهجــة والسلطان ، بثمــن محسوس
ملموس .
فماذا تعرض انت ؟ وماذا تطلب ؟

المجــرب

اعرض ما ترغب فيــه ، واسأل
ما عليك ان تعطيــه . اهو كثير
كثمن لمثل هذه الرؤيا من العظمة الخالدة ؟

تومــاس

الاخرون عرضوا منافع حقيقية ، لا قيمة لهـــا
لكنها حقيقية . وانت تعــرض
احلام الدينونــة فحسب .

المجــرب

لقد كنت تحلم بها في اغلب الاحيــان .

تومــاس

أليس هناك سبيل اخرى ، لا تنبع مــن مرضى
الروحــى ،

ولا تقود الى الهـلاك زهوا ؟
فأنا اعلم تمام العلم ان هذه الاغراءات
تعنى زهوا حاضرا ، وعذابا قادما .
ألا يمكن ان يطرد الزهو الخاطىء
الا بزهو اكثر خطئا ؟ ألا استطيع ان افعل
او اعاني دون ان اهلك ؟

المجـرب

أنت تعرف ولا تعرف ، ما معنى الفعل أو المعاناة
انت تعرف ولا تعرف ، ان الفعل هو المعاناة ،
وان المعاناة هى الفعل . وانه لا الفاعل يعاني
ولا المعاني يفعل ، ولكن كليهما ثابتان
في فعل أبدى ، في صبر أبدى
يجب على الجميع الاذعان له حتى يراد الامر ،
ويجب على الجميع أن يعانوه حتى يريدوه ،
حتى يمكن ان يدوم النظام ، وحتى يمكن ان
تدور الرحى وتسكن .
وتظل ساكنة إلى الابد .

الجوقـة

لا راحة في البيت ، لا راحة في الطرق
اسمع حركة الاقدام القلقة . والهواء ثقيل وسميك
سميكة وثقيلة هى السماء . والارض تضغط في
مواجهة أقدامنا .
ما هذه الرائحة التى تثير الغثيان ، أهى السنجار ؟
أهى الضوء الاخضر

الداكن الهابط من غمامة على شجرة ذابلة ؟ إن
الارض
لتلهث نفساء بنسل الجحيم . ما هذا الندى اللزج
الذى
يتكون على ظهر يدى ؟

المجربون الاربعة

حياة الانسان خدعة وخيبة أمل ،
كل الاشياء زائفة ،
زائفة ، أو مخيبة للامال :
عجلة العذاب — ، أو اشارات المضحكين ،
الجوائز المقدمة في حفلات الاطفال ،
والجائزة المقدمة لاحسن مقال بالانجليزية ،
الدرجات العلمية ، وأوسمة الساسة .
كل الاشياء تغدو أقل حقيقة ، والانسان يمضى
من زيف إلى زيف .
وهذا الرجل عنيد ، أعمى ، قاصد
إلى دمار ذاته ،
يمضى من خداع إلى خداع ،
من تعاظم إلى تعاظم إلى وهم نهائي ،
ضائعا في اندهاشه بعظمته ،
فهو عدو الجماعة ، عدو لنفسه .

---

* في الاصل « عجلة كاترين » نسبة الى القديسة كاترين الاسكندرانية (المترجم)

الكهان الثلاثة

يا توماس يا سيدنا ، لا تحارب المد الجموح
لا تبحر في الريح التى لا تقاوم ، في العاصفة ،
ألا ننتظر حتى يسكن البحر ، وفي المساء
نظل ننتظر طلوع النهار ، حين يجد المسافر
طريقه ،
ويحدد الملاح مسراه بالشمس ؟
الجوقة والكهان والمجربون بالتوالى

الجوقــة

أهى البومة التى تنعق ، أم هى اشارة بين الاشجار

الكهــان

هل قضبان النافذة موصدة ، وهــل البــاب
موصد بالمزلاج ؟

المجربــون

أهو المطر ذلك الذى ينقر النافذة ، أهى الريح
تلك التى تدق على الباب ؟

الجوقــة

هل يومض المشعل في القاعة ، والشمعة فــى
الغرفــة ؟

الكهــان

هل يسير الحارس بجوار الحائط ؟

المجربــون

هل يجول كلب الحراسة عند البوابة ؟

الجوقــة

للموت مائة يد ، ويسلك ألف طريق .

الكهــان

قد يأتي على مرأى من الكل ، وقد يعبر بنا غير مرئي أو مسموع .

المجربــون

قد يأتي هامسا خلال الهواء أو صدمة مفاجئة على أم الرأس .

الجوقــة

الانسان قد يمشي بمصباح في الليل ، ومع ذلك يغرق في الحفرة .

الكهــان

الانسان قد يصعد الدرج نهارا ، وينزلق على درجة مكسورة .

المجربون

الانسان قد يجلس إلى مائدته ، ويحس ببرد الموت في حقويه .

الجوقـة

لم نكن سعيدات ، يا سيدى ، لم نكن جـد سعيدات .
لسنا نسوة جاهلات ، فنحن نعرف ما قد نتوقع ولا نتوقع .
نعرف ما القهر وما العذاب ،
نعرف ما الابتزاز وما العنف ،
والعوز ، والمرض ،
نعرف العجائز دون نار في الشتاء ،
والطفل دون لبن في الصيف ،
نعرف جهدنا وهو ينتزع منا ،
وخطايانا تغدو أثقل على نفوسنا .
لقد رأينا الشباب يمثل بهم ،
والفتاة الممزقة ترتعد جنب طاحونة النهر .
وخلال ذلك ، فقد مضينا في الحياة ،
نحيا ، وبطريقة ما نحيا ،
نلم شمل الاجزاء ،
ونجمع الاحطاب عند هبوط الليل ،
ونبنى مأوى جزئيا ،
لكى ننام ، ونأكل ونشرب ونضحك .
لقد وهبنا الله دوما سببا ما ، أملا ما ، ولكن
رعبا جديدا يلطخنا الان ، لا أجـد يقدر ان
يتفاداه ، لا أحد يقدر ان يجتنبه ، إذ
يسيل دون أقدامنا وفوق السماء ؛

دون الابواب ودون المداخن ، يسيل في الهواء
وفي الفم والعينين .
الله يهجرنا ، الله يهجرنا ، مزيد من الغصص ،
مزيد
من الالم ، ألم أكبر من ألم الميلاد والموت .
رائحة اليأس الخانقة ، حلوة مغثية للنفس ،
تسقط خلال الهواء الداكن ؛
والاشكال تلتئم خلال الهواء الداكن :
هرير صغار الفهود ، وقع أقدام الدب الثقيلة ،
ربتة كف القرد المطرق ، والصبع المربوع ينتظر
ليضحك ، ويضحك ، ويضحك . ان سادة
الجحيم
حاضرون هنا .
إنهم يلتفون حولك ، ويرقدون عند قدميك ،
ويهتزون
ويهزون اجنحتهم خلال الهواء الداكن
يا توماس ، يا كبير الاساقفة ، أنقذنا ، أنقذ
نفسك
حتى يمكن ان ننقذ ؛
فلو حطمت نفسك ، فقد تحطمنا جميعا .

توماس

والان ، اتضح طريقي ، واتضح المعنى :
لن يكون اغرائي بهذا الشكل مرة ثانية .
فقد كان الاغراء الاخير ، هو أعظم الخيانة ،

وهو ان نفعل الفعل الصحيح للسبب الباطل .
ان همه النفس في اقتراف الخطايا العارضة
هى السبيل التى تبدأ بها حياتنا .
ثلاثون عاما مضت ، فتشت في كل السبل
التى تؤدى إلى المتعة والترقي والثناء .
فرحة الحس ، في التعلم ، والتدبر ،
والموسيقى والفلسفة ، وحب الاستطلاع ،
العصفور القرمزى على شجرة الزنبق ،
مهارة حلقة المبارزة ، خطط الشطرنج ،
الحب في الحديقة ، الغناء بمصاحبة الالة الموسيقية،
كانت كلها أمورا مرغوبا فيها بالتساوى .
الطموح يأتي عندما ينفق الانسان قوته الباكرة
وحين نجد ان كل الاشياء لم تعد ممكنة .
الطموح يأتي متأخراً ، وغير ملحوظ .
وتنمو الخطيئة مع فعل الخير . وحين فرضت
قانون الملك
في انجلترا ، وشننت الحرب معه ضد « تولوز » ،
عند ذاك قهرت البارونات في لعبتهم .
كنت عند ذاك استطيع أن أحتقر الرجال الذين
خالوني أكثر الرجال استحقاقا للازدراء ،
اولئك النبلاء الخاملين ، الذين لا تساوى طباعهم
قلامة
أظفارهم .
وبينما كنت آكل من صحاف الملك
لم تكن رغبتى ان أكون خادما لله .

ان خادم الله اكثر عرضة لاعظم الخطايا
والاحزان من ذلك الذى يخدم ملكا .
إذ أن أولئك الذين يخدمون غرضا أعظم ، قد
ينحرفون
فيجعلون هذا الغرض يخدمهم ،وهم لا يزالون يفعلون
الصواب : كما ان المماحكة مع رجال
السياسة قد تجعل ذلك الغرض سياسيا ، لا بما
يفعلونه ، بل بحكم أوضاعهم .
اني أعلم أن ما بقى من تاريخى لاعرضه عليكم
قد يبدو لعظمكم – على أحسن الفروض –
عبثا ، ذبحا للنفس
لا معنى به ، يقوم به مجنون ،
هوى صلف لمتعصب .
وأنا أعرف ان التاريخ ، في كل العصور ،
يستخرج أغرب
النتائج من أبعد الاسباب .
ولكننا يجب ان نعاقب جميعاً على كل شر ، كل
انتهاك
للحرمات ، او جريمة ، أو خطأ ، أو قهر ،
أو لا مبالاة ،
أو استغلال ، يجب ان تعاقب أنت ، وأنت ،
وانت ، وانت ايضاً .
لن أفعل بعد أو أعاني ، فالى ذباب السيف .
والآن ، فان ملاكي الطيب الذى ناط به الله ان
يكون حارسي ، يحلق فوق حدود السيوف .

استراحة كبير الأسـاقفة

يعظ فى الكاتدرائية فى عيد الميلاد ، صباح عام ١١٧٠

« المجد لله فى الاعالي ، وعلى الارض السلام ، للرجال ذوى النية الطيبة » العدد الرابع عشر من الاصحاح الثانى من انجيل لوقـا . باسم الاب ، والابن والروح القدس . امين .

يا أبناء الله الاعزاء . ستكون موعظتي فى صباح عيد الميلاد هذا بالغة القصر ، فلست ارجو الا ان تتأملوا بقلوبكـم المعنى العميق ، بل السر فى قداساتنا فى يوم عيدالميلاد . لاننا نعيد تمثيل عذاب سيدنا وموته حين نقيم القداس : ولكنا فى عيد الميلاد هذا نفعل ذلك احتفالا بمولده . وبذلك فنحن فى نفس اللحظة نبتهج بمجيئه لاجل خلاص الانسان ، ونقدم لله جسمه ودمه تضحية وقربانا وكفوًا لخطايا العالم كله . وقد حدث فى نفس هذه الليلة التي انقضت لتوها ان جمعا من الرهط السماوى ظهر امام رعاة بيت لحم قائلين : « المجد لله فى الاعالي وعلى الارض السـلام للبشر ذوى النية الطيبة » . وفى هذا الوقت من العام كله نحتفل نحن فى ان واحد بميلاد سيدنا ، وعذابه وموته على الصليب . ورغم أن هذا الاحتفال محبوب من أهل الكون ، الا أن معناه اننا نسلك مسلكا غريبا ، لانه ما من أحد فى هذا العالم يحزن ويبتهج فى ذات الوقت ولنفس السبب . فالبهجة عندئذ قد تحجبها الاحزان ، والاحزان عندئذ قد تكشفها البهجة . ولذلك ، فلا يوجد الا فى هذه الاسرار المسيحية ان يحزن الانسان ويبتهج فى ذات الوقت ولذات السبب . والان ، فكروا لحظـة فى معنى كلمـة « سلام » ، هل يبدو لكم غريبا ان تعلن الملائكة السلام بينما يصك العالم بالحرب وخوف الحرب بلا انقطاع ؟ هل يبدو لكـم ان الاصوات الملائكية قد اخطأت ، وان الوعد كان خيبـة مسعى وخداعا ؟

تأملوا الان ، كيف تحدث سيدنا عن السلام . لقـد قـال لحوارييه « أترك معكم سلاما ، سلامي أعطيه لكم » . فهل كان يعني السلام كما نفكر فيه : مثل ان تكون انجلترا فى سلام مـع

جيرانها ، أو ان يكون البارونات فى سلام مع الملك ، أو ان يحصي المالك ارباحه فى سلام ، هل يعنى مصطلاه النظيف ، ونبيذهالمفضل لاستضافة صديقه ، بينما زوجته تغنى لاطفاله ؟ ان اولئك الرجال الذين كانوا حوارييه لم يعرفوا مثل هذه الاشياء ، فلقد نهضوا الى الرحلة مبعدين ، لكي يعانوا فى البر والبحر ، وليعرفوا العذاب والسجن ، وخيبة الامل ، وليعانوا الموتاستشهادا . فماذا كان يعني اذن ؟ اذا سألتم هذا السؤال ، فاذكروا عندئذ انه قال أيضا : « ليس كما يعطيكم العالم أعطيكم » . وعندئذ تعرفون انه قد أعطي لحوارييه سلاما ، ولكنه ليس السلام الذى يعطيه العالم .

تفكروا ايضا فى أمر ربما كنتم لم تفكروا فيه من قبل . فنحن لانحتفل فى عيد الميلاد بميلاد سيدنا وموته فى آن واحد : ولكننا فى اليوم التالى نحتفل باستشهاد أول شهدائه ، المبارك ستيفن * . هل هذا اذن امر عارض ، ان يتبع يوم استشهاد أول شهيد توا يوم ميلاد المسيح ؟ لا . ليس الامر كذلك ، فنحن حين نبتهج ونحزن فى آن واحد لميلاد وعذاب سيدنا نبتهج ونحزن بصورة أدنى بموت القديسين . نحن نحزن لان خطايا العالم دفعتهم للاستشهاد : ونفرح لان روحا أخرى قد عدت بين القديسين فى السماء ، من اجل مجد الله وخلاص الانسان .

يا أحبائي ، نحن لا نفكر فى الشهيد ببساطة كمسيحي طيب قتل لانه مسيحي : لان هذا معناه أن نحزن فحسب . ونحن لا نفكر فيه ببساطة كمسيحي طيب رفع الى صحبة القديسين : لان هذا معناه ببساطة ان نفرح فحسب : ولكن حزننا وابتهاجنا ليساكحزن العالم وابتهاجه . فالاستشهاد المسيحي ليس صدفة عارضة ، لان القديسينلا يصنعون بشكل عارض . بلانالاستشهاد المسيحي ليس نتيجة لارادة الانسان ان يصبح قديسا ، مثلما يستطيع بالارادة والتدبير ان يكونحاكما على البشر . فالاستشهاد دائما من تدبير الله ، فالله يحب البشر ، ويريد أن يحذرهم ويقودهم ويعيدهم الى طرقه . ان الاستشهاد ليس من تدبير

---

* اول شهداء المسيحية ،ورد ذكره فى (اعمال الرسل) ، وقتله مجمع اليهود وكان بولس الرسول احد شهود قتله ، وتحول بولس بعد ذلك الى المسيحية .

الانسان ، لان الشهيد الحق هو ذلك الذى أصبح أداة من ادوات الله ، ذلك الذى فقد ارادته فى ارادة الله ، فلم يعد يرجو لنفسه شيئا ، ولا حتى‌مجد أن يكون قديسا . فاذا كانت الكنيسة على الارض تنوح وتبتهج فى ذات الوقت ، بطريقة لا يستطيع العالم فهمها ، فكذلك الامر فى السماء بالنسبة للقديسين اذ أنهم فى قمة الرفعة ، بعد أن جعلوا انفسهم ادني الخلق شانا ، حيث ينظر اليهم لا كما نراهم نحن ، بل فى ضوء وجه الله الذى يستمدون منه وجودهم .

لقد تحدثت اليكم اليوم ، يا أبناء الله الاعزاء ، عن شهداء الماضي ، راجيا منكم ان تتذكروا شهيدنا فى كانتربرى ، المبارك كبير الاساقفة « الفيج » * ، لانه من الملائم ، فى يوم ميلاد المسيح ، ان تتذكروا ما هو ذلك السلام الذى جلبه ، ولانني – يا اطفالي الاعزاء ، أعتقد انني لن اعظكم مرة ثانية ، فقد توهبون شهيدا آخر فى وقت جد قصير ، وقد لا يكون هو اخر شهدائكم . واني لارجو ان تحفظوا هذه الكلمات التي قلتها فى قلوبكم ، وان تعيدوا التفكير فيها فيما بعد . باسم الاب والابن والروح القدس . امين .

---

* الفيج Eipheec اسقف وقديس ولد عام ٩٥٤ في جرينتش ، وصار كبير اساقفة كانتر برى ، وقتله الغزاة الدانمركيون فى عام ١٩ ابريل عام ١٠١٢.
(المترجم)

الجزء الثـــانى

الشخصيات

ثلاثـــة كهـــان

اربعة فســـان

كبير الاساقفة توماس بيكيت

جوقة من نساء كنتر برى

مرافقـــون

المشهد الاول فى قاعة كبير الاساقفة

المشهد الثاني فى الكاتدرائية

فى ٢٩ ديسمبر عام ١١٧٠

الجوقــة

هل يغرد الطير في الجنوب ؟
طائر البحر وحده يصيح ، تدفعه العاصفة إلى البر
أثمة علامة للربيع هذا العام ؟
ليس غير موت المسنين : لا نأمة ، لا نبت ،
لا نفس يتردد .
هل بدأت الايام تطول ؟
ازداد اليوم طولا واظلاما ، والليل بردا وقصرا
الهواء راكد خانق ، ولكن ثمة ريح مخزونة في
الشرق .
يجلس الغراب الجائع في الحقل متحفزا ، وتجرب
البومة
في الغابة نغمة الموت الجوفاء .
أثمة علامات لربيع مرير ؟
الريح المخزونة في الشرق .
ماذا ؟ أفي يوم ميلاد سيدنا ، في ابان عيد الميلاد ،
ألا يوجد سلام على الارض ، أو نية خالصة
بين البشر ؟

ان سلام العالم يظل ملتبسا ، الا إذا حفظ البشر
سلام الله .
والحرب بين البشر تدنس العالم ، ولكن الموت في
الرب يجدده ،
ويجب أن يتطهر العالم في الشتاء ، والا فلن يصيبنا
الا ربيع مرير ، وصيف لافح ، وحصاد معلوم
وماذا عسانا نصنع بين عيد الميلاد وعيد الفصح ؟
سيخرج الحراث إلى حقله في مارس ، ويقلب
في ذات
الارض التى قلبها من قبل ، وسيغنى الطائر ذات
الاغنيـــة .

وعندما تنبت الورقة من الشجرة ، ويندفـــع
الكبار والصغار
فوق الغدير ، ويصبح الهواء نقيا عاليا ،
وتزغرد الاصوات مـــن النوافـــذ ، ويتمرغ
الاطفال أمام
الابواب ،
ماذا عسانا نكون قد انجزنا من أعمال ، وأى ذنب
سوف تحجبه غنوة الطير ، وما عسى أن تحجبه
خضرة الشجر ،
أى ذنب سوف تحجبه الارض الغضة ؟ نحن
ننتظر ، والوقت قصير ، ولكن الانتظار طويل .
(يدخل الكاهن الاول ، رافعاً راية التديس

ستيفن منشورة أمامه ، والاسطر التي ستغنى هى التي تحتها خط)

الكاهن الأول

منذ يوم عيد الميلاد : ويوم القديس ستيفن ، أول الشهداء .

جلس الامراء علاوة على ذلك ، وشهدوا ضدى زورا .

يوم كان عزيزا دائما على قلب كبير الاساقفة توماس .

ولقد خر فيه راكعاً ، وصاح بصوت عال :

يا سيد ، لا تجعل هذه الخطيئة الى ذنوبهم

وجلس الامراء علاوة على ذلك .

(تسمع ترنيمة القديس ستيفن)

(يدخل الكاهن الثاني ، ومعه راية القديس يوحنا منشورة أمامه)

الكاهن الثاني

منذ يوم القديس ستيفن ، ويوم القديس يوحنا الرسول .

في وسط المجمع فتح فـــاه .

وذلك هو ما كان منذ البداية ، وقد سمعناه ، ورأيناه بأعيننا ، ولمسته أيدينا

عن كلمة الحياة ؛ ذلك ما شهدنا وما سمعنا

وها نحن نعلن ذلك لكم .

في وسط المجمـــع

(تسمع ترنيمة القديس يوحنا)

(يدخل الكاهن الثالث ناشرا راية « الابرياء المقدسين(*) » أمامه)

منذ يوم القديس يوحنا الرسول ، ويوم الابرياء المقدسين .

من فم جميع الاطفال ، يا إلهي .

كما هو صوت الامواه ، والرعد ، والمزامير
غنوا كما لو كان يطلقون لحنا جديدا .
لقد سفكوا دم قديسيك كأنه ماء ،
ولم يكن هناك من يدفنهم ، فاثأر ، يا رب ،
لدم قديسيك . فقد سمع في « الرامة » صوت يبكي

من فم جميع الاطفال ، يا رب !

(يقف الكهان معا ، واعلامهم خلفهم) .

الكاهن الأول

منذ يوم الابرياء المقدسين ، اليوم الرابع لعيد الميلاد .

الكهان الثلاثة

لنبتهج جميعا ، راعين لحق اليوم المقدس .

---

* يطلق هذا الاسم على اطفال بيت لحم من سنتين عمرا فما دون ذلك الذين قتلوا بامر الملك هيرود للتخلص من الطفل الذي قد يكون يســوع .

(المترجم)

الكاهن الاول

من أجل الشعب ، ومن أجل نفسه ايضا ، تكفيرا عن الخطايا
يقدم حياته قربانا . ومن أجل القطيع يضحى بحياته .

الكهان الثلاثة

لنبتهج جميعا ، راعين لحق اليوم المقدس .

الكاهن الاول

أهو اليوم ؟

الكاهن الثاني

وما اليوم ؟ لقد انقضى نصفه .

الكاهن الاول

اليوم ، وما اليوم ؟ مجرد يوم آخر ، هو غسق العام .

الكاهن الثاني

وما اليوم ، ما اليوم ؟ ليلة أخرى وفجر آخر .

الكاهن الثالث

أى يوم هو هذا اليوم الذى نعرف أننا نأمل فيه
أو نخشى عليه ؟

كل يوم هو اليوم الذى يجب ان نخشاه أو نأمل فيه .
ان لحظة واحدة تزن مثل لحظة أخرى .
ولا نستطيع ان نقول ان ذلك كان هو اليوم الا بعد الاعتبار واعادة النظر .
وليست اللحظة الحرجة الا الان ، وهنا ،
وحتى في تفاصيلها التافهة قد تتبدى الارادة الالهية الان .

(يدخل الفرسان الاربعة ، وتختفى الاعلام)

الفارس الأول

نحن خدام الملك .

الكاهن الاول

نعرف من انتم
اهلا بكم ، هل ركبتم طويـــلا ؟

الفارس الأول

لم نركب طويلا اليوم ، ولكن امورا عاجلــة
قد جاءت بنا من فرنسا ، وقد حثثنا السير ،
وابحرنا امس ، ورسونا الليلة الماضيــة ،
اذ ان لنا شأنا مع كبير الاساقفـــة .

الفارس الثاني

شـــأن عاجـــل .

الفارس الثالث

من عند الملك .

الفارس الثاني

بأمر من الملك .

الفارس الأول

ورجالنا بالخارج .

الكاهن الأول

انتم تعرفون حسن ضيافة كبير الاساقفة .
ونحن على وشك التوجه للعشاء .
ولسوف يتكدر كبير الاساقفة الطيب
لو لم نقدم لكم بعض الضيافة
قبل ان تسووا شأنكم معه ، نرجو ان تتناولوا
عشاءكم معنا .
ولسوف نرعى رجالكم ايضا
العشاء يسبق العمل . هل تحبون لحم الخنزير
المشوى ؟

الفارس الأول

العمل قبل العشاء . سوف نشوى لحم خنزيركم
اولا ، ثم نتعشى به بعد ذلك .

الفارس الثاني

يجب ان نرى كبير الاساقفة .

الفارس الثالث

اذهب واخبر كبير الاساقفة
اننا لا نحتاج الى ضيافتـــه ،
فلسوف نجـــد عشاءنا .

الكاهن الأول

(للمرافــق)
اذهب واخبر نيافتـــه .

الفارس الرابع

حتّام ستدعنا ننتظـــر ؟
(يدخل توماس)

توماس (للكهنـــة)
مهما يكن توقعنـــا مؤكـــدا
فان اللحظة المنتظرة قد تكون غير متوقعـــة حين تجيء .
وهي تأتي حين نكون مستغرقين في شئون اخرى عاجلـــة .
ستجدون الاوراق مرتبة على مائدتي والوثائـــق موقعـــة .
(للفرســـان)
مرحبا بكم ، مهما يكن شأنكم معي
تقولون انكم جئتم من عند الملك ؟

الفارس الأول

من عند الملك بكل تأكيـــد
ويجب ان نخاطبك وحـــدك .

تومـــاس (للكهنـــة)
دعونا اذن وحـــدنا .
والآن ، ما الامـــر ؟

الفارس الأول

هذا هو الامـــر .

الفرسان الثلاثة

انت كبير الاساقفة الثائر ضد الملك ، المتمرد
على الملك وعلى قانون البلاد ،
انت كبير الاساقفة الذى نصبه الملك ، ووضعه
في هذا المنصب لكي ينفـــذ اوامـــره .
انت خادمة ، واداته ، وعدته ،
وانت تتزيا بأفضاله على بدنك ،
ولقد نلت كل شارات شرفك من يده ، ومنـــه
استمددت
السلطة ، والخاتم ، والاختـــام .
هذا هو الرجل الذى كان ابنا لتاجر ، الطفـــل
المزعـــج
الذى كان مكانه هو السلم الخلفى . الذى
ولد في قرية تشيبسايد ،

هذا هو المخلوق الذى زحف نحو الملك ،منتفخا
بالدم ، منتفخـــا بالزهـــو .
وانســـل من قـــذر لنـــدن
ثم زحف صاعدا كما تزحف القملة على قميصك،
هذا هو الرجل الذى غش ، وخادع ، وكذب ،
وحنث
بقســـمه ، وخان المـــلك .

تومـــاس

هذا غير صحيح .
فقد كنت أحد رعيـــة الملك المخلصين
سواء قبل أن أتلقى الخاتم ، أو بعد ان تلقيته .
وفيما عدا ما يتصل بالسلك الكهنوتي ، فأنا طوع
ارادته ،
كأكثر تابعيه ولاء في هذا البلد .

الفارس الأول

فيما عدا سلكك الكهنوتي ! دع كهنوتك ينقذك
ولا أظن انه يستطيع ذلك .
ولعلك تعني ، فيما عدا طموحك ،
فيما عدا زهوك ، فيما عدا حسدك وحقدك.

الفارس الثاني

فيما عدا وقاحتك وجشـــعك .

ألا تسألنا ان نصلي لله من أجلك ، في ســاعة حاجتك ؟

الفارس الثالث

نعم ، سنصلي من أجلك !

الفارس الأول

نعم ، سنصلي من أجلك .

الفرسان الثلاثة

نعم ، سنصلي لله عسى أن يعينك !

تومــاس

ولكن ، يا ســادة ، أكان شأنكم
الذى قلتم انه جد عاجل ، هو مجرد
التعنيف والتجديف ؟

الفارس الأول

كان ذلك فحسب
هو مجرد اظهار لسخطنا ، كرعايا مخلصين .

تومــاس

مخلصين ؟ لمــن ؟

الفارس الأول

للمــلك .

الفارس الثاني

المـــلك !

الفرسان الثلاثة

ليحفظه الله !

تومـــاس

اذن ، فلترتدوا معطف ولائكم الجديد
بعناية ، حتى لا يتلطخ أو يبلى .
ألديكم ما تقولون ؟

الفارس الاول

ما نقوله بأمـــر الملك .
هل نقـــوله الان ؟

الفارس الثالث

دون ابطـــاء
قبل ان يهرب الثعلب العجوز ويبتعد .

تومـــاس

ما يجب عليكم قولـــه
بأمـــر الملك ــ اذا كان بأمـــر الملك ــ
يجب ان يقال علنا . فاذا وجهتم الي تهما ،
فانني علنا سأدحضها أمام الناس .

الفارس الاول

لا ! بل هنا والآن !

(يشرعون في الهجـــوم عليه ، ولكن الكهـــان والمرافقين يعودون ، ويعترض الجميع طـــريق بعضهم البعض) .

تومـــاس

الآن وهنـــا !

الفارس الاول

لن أذكر ســالف افعالك السـيئة.
فأمرها جد معروف ، ولكن بعد ان خمدت
الفتنة في فرنســا ، ومنحت سالف فضلك
وميزاتك ، كيف أبديت عرفانك بالجميل ؟
لقد هربت من انجلترا ،غير منفي أو
مطارد ، هل تذكر ؟ هربت آملا أن
تثير المتاعب في ممتلكات الملك في فرنسا.
لقد بذرت الفتنة خارج البلاد ، وعبت
الملك عند ملك فرنســا والبـــابا ،
ناسبا اليه آراء زائفــــة .

الفارس الثاني

ولكن الملك ، ببـــاعث من رحمته
وحين حثه اصدقاؤك ، منحك عفوه ،

وابرم اتفاق صلح بينكما وبعد أن انتهت كل
الخلافات ،
ردك الى كرسيك الاسقفي كما طلبت .

الفارس الثالث

ولكن كيف – وأنا اكـــرر السؤال –
أبديت عرفانك بالجميل ، بعد ان دفن
ذكرى عصيانك ، ورد اليك شارات
تكريمك وممتلكاتك ، ومنحك كل ما التمست ؟

الفارس الاول

لقد اوقفت أولئك الذين توجوا الامير الصغير
وانكرت شرعية التتويج .

الفارس الثاني

ومضيت تكبلهم بأغلال الحرمان .

الفارس الثالث

ومستغلا كل وسيلة في طاقتك لكى تعرض
بخـــدام الملك المخلصين ، وبكل من أنجـــز
عملا من أعمال الملك في غيابه ، عملا من أعمال
الامـــة .

الفارس الاول

هذه هي الحقائق

فقل الآن هل أنت راض
بأن تجيب عن هذه التهم في حضرة الملك .
ذلك ما بعث بنـــا من أجلـــه .

تومـــاس

ما كانت رغبتي قـــط
ان لا أتوج ابن الملك ، أو أصغر
من شرفه وسلطانه . فلماذا يريد الملك اذن
ان يحرم رعيتي مني ، ويبعدني عن شعبي
ويأمرني ان أبقى وحدي في كانتر برى ؟
أني لاتمنى له ثلاثة تيجان لا واحدا فحسب ،
أما عن الاساقفة ، فليس نيرى هو
ما يغل أعناقهم ، ولست أنا الذى يرفعه .
ليذهبوا الى البـــابا ، فهو من أدانهم .

الفارس الاول

لقد أوقفـــوا من خـــلالك .

الفارس الثاني

وعليك عـــلاج ذلك .

الفارس الثالث

أبرئهم من أمـــر الحرمان .

الفارس الاول

أبرئهـــم .

توماس

ان هذا من صنع يدى ، ولكن لست أنا
الذى ينقض ما أبرمه البـابا .
ليذهبوا اليه ، فهو الذى عرض عليه ازدراؤهم
بي ، وبدا له ازدراؤهم بالكنيسة

الفارس الاول

ليكن الامر ما يكون ، فهذا أمر الملك :
أن ترحل أنت وخدمك عن البلاد .

توماس

اذا كان ذلك هو أمر الملك ، فسأكون جـريئا
لاقول : لقد مضت سبع سنوات ، وشعبي
يحيا دون وجودى ، سبع سنوات من البؤس
والالم . سبع سنوات وانا أتسول الـبر
من خارج البـلاد .
لقد تلبثت بالخارج سبع سنوات ، وما هي بالمدة
القصـيرة .
لن تعود تلك السنوات السبع مرة ثانية .
لن تتكرر ابدا ، ولا يتطرقن اليكم الامل
ان البحر سيفصل مرة ثانية بين الراعي
وقطيعه .

الفارس الاول

لقد سببت باهانة بالغـة .

عـــدالة الملك ، وعظمة الملك ،
انك مجنون وقح ، لا يردعه شيء
عن السيطرة على خـــدمه وقساوسته .

تومـــاس

لست أنا الذي يســـب الملك ،
وهناك من هي أعلى قـــدرا مني ومن الملك
ليس ضدى أنا ، بيكيت ، من تشيبسايد ؛
أنتم لا تجاهدون ضدى أنا ، بيكيت .
وليس بيكيت هو من ينطق بالقضاء ،
ولكنه قانون كنيسة المسيح ، وقضاء روما .

الفارس الأول

أيها الكاهن ، لقد تحدثت مخاطرا بحياتك .

الفارس الثاني

أيها الكاهن ، لقد تحدثت معرضا نفسك لخطـــر المـــدية .

الفارس الثالث

أيها الكاهن ، لقد نطقت بالغـــدر والخيانة .

الفرسان الثلاثة

أيها الكاهن ، يا خائن ، يا ضالعا في الاثم .

توماس

اني ارفع قضيتي لقضاء روما .
ولكن اذا قتلتموني ، فسأنهض من قبرى
لارفع قضيتي أمام عرش الله .
(يخرج)

الفارس الرابع

يا كاهن ! يا راهب ! يا خادم ! خذوه ،
امسكوه ، احجزوه ،
اعتقلوا هذا الرجل باسم الملك .

الفارس الاول

أو أجيبوا بجثتكم .

الفارس الثاني

كفى كلمات .

الفرسان الاربعة

لقد جئنا لتنفيذ عدالة الملك ، جئنا بالسيوف .

(يخرجون)

الجوقة

لقد شممتم ، القادمين بالموت ، فالحواس تستثار
بالنذر الحاسمة ، لقد سمعت ،
الخشخشة في أوان الليل ، الخشخشة والبوم ،ولقد

رأيت في الظهـــيرة ،
الاجنحة ذات الحراشيف وهي تنحدر ، ضخمة
وسخيفة .
ولقـــد تذوقت
مذاق الجسد المتعفن في الملعقة ، ولقدأحسستلهاث
الارض عند حلول الليل ، قلقا ، عبثيا ، ولقد
سمعت ،
الضحك في ضجة الوحوش التي تصنعأغـــرب
الضجة :
ابن آوى ، والحمار ، والغراب ؛ والضجة المارقة
للفـــأر واليربوع
وضحكة الاوز البرى ، الطائر المجنون . ولقـــد
رأيت ،
الرقاب الرمادية تتلوى ، واذيال الفيران تنفتل ،
في ضـــوء
الفجر الكثيف . ولقد أكلت
المخلوقات الرقيقة وهي لا زالت حية ، مع طعم
الملح الحاد للمخلوقات
الحية في البحر ؛ ولقد ذقت
جـــراد البحر الحي ، وسرطان البحر ، والمحار ،
والحلزون
ولكنها تحيا ، وتضع بيضها فياحشائي ، واحشائي
تذوب في ضـــوء الفجر . ولقد شممت
الموت في الوردة ، الموت في زهـــرة الخطمى ،
والجلبـــان

العطرى ، والزنبق ، وزهرة آذان الدب . ولقد
رأيت
الجذع والقرن،والناب والحافر ، وتنفست مع تنفس
زهرات البحر ، وابتلعت مع الاسفنج ، لقـــد
استلقيت
في التربة ، وانتقدت الدودة . وفي الهواء
ترجرجت مع مــر الحدأة ، غطست مع الحدأة ،
وربضت
مع العصفور . ولقد أحسست
قرن الخنفساء ، وحرشفة الافعى ، وجلد الفيل
الجامد القليل الحساسية ، وجنب السمكة المراوغ ،
ولقــد شممت
الفساد في صحن الطعام ، والبخور في المرحاض ،
والبالوعة في البخور ، ورائحة الصابون الحلوة في
ممــر الغابة ،
رائحة شيطانية عطرة في ممــر الغابة ، بينما كانت
الارض تلهث . ولقد رأيت
حلقات من النور تلتف منحدرة ، هابطة .
تنزل الفزع بالقردة . ألم أعرف ، ألم أعرف
ما سوف يحدث ؟ لقد كان ما يحدث هنــا في
المطبخ ، في الممــر
في مواء القطط ، في الجرن ، في الحظيرة، في السوق
وفي عروقنا ، احشــائنا ، جماجمنا ايضا .
مثلما هو في مكائد العواهل ،
وفي مداولات السلطات .

ان ما ينسج في مغزل القــدر
وما ينسج في مجالس الامــراء
ينسج كذلك في عروقنا ، في عقولنا ،
ينساب كسرب من الديدان الحيــة
في احشــاء نســاء كنتر برى .
لقد شممتم ، القادمين بالموت ؛ والان فات الوقت
وقت الفعل ، ولم يحن بعد وقت النــدم .
ليس هناك شيء ممكن الا الاغماء الخجلان
لاولئك الراضخين إلى أبعد حدود المذلة .
لقد رضخت ، يا سيدى كبير الاساقفة ، لقد رضخت .
لقد تمزقت ، قمعت ، انتهكت حرمتى ،
لقد توحدت بالجسد الروحى للطبيعة ،
مقودا بقوى الروح الحيوانية ،
مقهورا بشهوة اهلاك النفس ،
بموت الروح النهائي الكامل ،
بالنشوة المتناهية للضياع والعار ،
يا سيدنا كبير الاساقفة ، يا تومـــاس كبير الاساقفة ،
سامحنا ، سامحنا ، صل من أجلنا حتى نستطيع ان نصلى من أجلك ، صلاة نابعة من احساسنا بالعار .
(يدخل توماس)

تومــاس

سلام ، ولتكن في سلام مع أفكاركن ورؤاكن.

مقدر لهذه الامور ان تحدث ، ومقدر لكن ان
تتقبلنها ،
وهذا هو نصيبكن من العبء الابدى ،
المجد الازلى . هذه مجرد لحظة ،
ولكن اعلمن ان لحظة أخرى
سوف تطعنكن بفرح مؤلم مفاجىء
حين تصبح اردة الله كاملة الشكل .
وسوف تنسين هذه الامور ، وانتن تعالجن
في عناء أمور بيوتكن ،
ولسوف تذكرنها ، وانتن تلغين حول النار ،
حين يزيل العجز والنسيان مرارة الذاكرة ،
ستكون كأنها مجرد حلم ، تعاد حكايته بين حين
وآخر
وفي كل مرة يتغير حين يحكى . وستبدو هذه
الامور غير
حقيقيــة .
فالبشر لا يستطيعون تحمل الكثير من الحقيقة .
(يدخل الكهنــة)

الكهنــة

(متفرقين)
سيدنا، يجب ألا تقف هنا . هيا إلى داخل الكنيسة
من خلال الرواق . لا وقت لا ضاعته . هــم
عائدون ،
ومسلحون . إلى المذابح ، إلى المذبح .

توماس

طيلة حياتي وهى قادمة ، هذه الاقدام .
لقد انتظرت طيلة حياتي . سيأتي الموت حين
أكون جديرا به
فحسب ، وإذا كنت جديرا به فلا خطر منه .
وليس عليّ عندئذ الا ابلغ بعزيمتي
حد الكمال .

الكهنة

سيدى ، أنهم قادمون . سيقتحمون فورا . وسوف
تقتل . تعال للمذبح .
أسرع ، يا سيدنا . لا تقف هنا لتتحدث . هذا
ليس
صوابا .
ما مصيرنا ، يا سيدنا ، إذا قتلت ، ما مصيرنا ؟

توماس

سلاما ! اهدأوا ! وتذكروا أين أنتم ، وماذا
يحدث ؟
ليست هناك حياة مطلوبة (هنا الا حياتي ،
وانا لست في خطر ، ولكنى قريب من الموت
فحسب .

الكهنة

يا سيدنا ، اذهب لتصلى صلاة المساء! يجب الا

تتخلف عن صلاة المساء . يجب الا تتخلف عن
أداء الواجب

المقدس . إلى صلاة المساء . في داخل الكاتدرائية !

تومــاس

اذهبوا أنتم لصلاة المساء ، وتذكروني في صلواتكم .

سوف يجدون الراعي هنا، ولكن القطيع سينجو. فلقد مرت بي رجفة الغبطة ، طرفة عين من السماء ، همسة ،
ولن أكون منكورا بعد الآن ؛ إذ ان كل الامور تمضي نحو النهاية السارة .

الكهنــة

أمسكوا به ! أجبروه ! جروه !

تومــاس

ارفعوا أيديكم !

الكهنــة

أسرع إلى صلاة المساء .

(يجروونه للخارج ، بينما تتحدث الجوقة ويتغير المشهد إلى داخل الكاتدرائية) .

الجوقــة

(بينما يتصاعد ترتيل يوم الغضب ، باللاتينية ، من بعيد)

لتنحدر اليد ، وليسقط الجفن
ما زال الرعب ، بل لقد اصبح أشد
مما يكون حين يتمزق الجوف .
ما زال الرعب ، بل لقد اصبح أشد
مما يكون حين تلتوى الاصابع ،
مما يكون حين تنشق الجماجم .
أكثر من رعب وقع الاقدام في الممر ،
أو الظل في المدخل ،
أو روح الغضب في القاعة .
ان زبانية الجحيم يختفون ، والبشر ينكمشون ويذوبون
في التراب على وجـــه الريح ، منسيين ، غير مذكورين ، وليس هنا
سوى وجه الموت المسطح الابيض ، الموت خادم الرب
الصامت ،
وخلف وجه الموت هناك الدينونه
وخلف الدينونة هناك العدم ، أكثر بعثا للرعب من
أشكال الجحيم المتغيرة ؛
الخواء ، والغياب ، والانفصال عن الله ؛

وعبء الرحلة التي هي دون جهد ، إلى الارض
الخــواء
التي هي ليست ارضا ، ليس الا الخــواء ،
والغياب ، والعدم ،
حيث لم يعد اولئك الذين كانوا بشرا يستطيعون
أن
يتحولوا بعقولهم إلى الذهــول والوهم ، أو
يهربوا في
الحلم والادعــاء ،
حيث لا تخدع الروح بعد ، فليست هناك أشياء ،
أو نغمات ، أو ألوان أو صيغ لكى تحير الروح أو
تصرفها
عن ان ترى نفسها ، وقد انحدرت كلها ملوثة ،
لا شيء مع لا شيء ،
نحن نخاف ، نخاف ،
ليس مما نسميه الموت ، ولكن مما خلف الموت
الذى
ليس هو الموت .
نحن نخاف ، نحن نخاف ، من سيدافع عنى ،
من سيشفع لى ، في شدة حاجتى ؟
ميتا فوق الشجرة ، يا مخلصى ،
لا تدع عناءك يذهب هباء ؛
ساعدني ، يا ربي ، في خوفي الاخير .
تراب أنا ، ينحنى للتراب ،
يهددني الهلاك الابدى ،

فساعدني ، يا ربي ، لأن الموت قريب .
(في الكاتدرائية . توماس والكهنة)

الكهــان

اقفلوا الباب بالمزلاج . اقفلوا الباب بالمزلاج .
الباب مقفل بالمزلاج .
نحن في أمان . نحن في أمان .
لا يجرأون على الاقتحـــــام ،
لا يستطيعون الاقتحام . فليس لديهم القوة .
نحن في أمان . نحن في أمان .

تومــاس

ارفعوا المزاليج ! افتحوا الابواب على اتساعها !
لن أحيــل مكان الصلاة ، وكنيسة المسيح ،
والمحراب ، إلى قلعة .
ستحمي الكنيسة ما يخصها ، بطريقتها الخاصة ،
ليس
كأخشاب وحجر ، فالخشب والحجر ينحلان
ولا يدومان ،
ولكن الكنيسة ستدوم على الزمن .
ستفتح الكنيسة ، حتى لاعدائنا . افتحوا الباب !

الكهــان

يا سيدنا ! انهم ليسوا ببشر ، انهم لا يجيئون كما
يجيء البشر ، لكن

مثل وحوش مجنونة . لا يجثون كبشر ، يحترمون
المذبح ، ويركعون لجسد المسيح ،
ولكن كوحوش . ينبغي ان تقفل الباب بالمزلاج
في مواجهة
الاسد أو الفهد أو الذئب أو الخنزير البرى ،
فلماذا لا يقفل في مواجهة الوحوش القادمـــة
ولها أرواح
البشر الملعونين . في مواجهة البشر الذين يلعنون
أنفسهم إلى وحوش .
يا سيدنا ! يا سيدنا !

تومـاس

انتم تحسبوننى طائشا ، يائسا ومجنونا .
وتقيسون الامور بنتائجها ، كما يفعل هذا العالم
حين يريد ان يقرر ما إذا كان الفعل خيرا أو شرا
ولكنكم تخالفون الحقيقة ، لأن كل حيـــاة
وكل فعـــل
يرى فيهما الخير والشر مختلطا العواقب
ولما كانت نتائج كثير من الافعـــال
تختلط على مدى الزمـــن
فان الخير والشر يبلبلان الفكر في نهاية الامـــر .
ولن تعرف عبرة قرارى في مدى الزمان ،
لان قرارى قد اتخذ خارج الزمن
هذا اذا دعوتموه قـــرارا
فالى هذا القرار قد اعطى كياني كله مصادقته .

اني اهب حياتي .
لقانون الله الذى هو فوق قانون البشر .
افتحوا الباب ! افتحوا الباب !
فلسنا هنا لننتصر بالقتال ، او المناورة ، او
المقاومـــة ،
او لنقاتل الوحوش كرجال ، فقد قاتلناالوحوش
وانتصرنا . وعلينا ان ننتصر الان
بالمعاناة فحسب ، ذلك هو النصر الاسهل .
الآن ينتصر الصليب ، الآن .
افتحوا الباب ! انا آمركم . افتحوا الباب !
(يفتح الباب ، ويدخل الفرسان ، وهم ثملون قليلا

الكهان

من هنا ياسيدى ! اسرع . اصعد الـــدرج . الى
السطح .
الى القبو . اسرع . تعال . اجبروه .

الفرســان

اين بيكيت ، خائن الملك ؟
اين بيكيت ، الكاهن المتدخل فيما لايعنيــه ؟
اهبط يادانيال الى عرين الاسود ،
اهبط يا دانيال لكى يضع عليك الوحش وسمه .
هل اغتسلت بدم الحمل المقدس ؟
هل وسمت بوسم الوحـــش ؟
اهبط يا دانيال الى عرين الاسود ،

اهبط يادانيال لتشارك في الوليمـــة .
اين بيكيت ، هذا الولد من تشيبسايد ؟
اين بيكيت ، الكاهن الخـــائن ؟
اهبط يا دانيال الى عرين الاسود ،
اهبط يادانيال لتشارك في الوليمـــة .

تومـــاس

ليس سوى الانسان العـــادل ،
من يجب عليه الا يعرف الخوف ، كأسد جرىء
انا هنـــا .
لست خائنا للملك ، فأنا كاهـــن ،
ومسيحى ، مخلص بدم المسيح ،
ومتأهب لان اعاني بدمى .
هذه هى علامة الكنيسة دائمـــا .
علامة الدم . الدم بالدم .
لقد وهب دمه ليشترى حياتي ،
وانا ابذل دمى لأؤدى ثمن موته ،
موتي لقـــاء موته .

الفارس الاول

أحـــلّ جميع من حرمتهم .

الفارس الثاني

تخـــل عن السلطات التي انتحلتها .

الفارس الثالث

رد الى الملك المال الذى اغتصبته .

الفارس الأول

جـــدد الطاعة التي انتهكتها .

تومـــاس

أنا متأهب الآن للموت من أجل سيدى ،
حتى تحوز كنيسته السـلام والحرية .
افعلوا بي ما شئتم ، او ما شاء لكم الاذى والخزى ؛
ولكن لا تلمسوا أحدا من شعبي ، سواء أكان عاميا
أو كنســيا ، أرجوكم باسم الله .
هذا ما أمنعكم عنه .

الفرســان

خائن ! خائن ! خائن !

تومـــاس

أنت الخائن ثــلاثا يا ويجينالد :
خائن لي كتابعي الدنيــوى ،
وخائن لي كســيدك الروحي ،
وخائن للــرب اذا انتهكت حــرمة الكنيسة .

الفارس الأول

لا ولاء عندى لمــرتد .
وما أدين لك به ســأدفعه الآن .

توماس

والآن الى الله القدير ، والى المباركة مريم العذراء دائما ، والى المبارك يوحنا المعمدان ، والى الحواريين المقدسين بطرس وبولس ، والى المبارك الشهيد دنيس ، والى جميع القديسين ، ارفع اليهم جميعا قضيتي وقضيـــة الكنيســـة .

(نسمع الجوقة ، بينما الفرسان يقتلونه)

الجوقـة

نقوا الهواء ! نقوا السماء ! اغسلوا الريح ! انزعوا الحجر عن الحجر واغسلوهما .

الارض ملوثة ، الماء ملوث ، وحيواناتنا وانفسنا مدنســة بالـــدم .

مطر من الـــدم قد أعمى عيني . أين انجـــلترا ؟

أين كنت ؟

أين كانتر برى ؟

هي بلاد بعيدة بعيدة بعيدة في الماضي ، وأنا شريدة في ارض من الغصون العميقة ، لو كسرتها لنزفت ؛ أنا شريدة في ارض من الاحجار الجافة ؛ لـــو لمســـتها لنزفت .

كيف لي أن أعود الى الفصول الناعمة الهادئة ؟

يا ليل ابق معنا ، ويا شمس توقفي ، ويا فصـــل ظـــلّ ،

ودع النهار لا يجيء ، ودع الربيع لا يجيء ،

هل استطيع ان أعاود النظر في النهار واشـيائه
العادية ،
وأراها جميعا ملطخة بالـدم ، من خلال ستارة
من الـدم
المسفوح المتدفق .
ما رغبنـا في حدوث أى شيء .
نحن نفهـم الكوارث الخاصة
الفقد الشخصي ؛ البؤس العـام ،
ونحن نحيـا ، وقليلا ما نحيـا ؛
نعرف رعب الليل الذى ينتهي في عمل النهار ،
ورعب النهار الذى ينتهي بالنـوم ؛
ولكن الحديث في السوق ، واليد على المكنسة ،
وتكويم الرماد حين يهـل الليل ،
واشعال النـار حين يهـل الصباح ،
تلك الافعال هي حدود معاناتنا .
كان لكل رعب تعريفه ،
ولكل حـزن نهـايته :
ففي الحياة لا وقت للحزن الطويل .
ولكن هذا الذى حدث ، هذا كان خارج الحياة،
هـذا
كان خارج الزمـن ،
أبدية عاجـلة للشر والخطيئة .
لقد تلطخنا بنجس لا نستطيع ان ننظفه ، توحدنا
بالهوام الخـارقة للطبيعة ،
ولسنا في هذا وحدنا ، ليس البيت أو المدينة

هما ما تدنس
ولكن العـــالم كله اصبح ملوثا تمـــاما .
نقوا الهواء ! نظفوا السماء ! اغسلوا الريح !
انزعـــوا
الحجر عن الحجر ، انزعوا الجلد عن الذراع ،
انزعوا العضل عن العظم ، واغسلوهما . اغسلوا
الحجر ! اغسلوا العظم . اغسلوا الدماغ ! اغسلوا
الروح . اغسلوها . اغسلوها جميعا !
(يتقدم الفرسان الى مقدمة المسرح بعد ان أتمـــوا
القتل ، ويخاطبون المتفرجين)

الفارس الأول

نتوسل اليكم ان تعيرونا انتباهكم للحظات قليلة ،
نحن نعلم انكم قد تكونون ميالين الى الحكم في
غير صالحنا على ما فعلناه .
انكم انجليز ، ولذلك فانتم تؤمنون باللعب العادل :
وعندما
ترون رجـــلا ينقض عليه اربعة رجـــال ، فان
تعاطفكم كله يكون مع
المقهور . وانا احترم مثل هذه الاحاسيس ، واشارك
فيها . ومع ذلك فأنا اناشـــد حاســـة الشرف
عندكم . أنتم
انجليز ، ولهذا فلن تحكموا على شخص دون ان
تستمعوا الى
وجهتي النظر في القضية . وذلك يتمشى مع مبدأنا

الذى طال اقراره ، وهو الحكم بواسطة المحلفين.
ولست أنا
مؤهلا لكي ابسط قضيتنا امامكم . فأنا رجـــل
فعل لا رجل كلام .
ولهذا السبب فلن أفعل اكثر من تقديم المتكلمين
الاخرين ،
الذين سيستعينون بقدراتهم المتنوعة ، ووجهات
نظرهم
المختلفة ، لكي يضعوا أمامكم ما تستحقه هـــذه
المشكلة البالغة
التعقيد . وسوف أدعو اكبر الاعضاء سنا لكي
يبدأ الكلام . زميلي في الريف . البارون ويليام دى
تراكــــي .

الفارس الثالث

أخشى الا أكون متحدثا ذا تجربة في الحديث ،
مثلما قادكم صديقي ريجنالد فيتز أورس
الاعتقاد . ولكن هناك شيئا واحدا أحب أن اقوله
وسأقوله فورا على أى حال. وهو أننا فيما فعلناه ،
ومهما يكن ما تفكرون فيه تجاه هذا الفعل ، كنا
قوما غير ذوى مصلحة .

الفرسان الاخرون

« اسمعوا ! اسمعوا !
لن نستفيد شيئا من هذا .بل اننا نخسر اكثر ممـــا
نكسب.

نحن اربعة رجال انجليز بسطاء . نضع بلادنا في
المقـــدمة
واجرؤ على القول اننا لم نترك انطباعا حسنا حين
دخلنـــا الان .
والحقيقة اننا كنا نعرف اننا أخذنا على عاتقنا عملا
بالغ العنف ؛ سوف أتحدث عن نفسي فحسب ،
ولكنني قـــد شربت
كثيرا ــ ولست رجلا شريبا في العادة. كان هذا
لكى استجمع قواى للقيام به . وحين تأتون الى
لب المشكلة ، فانه من المخالف
للطبع السليم ان يقتل المـــرء كبيراساقفة . وخاصة
اذا كان قـــد ترعرع
في ظل تقاليد كنسية طيبة . ولهذا فاذا بـــدونا
مشاغبين قليلا ،
فسوف تعرفون السبب . وعن دورى فأنا آسف
لـــه جدا .
كنا ندرك ان هذا كان واجبا علينا ، ورغم ذلك
كان علينا ان نستجمع قوانا للقيام به . وكما قلت
فلن نحصل على بنس واحد من جرائه .
ونحن نعرف تمـــاما ماذا ستتمخض عنه الامور.
فالملك هنرى ــ يحفظه
الله ــ سيكون عليه ان يقول لاسباب سياسية انه لم
يعن أبدا ما حدث ؛ وسيكون هناك شغب مخيف ؛
وعلى أحسن الفروض سيكون علينا ان نقضي

بقية حياتنا في خارج البلاد . وحتى عندما يصـــل قوم عقلاء الى فهم أن كبير الاساقفة كان يجب ان يزاح — وقد كنت انا شخصيا أكن له اعجابا رائعا ، ولا بد انكم لاحظتم أي عرض بديع أداه في النهاية ، فان

هؤلاء القوم العقلاء لن يمنحونا أي مجد . لا ، لقد اضعنا أنفسنا بأيدينا ،

دون أدنى شك . ولهذا ، فكما قلت في البداية ، ارجوكم ان تعطونا

على الاقل فضل أننا كنا غير ذوي مصلحة في هذه المهمة . واظن

ان هذا هو تقريبا كل ما يجب علي قوله .

الفارس الاول

أظن أننا نتفق جميعا على أن ويليام دي تراكي قد أجاد الحديث ،

وبسط نقطة هامة . ولباب حجته هو هذا : لقـــد كنا غير ذوي مصلحة

تمـــاما . ولكن فعلتنا ذاتها تحتاج الى تبرير اكثر . ولا بد ان تسمعوا بقية متحدثينا . وسوف أدعـــو ولا بد ان تسمعوا

بقية متحدثينا . وسوف أدعو هيو دي مورفيل ، الذي أنجـــز دراسة خاصة

عن شئون الدولة والقانون الدستوري . الســـير هيو دي مورفيل .

الفارس الثاني

أود ، أولا ان أعود الى نقطة وضعها بحذق قائدنا ،

ريجنالد فيتز اورس :

وهي انكم انجليز ، ولذلك فان تعاطفكم يكون

دائمــا مع المقهور . وتلك

هي الروح الانجليزية للعب العادل . والان ، فان

كبير الاساقفة الجدير بالتقدير ، الذى اعجبت

دائمـــا بخصاله الطيبة ، قد قـــدم في هذه الامر

على أنه المقهور ، ولكن هل هذه هي الحال بحق

لست اقصــد أن

أحتكم الى عواطفكم بل الى عقولكم . فانتم رجال

عقلاء راسخون . كما أرى ،

ولن تحرفكم الضجة العاطفية الفارغة . ولذلك

أسألكم ان تفكروا برزانة :

ماذا كانت أهداف كبير الاساقفة ؟ وماذا هي

أهداف الملك هنرى ؟ ففى

الاجابة عن هذين السؤالين يثوى مفتاح المشكلة .

لقد كان هدف الملك راسخا تمـــاما . فخـــلال

حكم الملكة السابقة ماتيلدا ،

وخلال حملـــة المغتصب ستيفن التعس ، كانت

المملكة بادية الانقســام .

وقد رأى ملكنا ان أول ما قد يطلب منه ويرتجى
هو اعادة النظام ، وذلك

بأن يكبح جماح السلطات المتجاوزة للحكومة
المحلية ، وهي التي كانت

تمـــارس عادة لغايات أنانية أو مثيرة للفتنة

ولكى يصلح الملك النظام القضائي

فقد قصد الى بيكيت الادارى الذى اثبت مقدرته التى لا ينكرها أحد لكي يجمع بين منصب الوزارة ومنصب كبير الاساقفة . ولو تلاقى بيكيت مع رغبة الملك لكان لنا دولة مثالية تقريبا ؛ اذ تتوحد الادارة الروحية والادارة الدنيوية تحت سـيطرة الحكومة المركزية ، ولقد عرفت أنا بيكيت جيدا ، في علاقات رسمية مختلفة ، واستطيع ان أقول انني لم أعرف رجلا مؤهلا لأعلى مراتب الخدمة المدنية مثله . فماذا حدث عندئذ ؟ ففي اللحظة التي نصب فيها بيكيت كبير اساقفة بنـاء على طلب الملك ، استقال من وظيفته كوزير ،واصبح اكثر كهنوتية من الكهنة ، وتبنى اسلوبا زاهـدا في الحياة بمباهاة وعدوانية . وسرعان ما انطلق يؤكد ان هناك سلطة أعلى من السلطة التي كافح مليكنا سنوات كثيرة ، وكافح هو كخادم للملك لاقرارها . بل لقد أضاف ــ والله يعلم لمـاذا ــ ان السلطتين متناقضتان .

وستتفقون معي أن مثل هذا التدخل حين يقوم به

كبير اساقفة يثير ثائرة رجال مثلنا . والى هنا ، وانا أعلم انكم توافقوني : أقرأ ذلك في وجوهكم . لكن موضع النزاع هي الاجراءات التي اتخذناها لكي نضع الامور في نصابها . وليس هناك من يأسف لضرورة العنف مثلنا . ولسوء الحظ ، فان العنف في بعض الاحيان قد يكون هو الوسيلة الوحيدة لتأمين العدل الاجتماعي . وفي زمن آخر ، قد تدينون كبير اساقفة بالتصويت في البرلمان ثم تعدمونه رسميا كخائن ، ولا يكون هناك عندئذ من يحمل وزر تسميته قاتلا . بل في زمن آخر ايضا قد لا تكون مثل هذه الاجراءات المعتدلة لازمة . فاذا كنتم قد وصلتم الان الى تقدير عادل لادعاءات الكنيسة ضد رفاهية الدولة ، فتذكروا اننا كنا أول من خطا هذه الخطوة . لقد كنا فعالين في اقامة الدولة المدنية التي توافقون عليها . ولقد خدمنا مصالحكم ونحن نستحق اطراءكم ، ولو كان هناك جرم في هذا الامر ، فأنتم شركاؤنا فيه .

الفارس الأول

لقد أعطانا مورفيل الكثير مما يستدعي التفكير فيه . ويبدو لي انه أوشك على قول الكلمةالفصل ، لاولئك الذين كانوا قادرين على تتبع تفكيره الحاذق . ولدينا — على أي حال — متحدث آخر ، لديه فيما أظن وجهة نظر أخرى سيعبر عنها .

فاذا كان وهناك من لا يزال غير مقتنع ، فاني أظن ان ريتشارد بريتو الذى انحـــدر من اسرة تميزت بولائها للكنيسة ، سيكون قادرا على اقناعه ريتشارد بريتـــو .

الفارس الرابع

لقد تحدث جميع المتحدثين الذين تقدموني حديثا فاصلا ، وبخاصة قائدنا ريجنالد فيتز اورس . وليس لدى ما اضيفه على سطور حججهم . ولكن ما اريد ان أقوله يمكن ان يصاغ في هيئة سؤال : **من قتل كبير الاساقفة ؟** ولمـــا كنتم شهود عيـــان لهذا المشهد المحزن ، فقد تدهشون لوضعي الامر في هذه الصيغة . ولكن تدبروا مجرى الاحداث . وانا مضطر ان أطوف ملما بالارض التي اجتازها آخـــر المتحدثين . فحين كان كبير الاساقفة وزيرا ، فان احدا من رعية الملك لم يزد عليه في سعيه للحم عرى الوطن ، لكي يهبه الوحـــدة والاستقرار والنظام والهدوء . فضلا عن العـــدالة التي طال افتقادها . ولكنه في اللحظة التي نصب فيها كبير اساقفة مضى على عكس سياسته تماما ، فاظهر لا مبالاة مطلقة بمصير البلد ، حتى لقـــد اصبح في الحقيقة وحشـــا أنانيا . ونمت هـــذه الانانية ، حتى اصبحت جنونا لا شك فيه . ولدى دليل لا يدحض أنه تنبأ قبل ان يغادر فرنسا امام شهود عديدين أنه لم يبق له أيام كثيرة في الحياة ،

وانه سيقتل في انجلترا . ولقد استعمل كل وسائل الاثارة ، ولا نستطيع أن نستنتج من سلوكه خطوة بخطوة الا انه كان مصمما على الموت استشهادا . وحتى في النهاية كان بامكانه أن يعطينا سببا : ولكنكم رأيتم كيف كان يتفادى اسئلتنا . وحتى عندما دفع بنا الى الغضب عامدا ، حتى جاوز غضبنا حدود الاحتمال كان بوسعه ان يهرب بسهولة . كان يستطيع ان يبقى بعيدا عن أيدينا زمنا يكفي لكي يبرد غضبنا الذى استعر عن حق . ولكن هذا بالتحديد هو ما لم يشأ ان يحدث ؛ فلقد أصر بينما كنا ما نزال مشتعلين غضبا أن تفتح الابواب . أتراني في حاجة الى مزيد من القول ؟ أظن أنكم — وهذه الحقائق امامكم — لن تترددوا في أن يكون قراركم أن الامر هو انتحار في حال عقلية غير طبيعية . وذلك هو القرار الخير الوحيد الذى بوسعكم ان تصلوا اليه تجاه رجل ، كان رغم كل شيء ، رجلا عظيما .

الفارس الاول

اشكرك يا بريتو . ولا أظن ان هناك حاجة لمزيد من القول . واقترح ان تتفرقوا الآن الى منازلكم بهدوء . واحذروا ، من فضلكم ، انتتجمعوا متلكئين عند حنايا الشوارع . أو تفعلوا شيئا قد يثير فتنة الشعب .

(يخرج الفرسان)

الكاهن الأول

يا أبانا ، أبانا ، الذى ذهب عنا ، الذى فقدناه ،
كيف سنجدك ، من أى مكان بعيد
تنظر إلينا من عل ؟ وانت الآن في السماء ،
من سيقود خطانا الآن ، يحمينا ، يوجهنا ؟
وبعد أى رحلة خلال أى رعب قادم
سنستعيد حضورك ؟ متى نرث
قوتك ؟ الكنيسة تثوى مفجوعة
وحيدة ، منتهكة ، خربة ، وسوف
يبنى الوثنيون على أطلالها ،
عالمهم بلا اله . أنا أراه . أنا أراه .

الكاهن الثالث

لا ، لأن الكنيسة قد زادت قوة بهذا الحدث ،
فهى منتصرة في بلواها ، محصنة
بالاضطهاد ، دائمـــة الرفعة ، ما دام الرجـــال
يموتون من أجلها .
اذهبوا ، أيها الرجال الحزاني الضعفاء ، أيتها
الارواح
المخطئة الضالة . بلا مأوى لكم في الأرض أو
السماء .
اذهبوا حيث يخلـــع الغروب حمرتـــه على آخر
صخرة رمادية في
بريتاني ، أو بوابات هرقـــــل .
اذهبوا ، واجترئوا على اغراق السفن عـــــلى

السواحل الكئيبة
حيث يأسر الافارقة السود المسيحيين ،
اذهبوا إلى بحار الشمال المحوطة بالثلج ؛
حيث تشل الانفاس الميتة الايدى ، تبث الظلام
في العقول ؛
ابحثوا عن واحة في شمس الصحراء ،
اذهبوا ، واسعوا إلى التحالف مع المسلمين–
الوثنيين ،
لتشاركوهم طقوسهم النجسة ، وحاولوا أن–
تخطفوا
النسيان في بلاطه الداعر ،
النسيان عند نافورة جنب شجرة التمر ؛
أو اجلسوا وعضوا أظافركم في « أكويتين » .
وستدور دائرة الالم الصغير في داخل جماجمكم
وتظلون تجوبون وتطأون دائرة واحدة لانهاية لها ،
دائرة من الفكر ، مداها أن تبرروا لانفسكم هذا
الحدث ،
ناسجين قصة خيالية تتضح كلما نسجتم ،
وتظلون تخطون إلى الابد في جحيم الاقتناع الزائف
الذى هو ليس اعتقادا : ذلك هو قدركم على
الارض
ويجب علينا ألا نفكر فيكم بعد الآن .

الكاهن الأول

يا سيدنا ،

يا من خبىء عنا مجده في حاله الجديد ،
صل من أجلنا بفضل محبتك .

الكاهن الثاني

والآن في مرآى الله
متحدا بكل القديسين والشهداء الذين سبقوك ،
تذكرنـــا .

الكاهن الثالث

دعوا شكرنا يصعد
لله الذى وهبنا قديسا آخر في كانتر برى .

الجوقـــة

(بينما تسمع ترتيلة **الشكر لك يا رب** بالتلاتينية
من بعيـــد)
نمجدك ، يارب ، للمجد المتجلى في كل مخلوقات
الارض
في الثلج ، في المطر ، في الريح ، في العاصفـــة ،
في كل المخلوقات
في كلا الصياد والصيد .
في كل الاشياء الموجودة ، مرئية لك وحدك ،
معروفة
لك وحدك ، كل الاشياء الموجودة
في نورك وحده ، يتجلى المجد ويعلن حتى في
ذلك الذى
ينكرك . الظلام يعلن مجد النور .

أولئك الذين ينكرونك لا يستطيعون الانكار ،
لو أنك
كنت غير موجود ، فان انكارهم لا يكمل أبدا ،
لانك لو لم تكن موجودا لما وجدوا .
إنهم يؤكدونك في الحياة ، كل الاشياء تؤكدك
في الحياة :
الطائر في الهواء . كل من الصقر والعصفور ،
الحيوان
على الارض ، كل من الذئب والحمل . الدودة
في التربـــه
والدودة في الجوف .
ولذلك فان الانسان ، الذى جعلته واعيا بك ،
يجب
ان يحمدك واعيا ، في فكره وكلمته وفعله .
حتّى وايدينا على المكانس ، وظهورنا محنيـــــة
نوقد النار ،
وسيقاننا محنية ننظف الساحة ، نحن خدم كنتّر
برى
وكناسيهـــا ،
الظهر محنى تعبا ، والساق محنية تحت الاثم ،
والايدى
على الوجوه فرقا ، والرأس محنية حزنا ،
حتّى فينا تمجدك أصوات الفصول ، غنة الشتاء ،
واغنية الربيع وطنين نحل الصيف ، واصوات
الحيوان

والطـــير .
نمجدك لاجل رحمتك حين يسيل الدم ، من أجل الافتداء ،
بالدم ، لأن دم الشهداء والقديسين
سوف يثري الارض ، ويخلق فيها الامـــاكن المقدسة .
لانه حيثما أقام قديس ، وحيثما وهب شهيد دمه فداء لدم المسيح
ستكون ارض مقدسة ، لن ترحل القداسة عنها
رغم ان الجيوش تمتهنها وتدوس عليها ، رغم أن المتفرجين يأتون ومعهم كتب السياسة ليتفرجوا عليها ؛
من حيث تقضم البحار الغربية ساحل أيونا
إلى حيث الموت في الصحراء ، والصلاة في أماكن منسية بجنب العمود الامبراطورى المكسور ،
من مثل هذه الارض يرتفع ذلك الذى يجـــدد الارض
إلى الابد
رغم أنها تنكر للابد . ولذلك ، يا رب ، نحن نشكر لك
لأنك أعطيت مثل هذه النعمة لكانتر برى .
سامحنا ، يا رب ، فنحن نعترف أننا نمط عادى من الناس ،
ذلك النمط الذى يخشى نعمة الله ، والوحدة في مساء

الله ، والامتثال المطلوب ، والحرمان الواجب
ذلك النمط الذى يخشى ظلم البشر أكثر مما يخشى
عدالة الله ؛
ويخشى اليد على النافذة ، النار في سقف المنزل ،
القبضة الممدودة في الحانة ، الدفعة المغرقـــة في
القنـــاة .
أكثر مما يخشى حب الله .
نحن نعترف باخطائنا ، بضعفنا ، بخطئنا ، نحن
نعترف
أن خطيئة العالم فوق رؤوسنا ، ان دم الشهداء
وعذاب القديسين
فوق رؤوسنا
يا رب ، ارحمنـــــا
يا أيها المسيح ، ارحمنا
يا رب ، ارحمنــا
يا توماس المبارك ، صل من أجلنا .



فهرست

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ماتويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان آنوى	القبرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة أو عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى أو قصة مغامرة
٨	تييرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيــزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال البى	دراما اللامعقول
١/١٢	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليــا ٢ ـ الاب
١٣	نيكوس كازنتزاكى	عطيل يعــود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	أوليفر جولد سميث	تواضعت فانتصرت
١/١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجاليــة فرساى
١٧	دوجلاس ستيورات	عسكر ولصوص اونيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١/١٩	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ الثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	ـ رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	ـ انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	ـ تيرانس راتجان	روس او لورانس العرب
٢٣	ـ كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	ـ وليم شكسبير	هاملت
٢٥	ـ نويل كوارد	الحياة الشخصية
١/٢٦	ـ سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
١/٢٧	ـ جبريل مارسل	من الأعمال المختارة) جبرييل مارسل ب ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	ـ انريكي خارديل بونثلا	ليلة صاهرة من ليالى الربيع
٣/٢٩	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقـوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	ـ بيتر شافر	اصطياد الشمس
١/٣١	ـ جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	ـ هـ . و . فيرمان	انتصار جوزس
١/٣٣	ـ جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ١ ١ ـ بيوت الأرامل ٢ ـ العابث
٣٤	ـ فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣/٣٥ ــ سوفوكل		(من الاعمال المختارة) سوفوكل ــ ٢ ١ ــ اوديب الملك ٢ ــ اوديب فى كولون ٣ ــ اليكترا
١/٣٦ ــ جان جيرودو		(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ــ ١ ١ ــ اليكترا ٢ ــ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧ ــ يوجين يونسكو		(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ١ ١ ــ المغنية الصلعاء ٢ ــ الدرس ٣ ــ جاك او الامتثال ٤ ــ المستقبل فى البيض ٥ ــ الكراسى
٣٨ ــ كوبر ــ تشيرشل ــ شارب مانج		مسرحيات اذاعية
٢/٣٩ ــ جبرييل مارسل		(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ــ ٢ ١ ــ روما لم تعد فى روما ٢ ــ المحراب المضىء أو (مصباح النعش)
٤٠ ــ انطون تشيخوف		١ ــ شيطان الغابة ٢ ــ الخال فانيا
٢/٤١ ــ جورج شحادة		(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ٢ ١ ــ مهاجر بريسبان ٢ ــ البنفسج
٢/٤٢ ــ لويجي بيرندلو		(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ــ ١ ١ ــ ديانا والمثال ٢ ــ الحياة عطاء ٣ ــ لذة الامانة
٤٣ ــ جيمس جويس		١ ــ ستيفن « د » ٢ ــ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ــ ٤ ١ ــ الغرماء ٢ ــ الاميرة البيضاء ٣ ــ عيد الفصح
٢/٤٥	ســوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ــ ٢ ١ ــ انتيجونة ٢ ــ اجاكس ٣ ــ فيلوكتيت
٢/٤٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ــ ٢ ١ ــ سدوم وعمورة ٢ ــ مجنونة شايو
٢/٤٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ٢ ١ ــ ضحايا الواجب ٢ ــ مرتجلة آلمــا ٣ ــ سفاح بلا كراء
٢/٤٨	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ــ ٢ ١ ــ طريق القمة ٢ ــ العالم المكسور
٤٩	البى شيزجال	١ ــ الحلم الامريكى ٢ ــ الطابعان على الالة
٥٠	ارمان سالاكرو	الارض كرويــة
٢/٥١	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ــ ٢ ١ ــ الســلاح والانسان ٢ ــ كانديدا ٣ ــ رجل المقادير
٥٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتنيس دى لاروزا	ابن أمية أو ثورة الوريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو بايخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦	يوربيديس	● الكتـرا ● اورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٢/٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٢ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الازواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	● الهرجون ● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جى	● اوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٥/٦٥	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥ ١ ـ رقصة الموت ٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم ساروريان	١ ـ ايـام العمر ٢ ـ سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ ـ العارض ٢ ـ بيرنيس المصرية
٢/٦٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ـ ٢ ١ ـ المعصرة ٢ ـ اداء الادوار ٣ ـ ابو زهرة بفمه

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/٨٣	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ١ ١ ـ قدما ٢ ـ عبودية ٣ ـ ضباب ٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف ٥ ـ فى المنطقة ٦ ـ بدر على البحر الكاريبى
٨٤	جان كوكتو	١ ـ فرسان المائدة المستديرة ٢ ـ الأبناء الأشقياء
٨٥	تيرانس راتيجان	١ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ٢ ـ الممر المضىء
٨٦	فدريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧	كالدرون دى لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	يوربيديس	١ ـ الفينيقيات ٢ ـ المستجيرات
٩٠	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
١/٩١	جون مليجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ١ ١ ـ ظل الوادى ٢ ـ الراكبون الى البحر ٣ ـ زفاف السمكرى ٤ ـ بئر القديسين
٢/٩٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ٢ ١ ـ فتى الغرب المدلل ٢ ـ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ـ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميلر	١ ـ كلهم ابنائى ٢ ـ الثمن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٩٤	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢ ١ ـ أوبرا القروش الثلاثة ٢ ـ لوكلوس ٣ ـ بعـل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثينى
٩٦	كارلو جولدوني	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤ ● فتاة فى سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تخريف ثنائي ● الثغـرة ● لعبة الموت
٢/٩٩	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ٢ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيخ له طريقة ٣ ـ الليلة نرتجل
١/١٠٠	تشيكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ـ معارك كوكسينجا
٢/١٠١	يوجين أونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافق ٢ ـ آنا كريستى
٢/١٠٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحرية المقلولة ٢ ـ صعود البطل
١٠٣	وليم شكسبير	مأساة عطيل
١٠٤	جايلز كوبر، كولن فيثيو	١ ـ الطلبة الشاقيون ٢ ـ قبل يوم الاثنين الموعود ٣ ـ الليلة يوم الجمعة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١٠٥	ـ براتيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعادة الوزير ٢ ـ الدكتور
١/١٠٦	ـ دنيس جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ ١ القمر في النهر الاصفر
١٠٧	ـ تيرانس راتيجان	١ ـ بينما تسطع الشمس ٢ ـ المهرجـون
١٠٨	ـ فرانسواز ساجان	● ـ الحصان المغمى عليه ● ـ الشوكة
٢/١٠٩	ـ تشيكاماتسو	(من الاعمال المختار) تشيكاماتسو ـ ٢ ● ـ الصنوبرة المجتثة ● ـ انتحار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	ـ برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتى
٥/١١١	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع
١١٢	ـ وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	ـ وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	ـ الفونسو ساسترى	● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحـة ● الكمـامـة
٣/١١٥	ـ يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٣ مرحلة الواقعية الاولى رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	ـ جان كوكتو	الالة الجهنمية
١١٧	ـ يوهان فلفجانج جيته	جيتس فون برلشنجن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١١٨	جان راسين	ماساة طيبة او الشقيقان فيـــدر
١١٩	جان انوى	ليوكاديا
١/١٢٠	جاك اوديبرتي	● الشر يستطير ● الصابرون
٢/١٢١	جاك اوديبرتي	مصبغة النزلاء
٢/١٢٢	بويرو بايبخو	اسطورة دون كيشوت ١٦٦٨
٢/١٢٣	بويرو بايبخو	حلم العقل
١٢٤	وليم شكسبير	مكبث
١٢٥	جوزيف اوكونر	القيثارة الحديدية
١/١٢٦	ادواردو دى فيليبو	١ ـ عائلتي ٢ ـ الابتهاج
١٢٧	جيمس بروم لين	● الزملاء الثلاثة
١٢٨	برانيسلاف نوشيتش	(من الاعمال المختارة) برانيسلاف ● ممثل الشعب
١٢٩	آرثر ميللر	● الناشزون
١/١٣٠	ايفان سرجييفتش تورجنيف	● العالة ● خيال مريض
١٣١	روبرت بولت	الكرز الزهر
١٣٢	يوهان فلفجانج جيتة	توركواتوتاسو
١٣٣	الر رايس	● مشهد في الطريق
١٣٤	وليم كونجريف	● حبا بحب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٢٥	ـ روبرت بولت	● تحيا الملكة
١٣٦	ـ الفريد دي موسيه	● لورنزاتشو
١٣٧	ـ يوجين اونيل ـ ٤	من الاعمال المختارة ● الامبراطور جونز ● الغوريلا
١٣٨	ـ سينيكا	هرقل فوق جبل اويتا
١٣٩	ـ موس هارت جورج كوفمان	دنيا زوال
١٤٠	ـ بيير كورني	ميليت السيد
١٤١	دونا ماكونا	قفزة في الخلاء او العجوز المراهق
١٤٢	ـ برانيسلاف نوشيتش	● المستر دولار
١٤٣	ـ جورج كيلى	● زوجة كريج
١٤٤	ـ كارلوجولدوني	١ ـ التطلع الى المصيف ٢ ـ مغامرات المصيف ٣ ـ العودة من المصيف
١٤٥	ـ فريدرش شلر	اللصوص
١٤٦	ـ ميجيل ميورا	ثلاث قبعات كوبا
١٤٧	ـ جون فورد	القلب المحطم
١٤٨	ـ ت٠س٠اليوت	جريمة قتل في الكاتدرائية

من الاعداد القادمة

١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤

المؤلف	المسرحية	المترجم
من المسرح الافريقي :		
فرديناند أويونو	الخادم	د. نايف خرما
هارولد كمل	الزنزانة	
كويس كاى	ضحك وصخب فى المنزل	
كويبناسكى	المتمامون	
وول سوينكا	مجانين واختصاصيون	د. على حسين حجاج
وول سوينكا	الموت وفارس الملك	
وول سوينكا	السلالة القوية	د. سليم الاسيوطى
جيمس نوجوجى	الناسك الاسود	د. سليم الاسيوطى
توم اومارا	الخروج	
سام توليياموهيكا	ولد للموت	
من مسرح الخيال العلمى :		
راى برادبورى	عمود النار	رؤوف وصفى
	الكلايدوسكوب	
	نفير الضباب	
المر رايس	الإلة الحاسبة	د. طه محمود طه
ج كوفمان ، م.كونيلى	شحاذ على صهوة جواد	
من المسرح العالمى :		
ميوريل سبارك	حملة الدكتوراه	د. أحمد النادى
ادواردو دى فيليبو	عيد الميلاد فى بيت كوبيللو	د. سلامة محمد محمد سليمان
	اصوات الاعماق	
تورجينيف	الاعزب ـ الريفية	د. سمية عفيفى
	شهر فى القرية	
بيتر تيرسون	ليلة تبكى الملائكة	الشريف خاطر

تابع من الاعداد القادمة

المؤلف	المسرحية	المترجم
ف. جريلبارتسر	الجدة الاولى ـ سابفو	د. باهر الجوهرى
ب. نوشيتس تولستوى	المرحوم اول من صنع الخمر سلطان الظلام	د. فوزى عطية محمد
كارل تسوكماير	نقيب كوبنيك	د. عبد السلام اسماعيل
يوجين اونيل	الاله الكبير براون	د. عبد الله عبد الحافظ
روبرت بولت	النمر والحصان	الشريف خاطر
شون اوكيس	المحراث والنجوم ـ وورود حمراء من أجلى ـ ظل مقاتل ـ نهاية البداية	فوزى العنتيل حسين اللبودى
شـــلر	فلهلم تل	د. عبد الرحمن بدوى
اليوت	حفلة كوكتيل جريمة فى الكاتدرائية	صلاح عبد الصبور
اريستوفانيس	السحب	د. احمد عتمان
يوريبيديس	عابدات باكخوس ايون هيبولوتوس	د. عبد المعطى شعراوى
يوريبيديس	الدروماخى الطرواديات ايجينيا فى اوليس ايجينيا فى تاوريس	اسماعيل البنهاوى

المترجم :

صلاح عبد الصبور ·· من مواليد الزقازيق ج·م·ع· شغل قبل رحيله الى الدار الآخرة منذ شهور قليلة منصب مدير عام المجلات بوزارة الثقافة فى مصر ·· وعمل محررا بكل من الاهرام وروزاليوسف ·· وترأس تحرير عدد من المجلات الثقافية بمصر ·· له ستة دواوين شعر وخمس مسرحيات شعرية · ترجم معظمها الى اللغات الاوروبية ·

المراجع :

د· أمين العيوطى ·· من مواليد القنايات ·· ج·م·ع ·· أستاذ بالمعهد العالى للفنون المسرحية بالكويت ·· له ابحاث ودراسات فى أدب الرحلات ·· وفن الرواية ·· والرواية الواقعية والرومانسية ·· ألف روايتين ·· له ترجمة ومقالات فى المسرح الغربى والعربى ·

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الأردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سورية	١٫٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربى	٢ ريال
لبنان	١٫٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

في العدد القادم

حفـــل كوكتيـل ١٩٥٠

تاليف : ت • س • اليوت (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥)

ترجمة وتقديم : صلاح عبد الصبور

جوهر **حفل كوكتيل** ينبع من يقين اليوت الديني ، اذ أن موضوعها هو الخلاص • قد تبدو المسرحية في مظهرها « دراما عائلية » معنية بما يكون بين الأزواج من رضا وسخط ، وهجر ووصل ولكن ذلك هـو مجرد ظاهرها البادى ، أما باطنها فديني صـرف • عيـادة الطبيب النفسي قد تكون مقصورة الاعتراف يلعب فيها الطبيب النفسي دور القسيس الذى يرشد مرضاه الى طريق الخلاص ، لهذا لا يتقاضى من سيليا أتعابا ويودعها بأسلوب انجيلي : « اذهبى فى سلام يا بنيتى • اعملي على خلاصك بجد » • كما يودع ادوارد ولافينيا بالتبريكـات ذاتها : « اذهبا في سلام • واعملا لخلاصكما بجد • »

الحيرة ، الوحدة ، العزلة ، الاغتراب ، القلق : كلمات يزخر بها الأدب الغربي عامه في القرن العشرين ، في الشعر والروايـة والمسرحية • وفى **الأرض الخراب** نقرأ عـن هـذه الهواجس : عـن « مدينة الوهم » لندن ، حيث

انساب جمهور على جسر لندن ، غفير

ما كنت احسب أن الموت قد طوى مثل هذا الجمع

قد تكون حفلات الكوكتيل مهربا مؤقتا كما في هذه المسرحيـة ، أو جرس الباب نسمعه قبل استدال الستار ، أو طرقة على باب كما في « لعبة شطرنج » في الجزء الثاني من **الأرض الخراب** ولكن اليـوت يقول : « لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسـه » (متى ٢٦/١٦ ، مرقس ٣٦/٨)•

سلسلة

من

المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

محمد يوسف الرومي

وكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه

أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث

بجامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية

• وزارة الاعلام

ص.ب ١٩٣

١٤٨



من المسرح العالمي

جريمة قتل فى الكاتدرائية

تأليف : ت. س. اليوت
ترجمة وتقديم : صلاح عبد الصبور
مراجعة : د. أمين العيوطى

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم صلاح عبد الصبور

ت.س. اليوت ومسرحه الشعرى

١ ـ لوحة حياة

★ عام ١٨٣٤

نزح كاهن بروتستانتى ينتمى الى طائفة الموحدين ، واسمه « وليم جرينليف اليوت » من بوسطن فى منطقة « نيو انجلند » الى قلب القارة الامريكية ، واختار مدينة « سانت لويس » مستقرا له ٠

ولا بد لفهم النزوح من العودة الى استجلاء الواقع الامريكى فى ذلك الزمان ٠ لقد كانت منطقة نيو انجلند ، على الساحل الشمالى الشرقى للولايات المتحدة هى موطن الثقافة والارستقراطية ، وما يتبعهما من أنماط للحياة تتفاوت بين الحكمة والتكلف ، وكانت بوسطن ، بمجاورتها لكامبريدج على نهر تشارلز ، التى توجد فيها جامعة هارفارد هى العاصمة الثقافية لينوانجلند ومن ثم فهى العاصمة الثقافية للولايات المتحدة ٠

أما سانت لويس ، فهى فى غرب الوسط ، وهى مجرد محطة تجارية تفتح الطريق الى الغرب الذى لم يكن قد اندمج فى البنيان الامريكى ، او استغلت ثرواته واراضيه الشاسعة ٠ ولذلك فلم يكن عجيبا ان يجيب الكاهن حين سأله احدهم عن مكانه أو مكانته فى سانت لويس :

« أنا هنا مثل شلن فضى بين بنسات من النحاس الاحمر »

ولقد عمل الكاهن النازح بالتعليم ، فأنشأ مدرسة اليوت فى سانت لويس ، ثم أضاف اليها معهد واشنطن ، ونما المعهدان تحت رعايته حتى اصبحا « جامعة واشنطن » ، وهى الجامعة الكبرى فى ولاية ميسورى وعاصمتها (سانت لويس) الآن ، ومنذ ذلك الزمان ٠ ولقد مات الكاهن النازح فى عام ١٨٨٧ وهو مدير لهذه الجامعة ٠ ولذلك فان هذه الجامعة لا تذكر الا وذكر معها اسم منشئها « وليم جرينليف اليوت » ٠

★ عام ١٨٨٨

في ٢٦ سبتمبر من هذا العام ، ولد توماس ستيرنز اليوت ، الشاعر الذى عرفه العالم فيما بعد بمختصرات حروف اسميه الاولين فضلا عن اسم الاسرة : ت٠ س٠ اليوت ٠

كان توماس حفيد الكاهن النازح ، ورغم أن الاسرة حملت منذ ثلاثة قرون تقاليد الانتماء الى الثقافة الا ان أباه « هنرى » بن « وليم جرينليف اليوت » آثر العمل بالصناعة ، فأقام ورشة لصناعة الطوب المضغوط ٠

ولقد جاء الشاعر باسم « ستيرنز » من أمه ٠ فهي تنتمي الى اسرة من اسر نيوانجلند المسماه بهذا الاسم ٠ وكان هنرى لم يجد من بين أهل سانت لويس من يستحق مصاهرته ، فرجع الى موطنه الاول زائرا ، واختار هذه المرأة من بين بنات نيو انجلند ، وعاد بها الى سانت لويس ٠

كانت « شارلوت » امرأة ولودا ، ولدت سبعة اطفال آخرهم « توماس » ٠ وكانت ايضا محبة للادب ، شاعرة على نمط شاعرات عصرها ، فنظمت قصيدة طويلة عن « سافونارولا » الراهب الايطالي الثائر ، وكتبت فى نثر متكلف سيرة حميها الكاهن منشىء جامعة سانت لويس ٠

كانت اسرة « اليوت » اذن من أسر نيوانجلند ، ثم سانت لويس العريقة ، ومما يجدر ذكره ان جون آدامز ثاني رئيس للولايات المتحدة كان ابن عم أبي الكاهن وليم اليوت ، وان اليوت الاول وآدامز الاول كانا أخوين ٠

★ عام ١٩٠٥

بعد التعليم الاولي والثانوى في سانت لويس أرسل توماس اليوت ابن السابعة عشرة الى هارفارد ٠ وقضى السنة الاعدادية في اكاديمية ميلتون ، ثم أتم دراسة البكالوريوس في هارفارد في ثلاث سنوات ، وهى مدة قصيرة تشي باجتهاده ودأبه ٠ وكان من اساتذته في هارفارد نفر من اللامعين منهم الفيلسوف الاسباني المتأمرك جورج سانتيانا ، والفيلسوف الامريكي وليم جيمس ، والناقد ارفنج بابيت ، واخيرا فيلسوف انجليزى شاب في آخر عشريناته هو برتراند راسل ٠

فتن اليوت في هذه الفترة ببايرون ، ثم تحول الى آل براوننج « روبرت واليزابيث » ، لكنه مالبث ان ضاق بالشعر الانجليزى كله ، واقبل على قراءة الشعر الفرنسى ، ثم هام حبا بالشاعر الايطالي دانتي ، وتعلم من اجله الايطالية مستعينا بترجمة انجليزية نثرية للكوميديا الالهية ٠

وقد التقى اليوت بالحركة الرمزية الفرنسية من خلال كتاب وجده في مكتبة هارفارد ٠ وكان هذا الكتاب هو الحركة الرمزية في الادب لارثر سيمونز طبعة لندن عام (١٩٠٢) ٠ وقاده هذا الكتاب الى قراءة رامبو وفيرلين ، ثم الى الشاعر الفرنسى الذى ترك في نفسه اكبر الاثر ، وهو « جيل لافورج » الذى مات في عام ١٨٨٧ وهو في السابعة والعشرين من عمره ، تاركا ثلاثة مجلدات من الشعر ، قال اليوت فيما بعد انه كان أول امريكى قرأها ٠

★ عام ١٩١٠

في آخر هذا العام اتم اليوت دراسة الماجستير التي تستغرق سنة واحدة ٠ وكان طيلة هذا العام حائرا بين الشعر والفلسفة ، وبعدها قرر السفر الى باريس ، وهناك سمع بعض محاضرات للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون ٠ والتقى بآلان فورنييه الكاتب الفرنسى النابغة الذى مات في شبابه محاربا في عام ١٩١٤ بعد ان كتب رواية واحدة ، ولقد حثه فورنييه على قراءة بول كلوديل واندريه جيدودستويفسكى ٠

وفي باريس ساكن اليوت طالب طب يدعي « فردينال » في نفس البنسيون ، ومات فردينال في الحرب عام ١٩١٥ ، واليه اهدى اليوت الطبعة الاولي من مجموعته « بروفروك وملاحظات اخرى » شافعا الاهداء باسطر من مطهر « دانتي » تقول :

« كيف تستطيع ان تفهم مقدار الحب الذى يدفئنى تجاهك »

« الحب الذى جعلنى أنسى الزهو »

« وأعامل الاشباح كأنها الحقيقة »

وفكر اليوت في هذا الزمن ان يتحول الى الكتابة بالفرنسية ، كما فعل مواطنه الامريكى « جوليان جرين » فيما بعد ٠ ولكنه قاوم هذا الاغراء ، وعاد الى هارفارد بعد عام واحد ليستكمل دراسة الفلسفة ، وليوثق صلته باستاذه راسل ٠

★ عام ١٩١٢

اليوت في هارفارد بعد غربته الفرنسية القصيرة ، يقرأ في الفلسفة ، ويعد لدرجة الدكتوراة فيها ، ويكتب واحدة من أهم قصائده وهي : « أغنية حب ج ٠ الفريد بروفروك » ٠

★ عام ١٩١٤

في اواسط هذا العام حصل اليوت على منحة من جامعة اوكسفورد لاتمام رسالته للدكتوراة ، فقصد الى انجلترا ٠ وفي ٢٢ سبتمبر التقى في لندن بالشاعر الامريكي المهاجر عزرا باوند ٠ وكان قد ارسل اليه من قبل بالبريد مخطوطة قصيدته بروفروك فأعجب باوند بها ، وبعث بها الى هارييت مونرو محررة مجلة « الشعر » التي تصدر في شيكاغو ٠ والتي كان هو مراسلها بلندن ، مرفقا لها بتعليق يقول فيه « هذه أفضل قصيدة كتبها أمريكي فيما أرى ، وارجو الا تكون فريدة ، وان يكون للشاعر غيرها » ٠

شجع باوند اليوت على الاقامة في انجلترا رغم انه ضاق سريعا باكسفورد وجوها الكئيب ، وشجعه ايضا على ان يتزوج من الانجليزية « فيفين هاى وود » ٠

★ عام ١٩١٥

في ٢٦ يونيو عام ١٩١٥ تزوج اليوت من فيفين هاى وود ، وكان كلاهما في السابعة والعشرين من عمره ، وان كانت تكبره بشهور كان أبو فيفين رسام بورتريه محترفا ، نال شهرة برسم وجوه الطبقة العليا، واعتزل العمل حين جمع من المال ما يؤمن له حياة مستقرة ٠

وكانت فيفين فتاة جذابة المنظر ، ضئيلة الحجم ، مليئة بالحيوية ذات شعر بني غامق ، وعينين زرقاوين ، وكانت الى ذلك متقلبة المزاج ميالة للثناء ، عرضة لنوبات من الغضب واليأس ٠

لم يشهد احد من اسرتيهما الزواج ، فقد كانت اسرة الزوج على ضفة المحيط الاخرى ، بينما انكرت اسرة فيفين زواج ابنتها من طالب فلسفة امريكي لا دخل له الا منحة الجامعة ٠

وفي نفس الشهر ظهرت في مجلة الشعر التي تصدر في شيكاغو قصيدة « بروفروك » التي كان باوند قد ارسل بها الى السيدة «مونرو»

وعمل اليوت منذ بدء العام الدراسي معلما في مدرسة ابتدائية بأجر سنوى قدره ١٤٠ جنيها زيادة على العشاء والشاى • وكان يعلم الفرنسية والحساب والتاريخ والرسم والسباحة •

كان الزواج فاشلا ، وكان اليوت يتحمل نوبات غضب زوجته بصبر بالغ • والتقى اليوت باستاذه القديم برتراند راسل الذى كان قد عاذ من الولايات المتحدة ليستأنف نشاطه الفلسفي والادبي في لندن • وتذكر راسل تلميذه القديم ، وحدب عليه ، ودعاه للاقامة في بيته الكبير هو وزوجته •

ولعلنا نعلم ان راسل سليل اسرة انجليزية عريقة ، وكان في ذلك الوقت شابا وفيلسوفا لامعا ، ورياضيا مرموقا ، واستاذا جامعيا عالي القدر ، وصديقا لمجتمع لندن المثقف كله •

وقدم راسل تلميذه القديم الى وجوه اهل الفن والادب في لندن ، وصار اليوت ضيفا مرحبا به فرجينيا وولف وزوجها لينارد وولف ، وتعرف باختها فانيسيا الرسامة ، وزوجها كلايف بيل مؤرخ الفن الشهير ، وبالدوس هكسلي وزوجته مارى ، وكاتب التراجم ليتون ستراتشي وغيرهم •

كان هؤلاء العلية يرحبون باليوت بينهم ، ولكنهم يتوجسون خيفة من وجود زوجته ذات الطبع النارى والغضب المتفجر ، وقد ظل اليوت يقيم ببيت راسل شهورا حتى دب الخلاف بينهما لما ظنه اليوت من علاقة بين زوجته وبين راسل •

★ عام ١٩١٦

اتم اليوت كتابة رسالة الدكتوراة بعنوان **المعرفة والتجربة عند ف• برادلي** وبرادلي (١٨٤٦ ــ ١٩٢٤) فيلسوف انجليزى من ألمع فلاسفة العصر الحديث •

وارسل اليوت الرسالة الى هارفارد ، وقبلتها الجامعة ، وحدد اليوت موعد السفر ، وحجز بطاقتي سفر الى امريكا له ولزوجته ، ولكن الزوجة رفضت السفر متذرعة بالخوف من غواصات الالمان التي كانت تذرع المحيط الاطلسي ، فالغى الشاعر السفر ، وطوى صفحة درجة الدكتوراة الى الابد ، وان كانت الرسالة قد طبعت ككتاب فيما بعد •

انتقل اليوت الى العمل بمدرسة اخرى بأجر أعلى · وعمل فى الوقت ذاته مساعدا لتحرير مجلة **ايجويست** بمكافاة قدرها ستة وثلاثون جنيها شهريا ، كان نصفها تقريبا يدفعه باوند من جيبه الخاص ·

★ عام ١٩١٧

التحق اليوت كاتب حسابات ببنك اللويدز ، وكان عمله هو مراجعة الحسابات الواردة للبنك من العملاء الاجانب ، وقد ساعدته معرفته باللغات الفرنسية والالمانية والايطالية فضلا عن قليل من الاسبانية والدانمركية والسويدية ·

وفي هذا العام ظهرت مجموعته **بروفروك وملاحظات اخرى**

★ عام ١٩١٨

حاول اليوت التطوع للحرب ، بعد ان دخلتها الولايات المتحدة ، ولكن لياقته البدنية خانته ، اذ ردته هيئة الكشف على المتطوعين ، حين وجدت لديه فتاقا مزمنا ، وتقدم للعمل فى المخابرات ، ولكن الهدنة حالت دون ذلك اذ استغرق هذا السعى شهورا طويلة ·

★ عام ١٩١٩

أصبح اليوت من كتاب الملحق الادبى لصحيفة « التايمز » اللندنية ، وذلك شرف كبير · وقبل ذلك كان قد وصله نعى أبيه ، وانتابه الحنين لرؤية أمه ومسقط رأسه ، ولكن صحة فيفين كانت لا تتحمل السفر ·

وترقى اليوت فى عمله بالبنك ، حتى رشحته ادارة البنك « رئيس فرع » ، وتوالى نشر شعره في المجلات ، وظهرت طبعتان انجليزية وامريكية لمجموعته **أسفار** ·

★ عام ١٩٢٢

قضى اليوت بضعة أيام في عطلة فرنسية وحيدا ، ثم عاد الى لندن ليسلم مخطوطه قصيدته **الارض الخراب** لصديقه باوند ، الذى أجرى فيها عديدا من التعديلات ، فمحا كثيرا من سطورها ، وعدل بعض الصياغات والكلمات ، ثم طبعت القصيدة فى أواخر العام ، وكان نجاحها صاعقا ، واصبح اليوت بعد نشرها من ألمع شعراء العصر ·

★ عام ١٩٢٥

كان اليوت قد أصبح محررا لمجلة أدبية **المعيار** ، وتحول من العمل فى بنك اللويدز الى دار النشر « فابر وفابر » ، وكانت مقالاته النقدية الهامة تتوالى مرسية مكانته كناقد جديد الرؤية ، كما نشر قصيدته **الرجال الجوف** التى توقف بعدها عامين كاملين عن كتابة الشعر ، وظن انه لن يعود الى الشعر ثانية فى مستقبل ايامه ٠

★ عام ١٩٢٧

تحول اليوت عن البروتستانتية الى الكاثوليكية ، وفى كتابه النثرى **من أجل لانسلوت اندروز** الذى صدر فى عام ١٩٢٨ ، أعلن اليوت أنه :

« كاثوليكى فى العقيدة ، كلاسيكى فى الادب ، ملكى فى السياسة »

أما قمة مشاعره الدينية ، فقد تبدت فى قصيدته الكبرى « اربعاء الرماد » التى عاد بها الى الشعر بعد انقطاع طويل ، واهداها الى زوجته فيفين كشارة تحية ووداع اذ كان قد أيقن بفشل حياته الزوجية ٠

ولقد طبعت القصيدة فى عام ١٩٣٠ ٠

★ عام ١٩٣٢

تلقى اليوت دعوة للمحاضرة فى هارفارد ، وها هو يعود اليها بعد ثمانية عشر عاما ، ليقيم فيها ستة أشهر ، وفى نيته حين يعود ان ينفصل عن زوجته فيفين ، اذ أنه قيد نفسه بقيد الكاثوليكية الذى لا يبيح الطلاق ٠

جمع اليوت محاضراته فى هارفارد فى تلك الفترة فى كتاب **فائدة الشعر وفائدة النقد** ، واقام فى بيت من بيوت الجامعة يدعى « بيت اليوت » نسبة الى أحد أبناء عمومته الذى كان مديرا لهذه الجامعة يوما ما ٠

قال فى افتتاح هذه المحاضرات :

« من المرغوب فيه ، من وقت لوقت ، كل مائة عام أو زهائها ،

ان يظهر ناقد لكي يعيد عرض ماضينا الادبي ، ويعيد ترتيب الشعر والشعراء • »

وكان كأنه يعني نفسه بهذا المطلع المثير •

وحاضر اليوت كذلك في جامعات فرجينيا وييل وجون هوبكنز ، وطبع محاضراته في فرجينيا بعد ذلك في كتاب بعنوان **وراء آلهة غريبة** الذي طبع في عام ١٩٣٤ ، اما محاضراته في جون هوبكنز ، فقد تحدث فيها عن الشعراء الميتافيزيقيين ، واهمهم عنده الشاعر « جون دون » (١٥٧٢ ـ ١٦٣١) الذي نوه اليوت بذكره ، ودفع به الى المكانة العليا ، وهكذا حقق كلمته التي أشرنا اليها ، حين يعيد الناقد ترتيب الشعر والشعراء •

★ عام ١٩٣٣

عاد اليوت الى انجلترا ، واقام في ضيعة أحد أصدقائه في « سري » ، وارسل أوراق الانفصال الى زوجته • وبعد شهور عاد الى لندن ليقيم وحده •

★ عام ١٩٣٥

قادته عقيدته الدينية الى المسرح مرة ثانية • كان قد حاول الكتابة في أول العمر ، فكتب قطعة حوارية باسم « سويني غاضبا » ولكنه لم يتمها • وفي هذه السنة كتب بضعة مقاطع للجوقة باسم « الصخرة » ثم دعاه قسيسه وصديقه جورج بل استف تشستر لكي يكتب مسرحية لاحتفالات كانتربيرى عام ١٩٣٥ ، فكتب مسرحيته التي نقدمها في هذا الكتاب **جريمة قتل في الكاتدرائية** •

★ عام ١٩٣٩

عرضت مسرحيته الثانية **اجتمـاع شمل العائلة** في مسرح وستمنستر بلندن ، وظل عرضها خمسة أسابيع • وقال عنها مخرجها انها مسرحية رائعة ولكنها غير ناجحة ، وفي آخر هذا العام قامت الحرب العالمية الثانية • وشغل اليوت بالنشاط الدعائي ، فكان يكتب ويذيع ويحرض على خوض الحرب بوصفه أحد اعلام الثقافة الانجليزية •

★ عام ١٩٤٤

صدرت قصائده الاربع **الرباعيات الاربع** فى انجلترا ، وكانت الطبعة الامريكية قد صدرت قبل ذلك بعام • وقد استغرقت كتابة هذه القصائد سنوات طويلة تمتد بين عامى ١٩٣٥ ـ ١٩٤٢ • وقد استقبلت هذه القصائد استقبالا رائعا •

★ عام ١٩٤٧

فى الثاني والعشرين من يناير توفيت « فيفين » زوجة اليوت فى مستشفى نورثمبرلاند للامراض العقلية ، وهى فى التاسعة والخمسين من عمرها • وحزن اليوت عليها حزنا عميقا • وان كان أشد ما أحزنه ، كما قال لاحد اصدقائه ، انه لا يحتفظ لها بذكرى لحظة واحدة من السعادة •

★ عام ١٩٤٨

منح اليوت جائزة نوبل ووسام الاستحقاق البريطاني الذى جرى العرف الا يحمله الا اربعة وعشرون من الاحياء • وفي تلك السنة سافر الى امريكا محاضرا ، والتقى هناك بصديقه القديم عزرا باوند الذى كان حبيسا فى مستشفى سانت اليزابيث فى واشنطن ، اذ أدانه القضاء الامريكى بعد الحرب بالولاء للفاشية ، وقبض عليه فى روما حين دخلتها جيوش الحلفاء • وتوسط المثقفون الامريكيون لكى يحولوه من السجن الى المستشفى •

★ عام ١٩٥٠

نشر مسرحيته الثالثة **حفل كوكتيل** التى تجدها مترجمة فى العدد التالى • وعرضت المسرحية في لندن ونيويورك معا ، واعجب بها النقاد ، وأحبها المتفرجون لبساطتها ومباشرتها • ولقد استمر عرضها فى نيويورك ٣٢٥ ليلة •

★ عام ١٩٥٧

تزوج اليوت من سكرتيرته الشابة « فاليرى فليتشر » ، وكان عندئذ فى التاسعة والستين بينما كانت هى فى ثلاثينياتها ، وكان زواجا سعيدا كما حكى اصحابه • وسافر بعد ذلك ثلاث مرات الى الولايات المتحدة • وفى عام ١٩٥٩ نشر اليوت مسرحيته **السياسى**

العجوز ، وكان قد أصدر قبل ذلك بخمس سنوات مسرحيته الكاتب المؤتمن •

★ عام ١٩٦٥

في ٤ يناير عام ١٩٦٥ توفى ت.س.اليوت عن سبعة وسبعين عاما • وكتب سيسيل داى لويس الشاعر المشهور نعيه في جريدة التايمز ، ودعاه « اكبر الشعراء الانجليز تأثيرا فى عصرنا » •

وقد أوصى اليوت ان تحرق جثته ، وان يدفن رمادها فى كنيسة « ايست كوكر » ، وبعد دفنه بشهر اقيم قداس على روحه في كنيسة وستمنستر حضرته الملكة ورئيس الوزراء ، والقى الممثل المعروف السير أليك جينس خمسة مقاطع من شعره • وعزفت الموسيقى نشيدا من سترافينسكى مبنيا على المقطع الرابع من قصيدة « ليتل جيدنج » احدى قصائد « الرباعيات الاربع » •

وانطوت حياة شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس ، واسهم بشعره فى صنع حساسية العصر الذى نعيش فيه ، واثر فى عديد من الشعراء فى مختلف بلاد العالم •

وانطوت ايضا حياة مسرحية ، حاول خلالها اليوت ان يعيد المسرح الشعرى الى مكانه ومكانته ، بعد ان كاد الشعر ان يطرد من على خشبة المسرح •

وانطوت ايضا حياة نقدية استطاع صاحبها بخطواته ومقالاته النقدية ان يفتح الطريق لتيار نقدى جديد مشى فيه لاحقوه وتابعوه طويلا •

★ ★ ★

٢ ـ الشعر والمسرح

في رأي اليوت

ترجمة عربية لمقال نقدى لاليوت فى مجموعة مقالاته « مختارات نثرية » ويعد هذا المقال أوضح بيان لحركة المسرح الشعرى الاليوتى ، والمسرح الشعرى المعاصر بشكل عام ٠

حين استعرضت حصيلتي النقدية خلال الثلاثين عاما السالفة ، التي لا تتكرر ، فوجئت بهذا الالحاح الذى كنت أعود به الي الحديث عن الدراما ، سواء باختيار أعمال معاصرى شكسبير ، او باستشفاف امكانيات المستقبل • وربما كان الناس قد سئموا سماعي أتحدث في هذا الموضوع ، ولكني ـ بينما أجد انني كنت أؤلف تنويعات لنفس الموضوع طول حياتي ـ فان وجهات نظرى كانت دائمة التبدل والتجديد مع زيادة تجربتي ، حتي انني كنت اضطر لمراجعة الموقف من جديد في كل مرحلة من مراحل تجربتي •

ولما كنت قد تعلمت بالتدريج ، الكثير من مشاكل المسرحية الشعرية ، والشروط التي ينبغي ان تحققها لتبرر وجودها ، فقد اتضحت لي ، لا دوافع رغبتي الذاتية للكتابة في هذا الشكل، فحسب، بل الدوافع الاعم للرغبة في ان يسترد هذا الشكل مكانته • واني لاعتقد انني لو اوضحت هذه المشاكل وتلك الشروط ، فقد يتضح للاخرين ما اذا كانت المسرحية الشعرية قادرة علي ان تعطي لمرتاد المسرح ما تعجز عنه مسرحية النثر ، وكيف تتم لها القدرة على العطاء •

وأنا أصدر عن القول ان الشعر يصبح لزوما لما لا يلزم مسرحيا ، اذا أصبح مجرد تحلية أو زخرفة مضافة ، ولو كان كل ما يعطيه لذوى الذوق الادبي هو متعة سماع الشعر في نفس الوقت الذى يشهدون التمثيل فيه • بل على الشعر أن يبرر نفسه دراميا ، لا أن يكون شعرا جميلا موضوعا في قالب درامي فحسب ، بحيث تستغرق المسرحية المتفرجين ، أو تثير انتباههم أحداثها ، او تحرك عواطفهم مواقف شخصياتها، ولا يفطنون كلية الى أن أداة التعبير فيها هي الشعر ولو لم يتحقق ذلك لما وجب ان تكتب دراما شعرية ، بينما يستطيع النثر ان يحقق ذلك كله •

وسواء استخدمنا النثر أو الشعر ، فكلاهما ليس الا وسيلة لغاية • والفرق بينهما ـ من وجهة نظر ما ـ ليس كبيرا كما قد نظن • ففي هذه المسرحيات النثرية التي عاشت بعد مؤلفيها ، والتي ظلت الاجيال التالية تقرؤها وتقدمها على المسرح ، نجد النثر الذى تتحدث به الشخصيات مختلفا في أفضل اجزائه عن نثر حياتنا العادية ، سواء في مفرداته او اعرابه وايقاعه • انه نثر كالشعر كتب مرة بعد مرة • واحسن كاتبين مسرحيين عندنا باستثناء شكسبير والاليزابثيين الاخرين الذين مزجوا الشعر بالنثر في المسرحية الواحدة هما في رأى كونجريف وشو • وكلاهما ناثر • وان حديثا لاحدى شخصيات

كونجريف أو برنارد شوليملك ـ مهما كان حظ الشخصيات من الاختلاف الواضح ـ ذلك الايقاع الشخصي الذى لا تخطئه الاذن ، والذى هو من علامات الاسلوب النثرى الفني ، وهو ايقاع لايستطيعه الا كاتب الحوار البالغ الحنكة الذى يبرع للسبب ذاته فى الحديث الفردى (المونولوج) •

ونحن جميعا قد سمعنا باحدى شخصيات موليير ، ذلك الرجل(١) الذى أبدى دهشته حين انبىء انه يتحدث نثرا • والواقع ان الحق كان فى جانب السيد جوردان ، لا فى جانب معلمه او خالقه موليير فهو لم يكن يتحدث نثرا ، ولكنه كان يتكلم فحسب • وانى لااريد ان أضع تفرقه ثلاثية بين الشعر والنثر وحديثنا العادى الذى يهبط عادة عن مستوى كل من الشعر والنثر • ولو نظرت للأمر من هذه الزاوية لتبينت ان النثر على المسرح مصنوع كالشعر • وباستبدال طرفي القضية ، نستطيع أن نقول ان الشعر يستطيعان يكون طبيعيا على المسرح •

والمتفرج الحساس يستطيع ان يتبين ان النثر الجميل المستعمل فى المسرحية أفضل من نثر المحادثة العادية ، الا أنه لن يراه لغة مختلفة تماما عن اللغة التي يتحدث بها • ولو حدث ذلك لوضع حاجزا بينه وبين الشخصيات المسرحية المتخيلة • اما فى الشعر فان كثيرا من الناس يواجهون المسرحية الشعرية ، وهم واعون بالفرق اللغوى • وهم قد يأسفون حين يصدمهم الشعر ، ولكنهم قد يتعزون اذا استطاع الشعر اجتذابهم ، وهذا لا يعنى ان هناك لونين من المتعة : متعة بالمسرحية ، ومتعة بلغة المسرحية • ففي اعتقادى ان اداة المسرحية سواء أكانت شعرا أم نثرا ، وايقاعها اذا كانت شعرا ينبغى ان يكونا غير ملحوظين •

ويتبع ذلك ان الخلط بين النثر والشعر فى المسرحية الواحدة يجب ان يجتنب لان كل انتقال يجعل المتفرج منتبها لاداة التعبير • وقد تبرر رغبة المؤلف فى اثارة الانتباه هذا الانتقال بين الاداتين ، حين يريد ان ينقل المتفرجين بعنف من أحد جانبى الحقيقة الى جانبها الاخر • وفى ظنى ان هذا النوع من النقل كان مقبولا بسهولة عند

---

(١) مسيو جوردان • شخصية فى مسرحية « البورجوازى النبيل » لموليير ، وهو رجل عامى جنى ثروة ، فحاول ان يسلك مسلك النبلاء ، واستأجر معلم سيف ، ومعلم بلاغة ، وحين انباه معلم البلاغة ان الكلام يتكون من شعر ونثر أبدى دهشته لانه كان يتحدث نثرا طول حياته ، وهو لا يدرى ! (المترجم) •

الجمهور الاليزابيثي الذى اعتادت اذنه علي النثر والشعر ، واستملح الزهو الاجوف والفكاهه الهابطة في المسرحية الواحدة ، وبدا لـه ان الاصوب هو ان تنطق الشخصيات العادية بلغـة مألوفـة بينمـا تنطق الشخصيات العالية الرتبة بالشعر حتى فى هذرها • ويبدو ان مقاطع النثر فى مسرحيات شكسبير قد صممت لتحدث تأثير التباين • وذلك لن يكون أبدا متخلفا عن عصرنا اذا اتقنه المسرحي • وما دمنا نتحدث عن شكسبير فسيخطر على بالنا مشهد قرع البوابة فيمسرحية **ماكبث**• وكثيرا ما يبدو لي‌ان تغييرالاداة من الشعر الى النثر فى **هنرى الرابع** يشير الى التباين الساخر بين عالم السياسـة العليا وعالـم الحيـاة العادية• فليس ما أمام المتفرجين ـ كما قد يظنون ـ هو تلك المسرحية التاريخية المعتادة وقد زينت ببعض المناظر المسلية المستمدة من الحياة العادية ، بل ان هذه المشاهد النثرية فى كلا الجزأين الاول والثانـى تمدنا بتعليق لاذع على المطامع المضطربة لرؤساء الاحزاب • واليـوم تعانى المسرحية الشعرية كثيرا من الصعاب • ولذلك أعتقد ان النثـر يجب ان يستعمل فيها باقتصاد شديد • وعلينا ان نهدف الى خلق شكل شعرى نستطيع به ان نقول كل ما يجب قوله • فاذا وجدنا موقفـا لا يمكن اجتيازه بالشعر ، فالسبب ان الشكل الشعرى الذى اخترناه ليس طيعا • واذا ثبت ان هناك مناظر لا نستطيع ان نعبر عنها بالشعـر ، فعلينا اما ان نطور شعرنا أو أن نتجنب تقديم تلك المناظر ، لان مـن واجبنا ان نعود متفرجينا على الشعر الى الحد الذى يكفون عن الوعى بـه ، واخشى اذا قدمنا حوارا نثريا فى المسرحية الشعرية عندئذ ان نجذب انتباههم من المسرحية ذاتها ، الى أداتها التعبيرية •

ولكن اذا كان شعرنا يتسع الى المدى الذى يستطيع فيه ان يقول كل ما يجب ان يقال ، فلن يكون عندئذ شعرا طول الوقت ، بل لـن يصبح شعرا الا حين يصل الموقف الدرامى الى درجة مـن «التكثيف» يصبح الشعر عندها هو المنطق الطبيعي ، لانه هو اللغة الوحيدة التـى يستطاع التعبير عن الانفعالات من خلالها •

ومن الضرورى بحق لكل قصيدة طويلـة ، اذا أرادت ان تتجنب الرتابة ان تكون قادرة على ان تقول الاشياء العادية دون اسفاف ، كما ترتفع الى أعلى الافاق دون مبالغـة ، وذلك اكثر اهميـة بالنسبـة للمسرحية ، وبخاصة اذا كانت تتصل بالحياة المعاصرة •

وليس السبب فى كتابة اكثر الاجزاء نثرية فى مسرحية شعرية بالشعر دون النثر هو تجنب انتباه الجمهور الى أداة التعبير فحسب ، بل ان للايقاع الشعرى أثره على السامعين دون ان يعوا بـــه • وان تحليلا قصيرا لاحد مشاهد شكسبير قد يوضح تلك النقطة ، وليكـن

مثالنا هو مشهد افتتاحية **هاملت** كمشهد حسن البناء ، يكاد يعرفه كل انسان ·

ونحن لا نلحظ التنوع الكبير في الاسلوب حين نشهد هذا المشهد على المسرح · ولكن الواضح هو أنه ليس هناك سطر من الشعر زائد عن الحاجة أو غير مبرر بقيمته الدرامية· والسطور الاثنان والعشرون الاولى مبنية على ابسط الكلمات فى ابسط تركيب عادى · ولقد كتب شكسبير عديدا من الاعمال الجيدة ، وعمل طويلا فى المسرح ، قبل ان يصل الى المستوى الذى يستطيع فيه كتابة هذه السطور الاثنين والعشرين · فليس هناك شيء هادىء ومبسط وواثق الى هذا الحد في اعماله السابقة · لقد كان من قبل يولد حوارا شعريا دارجا من خلال مونولوج لاحدى الشخصيات ، مثل شخصية فولكنبريدج فى الملك جون أو المربية في **روميو وجولييت** · أما الخطوة الجديدة البعيدة فهى أن يضمن هذا المونولوج دون اقحام فى ثنايا حوار حى من الاجابات القصيرة · ولن يبدأ شاعر فى السيطرة على الشعر الدرامى الا اذا استطاع ان يكتب سطورا قصيرة شفافة كتلك التى نجدها فى افتتاحية هاملت، فانت عندئذ لا تنتبه واعيا الى اداة الشعر بل الى معنى الشعر لو كنت تشهد هاملت للمرة الاولى دون ان تعلم شيئا عن الرواية · وما أظن أنه يخطر لك أن تسأل عما اذا كان المتحدثون شعرا أو نثرا · واذا كان للشعر علينا تأثير مخالف لتأثير النثر الا اننا فى هذه اللحظة سنكون منتبهين لليل وبرده ، وللضباط الذين يخفرون أسوار القلعة ، ولتوقع الحدث المهول · ولست أقول أنه لا مجال عندئذ لحال يكون جزء من المتعة فيها هو التلذذ بسماع الشعر الجميل ـ ولكن الشاعر بالتأكيد يضعه هنا لحتمية درامية · ونحن بالطبع عندما نكون قد شاهدنا المسرحية عديدا من المرات ، وقرأناها بين العروض المختلفة سنبدأ فى تحليل الوسائل التى استطاع بها المؤلف التأثير فينا ، ولكننا فى المواجهة السريعة لهذا المشهد لن نكون واعين بأداة التعبير فيه ·

ومن اول المشهد نجد ذلك التتادى الفظ الملائم للموقف ولشخصيات الحراس ، ولكنه لا يوضح شخصية باكثر مما يستلزم دورها فى الرواية فيما بعد · ثم يتهادى الشعر فى حركة ابطأ مع ظهور الحارسين هوراشيو ومارسيلوس ·

(هوراشيو يقول انه ليس الا وهمنا)

وتتغير الحركة مرة ثانية عند ظهور شبح الملك فى الهدوء العميق الطارىء

(ما أنت يا من اغتصبت هذا الهزيع من الليل ؟)

(ولاحظ بالمناسبة ذلك الاستبصار بالعقدة كما يوضحه استعمال الفعل « اغتصب ») .

أما الايحاء بالملك فيتضح بعد ذلك لنعرف شبح من هـذا الـذى ظهر :

هكذا عبس ذات مرة في اثناء مداولة غاضبة

اذ هوى على رأس بولونى في مزلقته على الثلج .

ثم يلى ذلك تغير مفاجىء الى الترنم المتقطع في كلمات هوراشيو للشبح (٢) عند ظهوره التالي ، ثم يتغير ذلك الايقاع مرة ثانية مـع الكلمات التى ينطقها مرسيليوس :

اننا لنسيء اليه اذ نقابله بالعنف

وهو على هذا الجـلال

فهو كالهواء لا يطعن

---

(٢) هذه الكلمات هي :

ولكن ، صمتا ، أنظرا ، انه يجيء ثانية
ساجابهه ، ولو حطمنى ، قف ايها الخيال
(ينشر الطيف ذراعيه)
ان كان لك صوت أو نطق تفوه به
تكلم معى
ان تكن هناك مكرمة اصنعها
لتجلب الراحة لك ، والخير لى
تكلم معى
ان كنت مطلعا على ما خباه القدر لوطنك
فنستطيع اذا عرفناه مسبقا تحاشيه
تكلم
أو ان كنت فى ايام حياتك قد خزنت
فى جوف الارض مالا اغتصبته حراما
ومن أجل ذلك يقولون انكم معشر الارواح تطوفون بعد الموت
اخبرنى عنه . قف ، تكلم ، اوقفه يا مرسيلوس
« يصيح الديك »

وكل ضربة منا باطلة ، انما هي سخرية خبيثة

ويصل الموقف الى ذروته مع كلمات مرسيلوس :

لقد تلاشى مع صياح الديك

يزعم بعضهم انه عندما يحين موسم عيد ميلاد مخلصنا
يغني طير الفجر الليل بطوله

ويكون جواب هوراشيو :

كذلك سمعت ، وانني لاصدق بعضه

ولكن انظر ، ها هو ذا الصباح ، وقد ارتدى وردى الثياب

يخطو على ندى تلك الرابية الناهدة في الشرق

فلنترك الحراسة

هذا شعر عظيم ، وهو ايضا شعر مسرحي • ولكنه فضلا عن كونه شعرا ومسرحيا ، فهو أكبر من هذين الحدين • ففيه اذا حللناه نوع من التصميم الموسيقي الذي يوجهه ويتحد في نفس الوقت مع الحركة المسرحية • وهذا التصميم الموسيقي ينبه نبض عواطفنا ويسرع به كلما مضى بنا الوقت دون ان نحس بوجوده ، ولنلحظ انه في هذه الكلمات الاخيرة لمرسيلوس يكاد « الشعر » ان يظهر ظهورا قصيرا ، وان يحس به وعي المتفرج ، وعندما نسمع هذين السطرين من هوراشيو :

ولكن انظر ، ها هو ذا الصباح ، وقد ارتدى وردي الثياب
يخطر على ندى تلك الرابية الناهدة في الشرق

يكاد الشعر عندئذ ان يرفعنا عن مستوى الشخصية ، ولكن دون احساس بعدم ملاءمة الكلمات التي ستنطق بها بعد ذلك شفتا هوراشيو • فالانتقالات في المشهد تتبع قوانين موسيقى الشعر المسرحي • ولنلحظ ان السطرين اللذين يقولهما هوراشيو (ولكن انظر ••) يسبقهما سطر من ابسط الكلام الذي قد لا يكون شعرا او نثرا :

وكذلك سمعت ، وانني لاصدق بعضه

وهو يتبعهما مباشرة بنصف سطر لا يزيد عن كونه توجيها مسرحيا

فلنترك الحراسة ..

ولعله من الممتع ان نتتبع بتحليل مماثل مسألة وجود تصميمين في المسرحية الشعرية العظيمة . وذلك التصميم الموسيقي ، والتصميم الاخر الذي يمكن ان تلمسه من وجهة نظر الحرفية المسرحيه . ولكني اعتقد ان دراسة هذا المشهد الواحد جديرة بأن تجعلنا ندرك ان الشعر ليس مجرد قولبه او زينة مضافة ، ولكنه يكثف الدراما . وهذه الدراسة ايضا توضح اهمية التأثير الذي لا يعي به المتفرج للشعر ، هذا التأثير الذي يحس به اولئك الذين يحبون الشعر بين المتفرجين فحسب ، بل يحس به ايضا اولئك الذين لا يحبون الشعر ، واعني بهم اولئك الذين لا يستطيعون الجلوس الى ديوان شعر والاستمتاع بقراءته . وهؤلاء هم الجمهور الذي يجب ان يحسب له من يكتب المسرحية الشعرية حسابا .

وهنا يحسن ان أقول رأيا في المسرحيات التي ندعوها بالمسرحيات « الشاعرية » رغم انها مكتوبة نثرا ، ان مسرحيات جون ملينجتون سينج(٣) هي حالة خاصة ، لانها مبنية على مصطلحات قوم ريفيين حديثهم بالطبيعة شاعرى ، سواء فى صوره أو ايقاعه . واعتقد أنه أدمج عبارات سمعها من ريفيي ايرلندا . ولغة سنج ليست ممكنة الا في المسرحيات التي تدور احداثها بين هؤلاء الناس . ونستطيع ان نصل الى نتائج عامة اذا نظرنا الى المسرحيات النثرية التي كان الاعجاب بها شديدا في أيام شبابي ، والان قلما تقرأ ، وهي مسرحيات ماترلنك(٤) . وهذه المسرحيات محصورة بطريقة ما في موضوعاتها ، كما ان القول بأن رسم الشخصيات فيها معتم هو دون الحقيقة . ولست أنكر ان لها بعض القيمة الشعرية . ولكن لكي يكون المؤلف المسرحي شاعريا في نثره فعليه ان يكون شاعريا دون انقطاع ، وذلك مما يجعل مجاله محدودا . ولقد كتب سنج مسرحيات عن اناس يتكلمون في الحياة الاصلية بشاعرية ، ولذلك فقد استطاع ان يجعلهم يتحدثون شعرا ويظلون أشخاصا حقيقيين . أما الكاتب الشاعري الذي لا يملك هذه الميزة ، فعليه ان يكون مسرفا في الشاعرية .

---

(٣) كاتب مسرحي ايرلندى (١٨٧١ ـ ١٩٠٩)

(٤) موريس ماترلنك (١٨٦٢ ـ ١٩٤٩) شاعر بلجيكي ومسرحي . كتب بالفرنسية وحصل على جائزة نوبل عام ١٩١١ .

ويمثل ييتس(٥) حالة تختلف عن ماترلنك وسنج • وان دراسة لتطوره المسرحي لتكشف عن المدى البعيد الذي قطعه ، وعن الفوز الذي حققه في مسرحياته الاخيرة • ففي باكورة حياته كتب مسرحيات عن موضوعات يمكن تقبلها كموضوعات شعرية ، في أوزان عروضية لا تصلح الا لحديث الملوك والملكات الاسطوريين • اما مسرحياته المتوسطة « مسرحيات للراقصين » فهي بالغة الجمال ، ولكنها لا تحل أي مشكل يواجه الكاتب المسرحي • بل هي مسرحيات نثرية شاعرية تتخللها ترويحات طيبة من الشعر • ولم يستطع ييتس ان يحل مشكلة الحديث بالشعر الا في مسرحيته الاخيرة « **المطهر** » فأسدى بذلك فضلا لجميع لاحقيه •

---

(٥) وليم بتلر ييتس (١٨٦٥ ـ ١٩٣٩) ايرلندى من اعظم شعراء الانجليزية •

٣ ـ اليوت والمسرح الشعري الجديد

يقترن اسم ت· س· اليوت بحركة الشعر الحديث · وبخاصة في العالم الانجلو سكسوني اقترانا لازما · ويشمل هذا الاقتران ضفتي المحيط الاطلسي في الجزر البريطانية وامريكا · ومن الحق ان يقال ان اليوت لم يبتدع عالم الحداثة في الشعر وحده ، ولكنه كان ألمع الاصوات فيه ·

وقد تكون اوضح معالم هذا الشعر معلمين هامين ، هما الميتافيزيقية ولعها بالتحليل واهتمامها بالكشف عن أغوار النفس من تراث الشعر الميتافيزيقي الانجليزي عند جون دون (١٥٧١ ؟ ـ ١٦٣١) ومعاصريه ، أما الرمز فهو من اثار اللقاء بالادب الفرنسي ، عند لافورج وستيفان مالارميه (١٨٤٢ ـ ١٨٩٨) ·

ومن هذين التيارين تولد التيار الجديد ، فاكتسب من النزعة الميتافيزيقية ولعها بالتحليل واهتماما بالكشف عن أغوار النفس الاساسية · واكتسب من التراث الرمزي اهتمامه بالحدس والايحاء ، فكأن التيارين يجمعان بين ثمرات العقل الذكي والاحساس المتوقد المخالف للتقليد ·

وقد لاقى هذان التياران تيارا ثالثا ، هو تيار « الصوريين » او مدرسة الصورة الشعرية The Imagists ، الذي احتل صدارة الحياة الادبية في أمريكا في العقد الثاني من القرن العشرين · وقد اصدر هذا التيار في عام ١٩١٥ بيانا شعريا أرفقوه بمجموعة منتقاة من اشعارهم ، وتحدثوا فيه عن ملامح اتجاههم (من حيث استعمال لغة الحديث اليومي ، وابتكار قواف شعرية جديدة ، وحرية اختيار الموضوع الشعري ، ثم ابتكار الصورة الجديدة المستمدة من رؤية الشاعر الخاصة · ولقد كانت معظم اراء هذا التيار النقدية مستمدة من فلسفة الناقد الفيلسوف الانجليزي ت· أ· هيوم · فقد اوضح هيوم أمرين رئيسيين اولهما ان استعمال لغة الحديث العادي ملمح هام من ملامح الشعر الكلاسيكي يختلف به عن الشعر الرومانسي الذي يعمد الى استعمال لغة شعرية خاصة ، وثانيهما ان الوصف الدقيق خصيصة واجبة في كل شعر جيد ، بحيث ان الدقة والتحديد والرؤية النافذة هي جوهر الشعر ·

ولقد تمثل اليوت هذه التيارات الثلاثة • وانطلق في عام ١٩٣٣ بعد سنوات من مكابدة الشعر الغنائي لكي يعلن رايه القائل « ان المسرح هو الوسط النموذجي للشعر » • وليكتب بعد ذلك مسرحياته الشعرية المتوالية •

كان أول اعماله هي أناشيد « الصخرة » التي مزج فيها بين سبعة أو ثمانية أنماط من النظم تتراوح بين تقليد أشعار كبلنج تارة وتقليد اشعار سوينبرن تارة أخرى • وتلتها مسرحية **جريمة قتل في الكاتدرائية** التي عاد في معظمها الى تراث « النظم الشعري » الاوروبي في القرن الخامس عشر • وليس من همنا هنا معالجة اسلوب العروض او التقفية والجناس الشعريين في هذه الاعمال ، بل لعلنا نريد أن نسأل عما أفاد اليوت من هذه التيارات الشعرية في معالجته الجديدة للدراما •

ان تخليد الدراما الشعرية في الادب الانجليزي قديم ممتد ، ولقد وصل هذا التقليد الى أبعد مداه في عصر عودة الملكية ، أما في القرن الثامن عشر فقد وضعت بعض مسرحيات درايدن ومعاصريه على الخشبة ، وان كانت هذه المسرحيات بما تحتويه من شعر فخم مقفى على نظام الثنائية قد ظلت مصبوغة بهذه الصبغة الانيقة المصنوعة او المتصنعة ، ولقد زاحمتها الكوميديا والاوبرا الموسيقية في قلوب الرواد ، ثم ما لبثت الاخيرة ان أجلتها من ساحة الذوق العام ، فقنعت الدراما الشعرية في القرن التاسع عشر بمكانها في الكتب ، حتى لقد اطلق عليها النقاد اسما ادبيا جديدا ، وهو دراما الغرفة •

وفي اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بلغ المسرح النثري غايته ، واحتل وحده ساحة الحياة المسرحية ، متذرعا بانه يعبر ـ شأنه في ذلك شأن الرواية الطبيعية والواقعية ـ عن حياة العاديين من الرجال والنساء الذين لا يتحدثون في حياتهم العادية بالشعر او ما يشبهه من محكم القول ومحبوك الحديث • وظل الامر كذلك حتى ابتدأت بعض الفرق المسرحية تعيد عرض مسرحيات شكسبير على حياء شديد في اوروبا وامريكا • ومن هنا كان شكسبير الذى ووری التراب منذ ما يقرب من ثلاثة قرون فى ذلك الزمان (عشرينات هذا القرن) هو الذي اغرى الكثيرين باعادة نبض الحياة الى المسرحية الشعرية ، ودفعها للوقوف على خشبة المسرح كشكل درامي وافر الصلاحية •

وقد سبق ان اشرنا الى قولة اليوت ان المسرح هو الوسط

النموذجي للشعر • وينبغي القول انه ذهب بعد ذلك الى مدى أبعد حين قال في أحد أحاديثه الاذاعية انه يؤمن بأن الشعر هو الاداة الطبيعية والكاملة للمسرح • وقد أضاف عندئذ ان الشعر يفضل النثر في المسرح لانه يستطيع أن يضيف هذه القيمة النمطية الموسيقية التي تدعم الاحساس وتقويه •

والواقع ان النبض الدرامي واضح يستطاع تلمسه في مختلف مراحل حياة اليوت الشعرية ، تلك الحياة التي يستطاع تقسيمها من حيث الشعر الغنائي الى ثلاث مراحل ، أولاهما الفترة الواقعة بين قصيدتي **الارض الخراب** و **الرجال الجوف** أي بين أعوام ١٩١٧ ـ ١٩٢٥ • وثانيتها الفترة التي شهدت قصيدته **اربعاء الرماد** ، كأحد القصائد الرائدة لهذا الشاعر الكبير ، وهي الفترة التي تمتد بين أعوام ١٩٢٥ ـ ١٩٤٢ • وثالثتها فترة الحكمة النابضة والتأمل العميق ، وهي التي تمثل قصائده **الرباعيات الاربع** قمتها السابقة •

ففي كل هذه المراحل نرى اليوت شاعرا غنائيا يكتب القصيد الشعرى المتأمل المنفعل ، ولكن في ثنايا هذا القصيد الشعرى نبضا دراميا بالغ الرهافة والاحكام • ونحن لا نجد هذا النبض في تعدد أصوات القصيدة أو انتقالها بين مستويات الزمن المختلفة ، أو لجوئها الى الحوار • لا نجد هذا النبض في هذه الملامح فحسب ، بل لعلنا نجده اكثر وضوحا في معمار القصيدة الفني • وبهذا المعنى تصبح قصائد اليوت ومسرحه نسيجا دراميا متشابه الملامح والسمات •



٤ ـ حول جريمة قتل في الكاتدرائية

١ ـ المهاد التاريخي للمسرحية :

كان توماس بيكيت فارسا ورجل بلاط ، تحول الى رجل دين ، وكان في الحالين نموذجا لما يجب ان يكون عليه من ينهض بأى من الدورين • ففي صباه وشبابه الباكر حصل على أرفع أنواع التعليم التي عرفها زمانه متنقلا بين المعاهد المختلفة فى لندن وباريس وبولونى بايطاليا • ثم اصبح عونا مقربا الى ثيوبولد كبير أساقفة انجلترا الذى قدمه الى هنرى ملك انجو •

وفى عام ١١٥٤ أصبح هنرى ملك أنجو ملكا على انجلترا باسم هنرى الثانى ، منشئا أسرة البلانتا جيب الحاكمة • فعين هذا الملك توماس بيكيت كبيرا لمستشاريه ومعلما لابنه الصغير الامير هنرى •

عاش توماس في ذلك الوقت حياة رجل البلاط الباذخة ، وزار فى تلك الفترة باريس وسيطا فى زواج الامير هنرى من كبرى بنات لويس السابع ملك فرنسا ، ففتن العاصمة الفرنسية بأناقته وسلوكه الرفيع ، وفى العام التالي صحب الملك هنرى الثانى فى حملة على تولوز ، فكسب لنفسه فى وقائع المعركة سمعة المحارب الجسور •

وظل توماس رئيسا للوزراء (كبير المستشارين) ما يقرب من ست سنوات ، حتى مات ثيوبولد كبير الاساقفة ، فعين الملك توماس كبيرا للاساقفة ، لكى يجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية ، ويكون عونا له على تصريف أمور البلاد بمقتضى ما للسلطتين من حق على أجساد الرعايا وارواحهم • ولكن نهج توماس فى الحياة ما لبث ان تحول تحولا مثيرا حين لبس طيلسان رجل الله، فقد اتجه الى الزهد والتقشف ، وكف عن غشيان مجالس المسامرة ، وانقطع عن اللهو والصيد • ثم ما لبث ان اصطدم بالنبلاء فى صراعهم مع رجال كنائسهم المحلية ، فاصدر امره بحرمان بعض النبلاء • وتصاعد النزاع حتى أنكر توماس حق الملك فى فرض الضرائب على ممتلكات الكنيسة • وفى عام ١١٦٤ جمع الملك البرلمان لكى يدعم قراره بحقه فى فرض الضرائب ، وطلب من كبير الاساقفة توماس ان يمهر القرار بخاتمه ، ولكن توماس رفض ذلك مراوغا أول الامر ثم معلنا عدم موافقته علنا بعد ذلك •

سقطت مكانة توماس ، وارتفعت عنه حظوة الملك· فحاول مرتين ان يرحل الى فرنسا · ولكن رجال الملك عاقوه عن الابحار ، ثم اجتمع مجلسهم وقرروا دمغ بيكيت بتهمة الخيانة · وفي نوفمبر عام ١١٦٤ تمكن بيكيت من الهرب الى فرنسا حيث ظل في الفلاندرز خمسة أعوام يتبادل الرسائل الحادة مع الملك مهددا اياه بالحرمان ، ومصدرا حكم الحرمان بالفعل على سبعة من أعضاء المجلس الذى دمغه بالخيانة·

وبدأت المفاوضات بينه وبين الملك في أواخر ١١٦٩ ، ولكن هذه المفاوضات توقفت حين توج الملك ولى عهده في يونيو عام ١١٧٠ خليفه له · ووثق روجر كبير أساقفة يورك هذا التتويج · واستشاط توماس غضبا ، واصدر قراره بحرمان روجر كبير اساقفة يورك ·

واستؤنفت المفاوضات مرة ثانية ، فسمح الملك لبيكيت بالعودة على ان يرفع الحرمان عمن حرمهم من القساوسة والنبلاء · ولكن الاخبار ما لبثت ان وافت الملك ان توماس قد عاد الى كانتربيرى في موكب حافل تحيط به قلوب العامة ، وتتردد حوله اصداء التهليل والتحية· فصرخ الملك عندئذ في مجموعة من نبلائه قائلا « ألا يخصنى أحد منكم من هذا القسيس السيء الخلق » ·

وتقدم عندئذ اربعة من النبلاء ، قاصدين الى كانتربيرى حيث طلبوا من توماس ان يرفع الحرمان عن النبلاء والقساوسة ، ولكنه رفض رفضا قاطعا متذرعا بان ذلك من حق البابا وحده · فاستقدم النبلاء بعض الجنود في مساء نفس اليوم ٢٩ ديسمبر عام ١١٧٠ ، واقتحموا على كبير الاساقفة كنيسته ، واهووا عليه بسيوفهم ، دون ان تبدو منه أدنى بادرة للهرب أو التراجع ·

٢ ـ حديث عن المسرحية :

مسرحية جريمة قتل في الكاتدرائية مسرحية « طبائع » اذ ان محورها هو الخلاف بين طبيعتين احداهما ماثلة في مسار الاحداث ، وهي شخصية « توماس بيكيت » ، والاخرى محركة للاحداث دون أن تمثل على المسرح ، وهي شخصية « الملك هنرى الثاني » ·

لقد صعد توماس بيكيت بثقة الملك من غمار العامة الى أشرف مكان ، فاكتسب بذلك زهوا ما لبث ان اتخذ له مسارا غير متوقع ، وهو الزهد فيما كسبت يداه وعقله ، طامحا الى مكانه أعلى وارفع ، وهو ان يكون « رجل الله » لا « رجل الملك » ·

ولعل دور المجرمين الاربعة فى المسرحية هى ان يمثلوا جوانبا من شخصية بيكيت ، فان أولهم يمثل شخصية بيكيت اللاهية المستمتعة بلذات الحياة حين كان فى كنف الملك • وثانيهم يمثل بيكيت رجل السلطة ، الذى كان يدير المملكة وراء الملك مستمتعا بولاء النبلاء والعامة ، محوطا بالاعجاب والخشية والاكبار • بينما يمثل ثالثهم الرجل الانجليزى العادى البسيط الطبع الذى يريد ان يحكم العقل فى كل امره • أما الرابع فهو يمثل زهد بيكيت فى سعيه الى الاستشهاد لكى يمثل مكانه عالية فى تاريخ الكنيسة الانجليزية كأحد قديسيها •

وهكذا نجد ان هؤلاء المجرمين ليسوا اشخاصا بذواتهم ، ولكنهم ظلال منشخصية بيكيت ، تنعكس على صفحة فكره ، بحيث نوشك ان نظن ان أحدا غيره لا يراهم ، وانه يستمع الى حديثهم منبعثا من باطن نفسه الجياشة بتاريخها ومواقفها •

أما جوقة النساء فهن الشعب الطيب الفقير ، الذى يقوم دراميا بنفس الدور الذى كانت تقوم به الجوقة فى المسرح الاغريقى ، فهن يخلقن بشدوهن أو القائهن الحزين جوا حزينا ، وهن احيانا يلقن أو يتنبأن بمسيرة الاحداث ، وهن ينفعلن ساكنات الحركة بما يتوالى من أمور •

ان دورهن هو ان ينتظرن ويشهدن ، وهن قد يعانين عناء متصلا، ولكن العناء هو قدرهن فى الحياة ، وكثيرا ما يتساءلن مسلوبات العزم : لم كتب علينا العناء ؟

أما القساوسة الثلاثة رغم قرب شخصياتهن من شخصيات الجوقة فقد أفلح اليوت فى تحديد بضعة ملامح مميزة لكل منهم ، فأولهم عاطفى منفعل ، وثانيهم اميل الى العقل ، يجنح الى التفاؤل فى بداية المسرحية ، وثالثهم شكاك متشائم مؤمن بأن دورة الاقدار لا بد ان تنتهى الى الكارثة •

ولكن الثلاثة على أى حال رجال مخلصون لبيكيت وكنيسته ، ويواجه اخلاصهم هذا اخلاص الفرسان الاربعة للملك وللقانون الزمنى •

وهكذا تجمعت شخصيات المسرحية فى الايام الاخيرة لعام ١١٧٠ ميلادية حول الكنيسة وداخلها ، واحتدم بينهم الصراع الذى خرج منه بيكيت شهيدا وقديسا •

ولكن هل كان الصراع دراميا بحق ؟

ان اليوت يقول في هذه المسرحية « ان الاستشهاد لم يكن قط من صنع الانسان » • ويعني ذلك ان الله يختار شهداءه • وليس هناك اذن هذا الصراع الدرامي الذى نعرفه في المسرح الكلاسيكى حين تتزاحم فى نفس البطل نوازع الخوف والاقدام والرهبة والحزم ، بل ان « بيكيت » مصمم ابلغ تصميم ان يمضى « فى طرق الله ربانيا حتى يفنى فيه » ، وليس عليه عندئذ الا الانتظار حتى ياذن الله بقضائه •

ولكن لهذه المسرحية جلالها رغم ذلك • فقد قدمت لنا شخصية بيكيت حين تسير من زهو الى زهو ، من زهو المنصب الى زهو مصاولة الملك ، ثم تختتم بزهو الاستشهاد ، للسبب الصحيح ، وهو ان يكون الانسان جزءا من ارادة الله دون ان يسب حسابا لمواقب هذا الاستشهاد •

ولعلنا لا ننسى النبض الدرامي المتقد في اكثر اجزاء المسرحية شاعرية ، وهو حديث الجوقة • بل ان بعض النقاد يقولون : ان الجوقة هى البطل الحقيقى لهذه المسرحية • وهم هنا يتلمسون التيار الاغريقى أو المتأغرق فى هذه المسرحية •

ولكن ليس الاثر الاغريقى وحده هو الواضح فى مسرحية جريمة قتل فى الكتدرائية • فان شخصيات « المجربين » وتوظيفها مسرحيا ملمح مستمد من مسرحيات القرون الوسطى الاخلاقية ، التى كانت تمثل مشاهد من حياة السيد المسيح •

★ ★ ★ ★

جريمة قتل في الكاتدرائية

تأليف : ت . س . إليوت
ترجمة : صلاح عبد الصبور
مراجعة : د. أمين العيوطي

العنوان الأصلي للمسرحية

The Complete Poems and Plays of

T. S. ELIOT

MURDER IN THE CATHEDRAL

FABER AND FABER
3 Queen Square
London

الجزء الأول

الشخصيات المسرحية

جوقة من نساء كنتر بيرى

ثلاثة كهنة من الكاتدرائية

رســول

كبير الاساقفة توماس بيكيت

اربعة مجربين (١)

مرافقون

---

(١) المجرب « بكسر الراء وتشديدها » • رموز للاغواء الزمني ، مستمر من قصة تجريب المسيح الواردة في الاناجيل •

المشهد :

فى قاعة كبير الاساقفة فى الثامن من ديسمبر عام ١١٧٠

الجوقـــة

لنقف هنا ، قرب الكاتدرائية . لننتظر هنا .
أدفعنا الخطر ، هل اليقين بالأمان ، هو ما قـــاد
خطانا
صوب الكاتدرائية . وما عسى ان يكون الخطر
الذى يحيق بنا ، نحن الفقيرات ، نسوة كانـــتر
برى الفقيرات ؟ وأية محنة
لم نعتدها من قبل ؟ لاخطر هناك علينا ،ولاامان في
الكاتدرائية . ان ثمة نذيرا بفعل ما
كتب على عيوننا ان تشهده ، قد ساق
اقدامنا صوب الكاتدرائية . اننا مسوقات لحمل
عبء الشـــهادة .
منذ ذوى اكتوبر الذهبي في نوفمبر المعتم
وجمع التفاح وخزن ، واصبحت الارض نقاطا
بنيـــة
حادة من الموت في قفر من المـــاء والطين ،
والعام الجديد ينتظر ، يتنفس ، ينتظر ، يهمس في
الظلمـــاء .

بينما العامل ينفض الطين عن حذائه ويمد يــده
صوب النــار ،
ينتظر العام الجديد ، والقدر ينتظر القادمين .
فمن ذا الذى يمد يده الى النار ، ويتذكر القديسين
في عيدهــم :
يتذكــر الشهداء والقديسين الذيــن ينتظرون
الاستشهاد ؟
من ذا الذى يمد يده الى النار ، وينكر مولاه؟ من
سيدفأ قرب النار ، وينكر مولاه ؟
سبع سنوات انقضت ، وقد انتهى الصيف
سبع سنوات ، منذ تركنا كبير الاساقفــة ،
وهو الذى كان دوما رحيما بشعبه .
لكن قد لايكون من الخير ان يعود
والحكم بيد الملك او البارونات ؛
لقد عانينا ضروب القمــع
ولكننا غالبا ماتترك وشأننا ،
ونحن قانعون بأن نترك وشأننا .
نحاول ان نحافظ على بيوتنا مرتبة ،
ويحاول التاجر منا ، خجلا حذرا ، ان يجمــع
ثروة ضئيلة ،
والعامل ينحني على قطعة ارضه ، ولونها كلونه ،
مفضلا ان يمضي في حياته لا يلحظه احــد .
والان ، اخشى ان تضطرب الفصول الهادئــة
فلسوف يأتي الشتاء جالبا الموت من البحر
وسيدق الربيع المدمر على ابوابنــا

وستأكل الجذور والبراعم عيوننا وآذاننا
وسيحرق الصيف الفاجع قيعان غدراننا
وسينتظر الفقراء اكتوبر آخر ذابلا .
واني للصيف ان يجلب العزاء
عن نيران الخريف وضباب الشتاء ؟
وما عسانا نفعل في حر الصيف
سوى ان ننتظر في البساتين القاحلة اكتوبر آخر
ان مرضا ما سوف يدركنا . نحن ننتظر . نحن
ننتظر
والقديسون والشهداء ينتظرون ، ينتظرون اولئك
الذين
سيغدون شهداء وقديسين .
والقدر معلق بيد الله ، يشكل ما لم يتشكل بعد :
لقد رأيت هذه الامور في حزمة من ضوء الشمس
القدر معلق بيد الله ، لابيد الساسة
الذين يخططون ويخمنون ، ان
خيرا ، وان شرا ،
ولهم اهدافهم التى تتبدل في ايديهم حسب قالب
العصر .
تعال ، ياديسمبر السعيد ، من سيلحظك ؟ من
سيحفظك ؟
وهل سيولد ابن الانسان ثانية في ملود الازدراء؟
نحن الفقراء ، ليس لنا من فعل ،
الا ان ننتظر وان نكون شهودا .
(يدخل الكهنة)

الكاهن الأول

سبع سنوات انقضت ، وقد انتهى الصيف .
سبع سنوات ، منذ تركنا كبير الاساقفة

الكاهن الثاني

وماذا يفعل كبير الاساقفة ، وعاهلنا البابا
مع الملك العنيد ، والملك الفرنسى
مكائد لا تنتهى ، ومداخلات ، واجتماعات
ومداولات ، ولقاءات مقبولة ، ولقاءات
مرفوضة ،
لا تصل الى نهاية ، او هى لا تنتهى
في مكان او آخر من فرنسا ؟

الكاهن الثالث

اننى لا أرى شيئا حاسما حقا في فن الحكم الدنيوى
الا العنف ، والنفاق ، وسوء الادارة المعتاد
وسواء حكم الملك او حكم البارونات :
فان الرجل القوى يحكم بقوته ، والرجل الضعيف
يحكم بنزوته ،
وليس لديهم الا قانون واحد ، وهو ان يحوزوا
السلطة
وان يحتفظوا بها ،
القوى الشكيمة منهم يستطيع ان يعالج جشع
الاخرين وشهواتهم ،
اما الضعيف فان جشعه وشهوته يلتهمانه .

الكاهن الأول

ألن تصل هذه الامور الى نهايـــة
حتّى يكون الفقراء المتجمعون عند البوابة
قد نسوا صديقهم ، اباهم في الله ، حتّى يكونوا
قد نسوا
انهم كان لهـــم صديق ؟
(يدخـــل رســـول)

الرســـول

يا عباد الله ، وياحراس المعبـــد :
جئت لاخبركم ، دون مواربـــة :
ان كبير الاساقفة في انجلترا ، وهو قريب مـــن
اطراف المدينـــة .
وقد بعث بي قبله على عجـــل
لا حيطكم علما بمجيئه ، بأسرع ما في الامكان .
لتتأهبوا للقائـــه .

الكاهن الأول

ماذا ، هل انتهى النفى ، وهل اجتمع شمل
سيدنا كبير الاساقفة وشمل الملك ؟ يا لهـــا من
مصالحـــة
بين رجلين مزهوين ؟

الكاهن الثالث

وأى سلام يستطيع ان ينمـــو
بين المطرقـــة والســـندان ؟

الكاهن الثاني

انبئتـــــا
هل انتهت النزاعات القديمة ، وهل سقط حائط
الزهـــو
الذى قام بينهما ؟ هل الامر سلم ام حرب ؟

الكاهن الأول

هـــل يجـــىء
وقد استوثق تماما ، ام آمنا فحسب
في رحاب قوة روما ، والسلطة الروحية ،
ووثوق الحق ، ومحبـــة الشعب ؟

الرســـول

من حقكم ان تبدوا بعض الشك .
انه يجيء مزهوا وحزينا ، مؤكدا كل دعاواه ،
واثقا ، ثقة لا تعرف الشك ، من اخلاص الناس ،
الذين استقبلوه بمشاهد من الحماسة المجنونة ،
مصطفين على جانبي الطريق ، وهم يطوحـــون
بدثاراتهم
وقد فرشوا طريقه بأوراق الاشجار ، وزهـــور
الموسم الاخيرة .
ولسوف تحشر شوارع المدينة لحـــد الاختناق ،
واظن ان حصانه سيحرم من ذيلـــه ،
وان شعرة واحدة من هذا الذيل ستكون ذخيرة
نفيسة مقدسة .

فهو متفق مع البابا ، ومع ملك فرنسا
الذى كان يود — صادقا — ان يستبقيه في مملكته :
اما فيما يتصل بملكنا ، فذلك شأن آخـــر .

الكاهن الاول

ولكن للمرة الثانية ، هل الامر حرب او سلام ؟

الرســول

سلام ، ولكن دون قبلة سلام
امر مرقع ، اذ اردت رأيى .
فاذا سألتنى ، فانى اظن ان سيدنا كبير الاساقفة
ليس بالرجل الذى يتعلق بالاوهـــام ،
وليس بالرجل الذى يتخلى عن القليل من دعاواه.
واذا اردت رايى ، فاني اظن ان هذا السلام
لايبدو كأنه نهاية ، او كأنه بدايـــة .
فمن المعروف الشائع ان كبير الاساقفة
قال للملك ، وهو يرحل عنه ،
مولاى — هذا ما قال — اني اتركك مقدرا
انى لن اراك ثانية في هذه الحيـــاة .
وانا اعرف هذا — يقينا — من اعلى المصادر ،
وهناك آراء عديدة في تفسير ما كان يعنيـــه
ولكن ما من احد يعد هذه الكلمات تكهنا سعيدا
(يخـــرج)

الكاهن الاول

اخشى على كبير الاساقفة ، اخشى على الكنيسة،

اعلم ان الزهو الناتج من النجاح المفاجيء
قد زاد استحكاما في نفسه بسبب المحنة المريرة .
ولقد رأيته ، حين كان مستشارا ، مملقا من الملك
محبوبا او مخشيا من رجال الحاشية ذوى الاسلوب
المتغطرس ،
محتقرا ، محتقرا ، منعزلا عنهم ابـــدا
وما كان واحدا منهم قط ، وكان عرضة للخطر
دومــــا ،
يقتات زهـــوه دوما على فضـــائله ،
كان زهوه يســتمد قوته من انصافه ،
كان زهوه يســـتمد قوته من كـــرمه ،
كان يحتقر السلطة الممنوحة له بالتفويض الزمني ،
ويريد الامتثـــال لله وحده .
ولو كان الملك أعظم ممـــا هو ، أو كان أضعف
فلربما اختلفت الامور بالنسبة لتوماس

الكاهن الثاني

ومع ذلك فقد عاد سيدنا . عاد سيدنا ثانية الى مكانه
لقد انتظرنا طويلا ، من ديسمبر الى ديسمبر
الموحش .
سيكون كبير الاساقفة على رأسنا ، يطرد اليأس
والشـــك .
وسينبئنا بما نفعل ، وسيوجه الينا أوامره.وسيرشدنا
وسيدنا متفق مع البابا ، وكذلك مع ملك فرنسا .

وبوسعنا ان نستند الى صخرة ، وان نأمن موطىء
اقدامنا
في مواجهة اضطراب المـد والجزر الازلي ،
لتوازن قوى البارونات وملاك الاراضي .
ان صخرة الله تحت اقدامنا . فلنلق كبير الاساقفة
بشكرنا القلبي :
لقد عاد سيدنا ، عاد كبير أساقفتنا ، وحين يعود
كبير الاساقفة
فان شكوكنا تنزاح ، لنبتهج اذن ،
أقول : لنبتهج ، ونبدى وجوهنا المستبشرة
ترحيبـا به .
أنا رجل كبير الاساقفة . فلنمنح كبير الاساقفة
ترحابنـا .

الكاهن الثالث

فلتدر الرحى ، سواء أكانت دورتها لخير أو لشر .
لقد سكنت الرحى طوال هذه السنوات السبع ،
ولم يجـد خير .
لخير اذن أو لشر ، لتـدر الرحى ،
فمن يستطيع ان يعرف ما نهاية الخير أو الشر ؟
قبل ان تتوقف الطواحـين
وقبل ان يوصـد الباب عن الطريق ،
وتخفت كل ظلال الموسيقى .

الجوقـة

ليست هذه مدينة دوام ، ليس هنا دار مقام .

مريضة هي الريح ، مريض هو الزمن ، والكسب ملتبس
الامــر ، والخطــر يقين .
فاتت فاتت فاتت ، فاتت هو الزمن ، فاتت جد الفوت ،
والعــام عفّن .
شريرة هي الريح ، ومرير هو البحر ،ورمادية السماء ، رمادية رمادية رمادية .
عد ، يا توماس ، ياكبير الاساقفة ، عد ، عــد الى فرنســا .
عد . مسرعا . في هدوء . ودعنا نهلك في هدوء .
جئت مصحوبا بالتهليل ، جئت مصحوبا بالبهجة ولكنك
جئت جالبــا الموت الى كانتر برى :
جئت بمصير البيت ، ومصيرك ، ومصير العالم .
لا نريد لشيء أن يحدث ،
فقد عشــنا هادئين سبع ســنين ،
وافلحنا في تجنب الالتفات الينــا ،
كنا نحيا ونحيــا جــزئيا .
كان هناك ظلم وترف ، ،
كان هناك بعض الفقــر ، وبعض الســعة ،
وكانت هناك بعض المظالم الصغيرة .
ولكننا مع ذلك مضينا في الحيــاة ،
نحيا ، ونحيــا جزئيــا .
ففى بعض الاحيان كان القمح يخذلنــا ،

واحيانا كان الحصاد يجـــود ،
وقد يأتي عام ممطـــر ،
يتلوه عام من الجفـــاف ،
ويكون التفاح وفيرا في عـــام ،
وفي عام آخر قد ينقص البرقـــوق
ولكننا مضينا في الحيـــاة
نحيا ، ونحيا جزئيـــا ،
ولقد راعينا الاعياد ، وسمعنا القداســـات
وخمرنا الجعة وعصير التفـــاح ،
وجمعنا الاخشاب تحسبا للشتاء ،
وتحادثنا على اطراف النـــار
تحادثات على نواصي الطرقـــات ،
وما كان كل حديثنا همســـا ،
كنا نحيا ، بطريقة ما نحيـــا .
ولقد رأينا ولادات ، ووفيات ، وزيجـــات ،
وكانت لنا فضائح متنوعـــة ،
ونالنا الكرب من الضرائب ،
وكان لنا ضحكنا وثرثرتنـــا ،
وقد اختفى العديد من فتياتنا ،
دون تعليل ، وبعض فتياتنا لم يستطعن الاختفاء .
وكان لكل منا رعبـــه الخاص ،
ولكل منا ظله الخاص ، ومخاوفه السرية .
ولكننا الان ، يحيق بنا خوف عظيم ، ليس
خوفا يحسه واحد منا بل يحسه الجميع ،

خوف مثل الميلاد والموت ، حين نعايـــن الميلاد
والموت وحيدين
عزلا في الخلاء كلا على حدة ، نحن
نعاني خوفا لا نستطيع ان نعرفه ، لانستطيع ان
نواجهه ، ولا
يفهمــه احـــد ،
قلوبنا منزوعة عنا ، وادمغتنا مقشرة مثـــل
راقات البصلة ،
وارواحنا ضائعة ضائعـــة
في خوف شامل لا يستطيع فهمه احـــــد .
انت ياتوماس
يا كبير الاساقفـــة ،
ياتوماس ، ياسيدنا ، دعنا نعيش ، في اطار
عيشنا المتواضع الملوث ، دعنا ، لا تسألنا
ان نتصدى لمصير البيت ،ومصير كبير الاساقفة ،
ومصير العالم .
يا كبير الاساقفة ، هل تدرك ما انت سائلـــه ؟
بينما انت آمن واثق من قدرك ، لا ينالك الشغب
بين الظـــلال
هل تدرك ما يعنيه ذلك للبسطاء الذين يستدرجون
الى
مواجهة القدر ، البسطاء الذين يحيون بين اشياء
صغيرة .
هل تدرك اى عبء تضع على رأس البسطاء ،

الذين يتصدون لمصير البيت ، ومصير سيدهم ،
ومصير العـــالم ؟
أنت يا توماس ، يا كبير الاساقفة ، دعنا ، دعنا ،
دع « دوفـــر »
الكئيبة ، وانشر شراعك الى فرنسا ، توماس
كبير
اساقفتنا سيظل هو كبير اساقفتنا حتى وهو في
فرنســـا .
يا توماس ، يا كبير الاساقفة ، انشر الشراع
الابيض
بين السماء الرمادية والبحر المرير ، دعنـــا ،
دعنا وعـــد الى فرنســـا .

الكاهن الثاني

يا لها من طريقة للحديث في مثل هذا الوقت الحرج !
انكن نســـوة حمقاوات ، ثرثارات ، بلا حياء .
هل تعلمن ان كبير الاساقفة الطيب
قـــد يصل في أى لحظـــة ؟
وان الجموع في الشوارع ستهلل وتهلل ،
بينما أنتن ترسلن النقيق كالضفادع في قمم الاشجار
ولكن الضفادع —على الاقل— قد تطبخ وتؤكل .
مهما يكن ما تخفن منه ، وفقا لادراككن الخائر ،
فاني أسألكن على الاقل ان تبدين وجوها مبتهجة ،
وان ترحبن من قلوبكن بكبير الاساقفة الطيب .

(يدخل توماس)

توماس

سلام . ودعهن في تهليلهن .
فهن يتحدثن بأفضل مما يعرفن ، وبالا يحيط به فهمك
هن يعرفن ولا يعرفن ، ما معنى الفعل ومعنى المعاناة .
هن يعرفن ولا يعرفن ، ان الفعل هو المعاناة
وان المعاناة هي الفعل .
ومع ذلك فان الفاعل لا يعاني
والمعاني لا يفعل . ولكن كليهما ثابتان
في فعل أبدى ، في صبر أبدى
يجب على الجميع الاذعان له حتى يراد الامر
ويجب على الجميع ان يعانوه حتى يريدوه ،
حتى يمكن ان يدوم النظام ، لان النظام هو الفعل
وهو المعاناة ، وحتى تستطيع الرحى ان تدور
وان تظل ساكنة الى الابد .

الكاهن الثاني

سامحني ، يا سيدى ، فلم أرك قادما
استغرقتني ثرثرة هؤلاء النسوة الحمقاوات
سامحنا ، ياسيدى ، فقد كنت جديرا بترحيب أفضل
لو اننا كنا أعددنا للقاء هذا الحدث من قبل .
ولكن سيادتك تعلم ان تلك السنوات السبع من الانتظار ،
السنوات السبع من الصلاة ، السنوات السبع من الخواء ،
قد أعدت قلوبنا لمجيئك .

أفضل مما تعطينا أيام سبعة من الوقت لاعداد كنتر
بري .
وعلى كل حال ، فسأوقد النار في كل حجراتك
لكي تذهب النار بلذعة سبتمبرنا الانجليزى ،
فقد اعتدت سيادتك الان على مناخ أفضل .
ولسوف تجد سيادتك حجراتك على هيئتها كما
تركتها .

توماس

وسأحاول ان اتركها على هيئتها كما أجدها .
واني لاكثر من شاكر على اهتمامك الرقيق .
هذه أمور صغيرة ، فهي استراحة قصيرة في كنتر بري
وقد أحدق بنا أعداء متلهفون لا يهدأون .
فالاساقفة المتمردون ، اساقفة يورك ولندن
وسالسبيرى
كانوا خليقين بأن يقطعوا الطريق على خطاباتنا ،
وان يملأوا الساحل بالجواسيس ، وان يرسلوا للقائي
بعضا ممن يحملون لي أمر الكراهية .
ولكني ، بنعمة الله ، كنت عارفا بتدبيرهم
فأرسلت خطاباتي في يوم غير ما توقعوه ،
وعبرت البحر سالما ، ووجدت في صاندويتش
وبروك ، ووارن ، وشريف كنت
قوما اقسموا ان ينزعوا رأسي عن جسدى
ولكن جون ، مطران سالسبيرى ،
خوفا على اسم الملك ، ومحذرا ضد الخيانة ،

جعلهم يكفون أيديهم عني . وهكذا فنحن الان
نصل ســالمين من الاذى .

الكاهن الاول

ولكن هل هم يتبعونك ؟

تومــاس

ان الصقر الجـائع
سوف يقنع بأن يحلق ويرف لفترة قصيرة ، ويدور
هابطــا ،
وهو يختلق العذر ، أو الذريعة المدعاة ، أو الفرصة
وستكون النهاية بسيطة ، مفاجئة ، عطاء من الله .
وفي ذات الوقت ، فان مادة فعلنا الاول
ستكون اشباحا ، ونزاعا مع الاشباح .
ستكون الفترة الفاصلة أشق من بلوغ الغاية
كل الامور تعد للحدث . فراقب الامر .
(يدخل المجرب الاول)

المجرب الاول

ها أنت ذا ترى يا مولاى ، أني لم انتظر الاذى
كما تقضي المراسم :
بل جئت ناســيا كل حدة طبع ،
آملا ان تجــد رزانتك المــاثلة
العــذر لخفتي المتواضعة
متذكرا كل الزمن الطيب المنقضي .

فسيادتك لن تزدرى صديقا قديما فاقد الحظوة ؟
يا توم العجوز ، يا توم المرح ، يا بيكيت اللندني
سيادتك لن تنسى تلك الامسية على النهر
حين كان الملك وانت وانا كلنا صحبةواصدقاء ؟
ان الصداقة يجب ان تكون اكبر من أن يستطيع
الزمن اللاذع ان يبترها .
ما الامر يا سيدى ، وانت الان تسترد
حظوتك لدى الملك ، هل تقول ان الصيف قد انقضى
أو ان الزمن الطيب لا يمكن ان يدوم ؟
أين الزمر في المروج ، وعزف الكمان في الردهة ،
والضحك بينا تطفو نوارات التفاح على المـــاء ،
والغناء عند هبوط الليل ، والهمس في المقاصير ،
والنـــار وهي تلتهم فصل الشتاء ،
وتأكل الظلام ، في صحبة الفكاهة والحكمة والنبيذ !
الان ، وقد اصبحتما متوادين ، الملك وانت ،
يستطيع رجال الدين وسواد الناس ان يعودوا
إلى المرح ،
ولا يعود السرور والمرح بحاجة إلى أن يمشيا في
حذر .

تومـــاس

أنت تتحدث عن فصول انقضت ، اوني لا ذكر
مالا يستحق النسيان .

المجرب الاول

وعن الفصل الجديد أيضاً .

لقد أهل الربيع في الشتاء ، وسوف يطفو الثلج
عالقا بالاغصان ، فيكون خلوا كنوارات التفاح
وسيكون الجليد على امتداد الاخاديد مـــرآة
لضوء الشمس .
والحب في الرياض سيبعث العصارة في فروع
النبات .
والسرور يتحدى الكآبة .

تومــاس

نحن لا نعلم الكثير عن المستقبل
لا نعلم سوى انه من جيل إلى جيل
تحدث نفس الاشياء مرة بعد مرة .
والانسان يتعلم القليل من تجربة الآخرين .
ولكن ، في حياة رجل واحد ، لا يعود نفس
الوقت ابدا .
فابتر الحبل ، ترفع المرساة ، ولكن الاحمق
وحده ، ملتصقا بحمقه ، هو الذى يظن
انه هو الذى يدير العجلة التى يدور عليها .

المجــرب

ايماءة منك تقنعنى مثلما تقنعنى طرفة عينك ،
يا مولاى .
والانسان يعود عادة إلى حب ما امتهنه .
ومن اجل الايام الجميلة الماضية ، التى
عادت ثانية
فاني تابعك .

توماس

لست تابعى في هذا الموكب
تأمل في مسلكك . فإذا كنت تريد أن تكون
أكثر أمنا
ففكر في التوبة ، واتبع مولاك .

المجرب

لا أتبعه في هذا الطريق !
فلو مضيت سريعا ،استطاع غيرك ان يكون اسرع
ان سيادتك بالغ الزهو !
ان آمن الوحوش ليس ذلك الذى يزأر بأعلى
صوت ،
ولم يكن دأبك ان تكون قاسيا على الخطاة ،
حين كان الخطاة اصدقاءك . فتساهل . يا رجل !
فالرجل المتساهل يعيش ليأكل أفضل العشاء .
خذ نصيحة صديق . دع كلا لحاله ،
والا فان اوزتك ستطبخ وتؤكل حتى عظامها .

توماس

لقد جئت متأخراً عشرين عاما .

المجرب

إذن ، فأنا اتركك لقدرك .
اتركك لتستمع برذائلك الكبرى ،
التى ستدفع عنها ثمناً أعلى .

وداعا يا سيدى ، فأنا لم أنتظر الاذن كما تقضى المراسم ،
واني لأمضى كما جئت ، ناسيا كل حدة طبع
آملا أن تجد رزانتك المائلة
العذر لحفتى المتواضعة .
فإذا كنت ستذكرني ، يا سيدى ، في صلواتك ،
فاني سأذكرك وقت التقبيل تحت الدرج .

تومـــاس

دع كلا وحاله ، كان المرء يظن ان وهم الربيع ،
يمضى يصفر في الريح .
ان المستحيل ما زال اغراء وغواية .
المستحيل ، غير المرغوب فيه ،
الاصوات التى يثقلها النوم ، توقظ عالما ميتا ،
حتى لا يكون العقل كله مستغرقا في الحاضر .
(يدخل المجرب الثاني)

المجرب الثاني

سيادتك نسيتنى ، ربما ، ولكنى سأذكرك .
لقد تلاقينا في كلارندون ، بناحية نورثامبتون ،
وآخر مرة كانت في مونتميريل ، في مدينـــة « ين » ، والان وقد
ذكرتك بهذين اللقاءين
دعنا فحسب نضع هذه الذكريات التى لم تكن بالغة البهجة

في الميزان ،
لان هناك ذكريات أبعد زمنا واثقل وزنا :
تلك هى ذكريات أيام كنت وزيرا ،
انظر كيف تخف كفة هذه الذكريات الأخيرة .
انت
يا سيد الساسة
الذى يعترف به الجميع ، يجب ان تقود الدولة
مرة ثانية .

توماس

ماذا تعنى ؟

المجرب

الوزارة التى اعتزلتها
حين عينت كبيرا للاساقفة — وكان ذلك خطأ
منك —
ما زالت هناك فرصة استعادتها ، فكر ، يا سيدى ،
ان القوة حين تحاز تنمو مجدا ،
يمتد مع الحياة . ملكا دائما .
ثم قبرا مقدسا ، ونصبا من الرخام .
ان السيطرة على البشر لا تعد جنونا .

توماس

وأى فرح في هذا لرجل الله ؟

المجرب

الحزن وحده

هو نصيب اولئك الذين يهبون الحب لله وحده ،
فهل يكون حظ هذا الذى أمسك بالمادة الصلبة
ان يهيم يقظا مع الظلال المخادعة ؟
ان السلطة حاضرة طوع اليد ، أما القداسة فأمر
يأتي فيما بعد .

توماس

ومن اذن ؟

المجرب

الوزير ، الملك والوزير .
الملك يقود ، والوزير يحكم بسلطانه الواسع
تلك صيغة لا تعلم في المدارس .
عندئذ تكبح العظماء ، وتحمي الفقراء ،
هل يستطيع الانسان تحت عرش الله ان يفعل اكثر
من ذلك ؟
تنزع سلاح الاوغاد ، وتشد ازر القوانين
ان الحكم لصالح القضية المثلى
وتوزيع العدالة بحيث يتساوى الجميع
هو فلاح على الارض ، وربما في السماء .

توماس

وبأى الوسائل ؟

المجرب

ان السلطان الحق

يشترى بثمن شيء من الخضـــوع .

اما سلطانك الروحى فهو هلاك دنيوى .

ان السلطة حاضرة ، في متناول ذلك الذى سوف يستخدمها ببراعـــة .

تومــاس

ومن سينالهــا ؟

المجــرب

ذلك الذى سيأتي .

تومــاس

في أى شـــهر ؟

المجــرب

الاخير من الاول .

تومــاس

وماذا سنعطى في مقابل السلطة ؟

المجــرب

ادعاء سلطان الكهنـــة .

تومــاس

ولماذا يجب ان تعطى ذلك ؟

المجــرب

من اجل القوة والمجـــد .

تومــاس

لا !

المجــرب

نعم ، والا فان الشجاعة ستتحطم ،
وهى حبيسة في كانتر برى ، حاكم بلا مملكة ،
خادم قيد ذاته الى بابا لا سلطان له ،
وعلى عجوز ، محاط بكلاب الصيد .

تومــاس

لا !

المجــرب

بل نعم ! فالرجال لابد ان يناوروا ، وكـــذلك المـــلوك ،
حين يشنون الحروب في الخارج ، يحتاجون الى اصدقاء موالين
لهم في الداخـــل .
ان السياسة الخاصة ، هى منفعة عامة ،
والكرامة تظل في حاجة الى ان تتزيا باللباقـــة .

تومــاس

انك تنسى الاساقفـــة
الذين حكمت عليهم بالحرمـــان .

المجـرب

ان البغضاء الجائعــة
لن تماحك في مواجهة المصلحة الذاتية الذكيــة .

تومــاس

انت تنسى البارونات ، الذين لن ينسوا
حرمانهم المتصل من صغائر الميرْات .

المجـرب

ولكن في مواجهة البارونات
هناك قضية الملك ، وقضية الفلاح ، وقضيةالوزير

تومــاس

لا ، أأهبط انا الى ان ارغب في سلطان ادني من
سلطاني
وانا الذى احفظ مفاتيح الجنة والجحيم ، السامى
القــدر
وحدى في انجلترا ، من له حق النقض والابرام ،
بسلطان
من البابا ؟
انا المفوض في امر العذاب الابــدى ،
لكى ادين الملوك ، لا اخدم بين خدامهم ،
ذلك هو عملى . لا ! اذهب !

المجـرب

اذن ، فانا اتركك لقدرك .

ان خطاياك تحلق صوب الشمس ، حاجبة صقور
المـــلك .

تومـــاس

السلطة الزمنية ، قد تبنى عالمـــا طيبا
وتحفظ النظام ، كما يعرف العالم النظام .
ان اولئك الذين يضعون ثقتهم في النظام الدنيوى
غير المحكوم بنظام الله ،
فهم – في جهل واثق – يمسكون بالفوضى ،
ويثبتونها ، ينتجون المرض المميت
وينحطون بما يرفعون من قـــدرة . تقاسم السلطان
مع الملك –
لقد كنت أنا الملك ، ساعده ، تفكيره الاصوب.
ولكن ما كان ذات مـــرة صعودا
لا يعني الان الا الهبوط
(يدخل المجرب الثالث)

المجرب الثالث

أنا زائر غير متوقع

تومـــاس

كنت أتوقع مجيئـــك ؟

المجرب الثالث

ولكن ليس في هذا الزى ، او لغرضي الراهن .

توماس

لن يثير أى غرض دهشتي .

المجرب

حسنا ، يا سيدى ،
لست مولعا بالصغائر ، ولست سياسيا .
لا أجيد التسكع أو التآمر فيالبلاط .
ولست نديما في البلاط
لا أعرف الا فرسي وكلبي ومحظيتي ،
واعرف كيف أحفظ نظام ضياعي
أنا سيد ريفي يعنى باموره الخاصة .
ونحن سادة الريف هم من يعرفون البلاد
ونعرف ما تحتاجه البلاد .
فهي بلادنا ، ونحن مهتمون بها .
نحن العمود الفقرى للامة .
نحن ، لا الطفيليون المتآمرون
المحيطون بالملك . اغفر لي صراحتي :
فأنا رجل انجليزى فظ مستقيم .

توماس

هات ما عندك باستقامة .

المجرب

الغرض واضح
ان دوام الصداقة لا يعتمد

على ذواتنا ، بل على الظروف .
ولكن الظروف ليست شيئا لم يتّم الفصل فيه .
فقد تتحول الصداقة الزائفة الى صداقة حقيقية
ولكن الصداقة الحقيقية ، اذا انتهت ، لا يمكن
اصلاحها .
وما اسرع ما تتحول العداوة الى تحالف .
فالعداوة التي لم تعرف الصداقة قط
تستطيع بسرعة ان تعرف الوفاق .

تومــاس

رغم كــونك ريفيــا
فأنت تغلف المعنى الذى تريد في التعميم الداكن
تمــاما كأى رجل بــلاط .

المجــرب

هذه هي الحقيقة البسيطة !
ليس لديك أى أمل في المصالحة
مع الملك هنرى ، فأنت تتطلع فحسب
الى التأكيد الاعمى في عــزلتك .
وذلك خطــأ .

تومــاس

يا هنرى ! يا ملكي !

المجــرب

ان أصدقاء آخــرين

قد يوجدون في الموقف الحالي .
فالملك في انجلترا ليس بالغ القوة ،
والملك الان في فرنسا يتناحر في « أنجــو » ،
وحوله ينتظر ابناؤه الجياع الى الملك .
نحن نفكر في انجلترا ، نحن نعيش في انجلترا .
وانت ، وانا ، يا سيدى من النورمانديين
وانجلترا ارض يســود عليها النورمانديون
فــدع الملك « الانجيفي » يدمــر نفسه ،
محاربا في أنجو ، فهو لا يفهمنا ، نحن بارونات
الانجليز .
نحن الشــعب .

تومــاس

والام يؤدى هذا الحديث ؟

المجــرب

الى تحالف ســعيد
بين المصــالح العــاقة .

تومــاس

ولكن ماذا تقــدم أنت —
اذا كنت تتحدث باسم البارونات —

المجــرب

بل باسم حــزب قوى .
قد تطلع بعيونه نحوك —

لكي يفيد منك ، اذا كنت سيادتك تسأل عن دلك•
فلنا ، سيكون رضـــا الكنيسة ميزة ،
ومباركة البـــابا حمـــاية قوية
في صراعنا من أجل الحرية ، وانت يا سيدى
حين تكون معنا ، قد تستطيع ان توجه ضربة قوية
فورا ، لمصلحة انجلترا ، ولمصلحة روما ،
منهيـــا بها السلطة الطاغيـــة
لبلاط الملك على بلاط الاسقف ،
ولبلاط الملك على بلاط البارونات .

تومـــاس

أنهي سلطة الملك التي ساعدت في خلقها

المجـــرب

التي ساعدت في خلقها ،
ولكن الزمن المـــاضي زمن منسي .
ونحن نتوقع شروق مدار جـــديد .

تومـــاس

واذا كان كبير الاساقفة لا يستطيع الثقة بالملك ،
فكيف يستطيع الثقة باولئك الذين يعملون على نقض سلطته .

المجـــرب

الملوك لا يسمحون بسلطة غير سلطتهم ،
وللكنيسة والشعب سبب قوى للوقفة ازاء العرش :

توماس

اذا كان كبير الاساقفة لا يستطيع الثقة بالعرش
فلديه اذن سبب قوى لكي لا يثق بأحد الا الله .
لقد حكمت مرة كوزير
وكان رجال مثلك يسعدون بالانتظار ببابي .
لا في البلاط فحسب ، بل في الحقل ايضا
وفي ساحة المبارزة ، كم جعلت الكثيرين
يرضخون لامرى .
فهل أغدو في هيئة ذئب بين الذئاب
وانا الذى حكمت كالنسر بين الحمائم ؟
فلتتابع خياناتك كما فعلت من قبل :
فلن يقول أحد انني خنت ملكا .

المجرب

اذن ، يا سيدى ، فلن أنتظر ببابك .
واني لامل قبل ان يجيء ربيع جديد
ان يبدى الملك تقديره لولائك .

توماس

ان يصنع الانسان ، ثم يحطم ما صنعه ، خطرت
هذه الفكرة من قبل ببابي ،
انها الممارسة اليائسة للسلطان الهاوى .
لم يفعل شمشون في غزة اكثر من ذلك .
ولكني لو حطمت ، فعليّ ان أحطم نفسي فحسب
(يدخل المجرب الرابع)

المجرب الرابع

حسنا فعلت ، يا توماس ، فعزمك صلب لا يلين.
وحين يكون مكاني بجانبك ، فلن تفتقد صديقا .

تومـــاس

من أنت ؟ فلقد توقعت
ثلاثة زوار ، لا أربعـــة .

المجـــرب

لا تدهش لاستقبال زائر جـــديد .
لو كنت زائرا منتظرا ، لكنت هنا من قبل .
ولكني دائمـــا أســبق التوقعات .

تومـــاس

من أنت ؟

المجـــرب

بما انك لا تعرفني ، فاني لا احتاج لاسم ،
وبما انك تعرفني ، فلهذا جئت .
وانت تعرفني ، وان كنت لم تروجهي من قبل .
فلم يتسع الوقت أو المكان للقائنا .

تومـــاس

قل ما جئت لقولـــه .

المجـــرب

سيقال في آخـــر الامر

لقد علقت بالخطاطيف مزق من لحم المــاضي ،
والتهور ليس الا ضعفا . وكراهية الملك
القاســية لن تعرف غاية .
وانت تعلم بحق ، ان الملك لن يثق قط
مرة ثانية بالرجل الذى كان صديقه .
فاستعر نفع الاخرين بحــذر ، واستخدم
أفضالك طالمــا كان عليك ان تعير .
وقد تنتظر حتّى تقع فريستك في الفخ ، وقــد
استنفدت
أغراضك ، محطما مهشــما .
أما عن البارونات ، فان حسد الرجال الذين
هم دونك يظل أشــد عنادا من غضب الملك .
فالملوك يصدرون في افعالهم عن السياسة العامة ،أما
البارونات فعن سعيهم نحو نفعهم الخاص ،
والغيرة هي صفة الشيطان المحتدمة .
والبارونات يمكن استخدامهم كل ضد الاخر ،
أما الملوك فهدفهم ان يحطموا أعداء أكبر .

تومـاس

وما مشــورتك ؟

المجـرب

امض قــدما نحو الغــاية .
فكل الطرق الاخرى موصدة أمامك
ما عدا الطريق الذى اخترته بالفعل .

ولكن ، ما البهجة ، أو الحكم الملكي .
أو حكم الرجال تحت امــرة الملك ،
مع ما يصحب ذلك من الخديعة في الحناياوالمناورة خلســة ،
ازاء امتلاك السلطة الروحية ؟
ان البشر محكوم عليهم بالخطيئة ، منذ سقط آدم—
وانت تحمل مفاتيح الجنــة والجحيم .
تحمل سلطان النقض والابرام : فأبرم ، يا توماس ، أبــرم ،
فالملك والاساقفة تحت كعبك .
ملك ، امبراطور ، اسقف ، بارون ، ملك :
سيادة غير مؤكدة لجيوش ذائبة ،
والحرب ، والوباء ، والثــورة
والمؤامرات الجديدة ، والتحالفات المنقوضة ؟
ان يصبح الانسان سيدا أو خادما في ساعة زمن ،
ذلك كله هو مجرى تقلبات السلطة الزمنية .
وسيعرف الملك العجوز ذلك ، حين يجد في النفس الاخير
أنه يمضي بلا أبناء ، بلا امبراطورية ، وسوف
يعض على نواجذه المحطمة .
انك تمسك بالمغزل : فأدر ، يا توماس ، أدر
خيط الحياة الخالدة والموت .
انك تحوز هذا السلطان ، فاحتفظ به .

توماس

السلطان الاعلى قـدرا ، في هذه الارض ؟

المجرب

الاعلى قـدرا ، فيما عدا واحدا .

توماس

ذلك ما لم افهمـه .

المجرب

ليس لي أن اخبرك كيف يكون الامر كذلك ،
فأنا هنا يا توماس ، لاخبرك بما تعرف .

توماس

والام يلوم ذلك ؟

المجرب

فيما عدا ما تعرفه فعلا ، لا تسألني شيئا .
ولكن فكر ، يا توماس ، فكر في المجد بعدالموت
فحين يموت ملك ، هناك ملك جديد ،
وملك جـديد هو عهـد جـديد .
والملك ينسى حين يأتي آخـر :
لكن القديس والشهيد يحكمان من القبر .
فكر يا توماس ، فكر في الاعداء الفزعين ،
يزحفون تائبين ، خائفين من ظل ،

فكر في الحجيج ، يصطفون
أمام الضريح المتلألىء بالجواهـــر ،
جيلا بعد جيـــل
يركعون في تضرع ،
فكر في المعجزات ، بنعمة الله ،
وفكر أن أعداءك سيكونون في مكان آخـــر .

تومـــاس

لقد فكرت في هذه الامور .

المجـــرب

ولذلك أخـــبرك .
ان لافكارك من القوة ما لا يستطيع الملوك معه ان يجبروك على شيء
ولقد فكرت ايضا ، احيانا في صلواتك ،
واحيانا حين تتمهل عند ووايا الدرج ،
وبين النوم واليقظة ، في الصباح الباكر ،
حين تصيح الطيور ، لقد فكرت في المزيد من الازدراء .
أنه لا شيء يدوم ، ولكن العجلة تدور ،
والعش ينهب ، والطير ينوح ،
والضريح سينهب ، والذهب سينفق ،
والجواهر قد تصبح زينة سيدات مستهترات ،
والحـــرم يحطم ، ويلقى بخزائنه
في جـحور الطفيليين والعاهرات .

وذلك حين تنقطع المعجزات ،ويهجرك المخلصون
وسيبذل البشر ما بوسعهم لنسيانك .
والاسوأ من ذلك ما يأتي بعده ، ما قد يكون حين
لا يكرهك البشر
بما يكفي لكي يثلبوك او يلعنوك ،
بل يمعنون في تقدير الخصائص التي افتقدتها
ويحاولون ان يستوضحوا الحقيقة التاريخية .
عندما يعلن الرجال انه لم يكن ثمة سر مقدس
وراء هذا الرجل الذى لعب دورا معينا في التاريخ.

توماس

لكن ، ماذا هناك لا فعله ؟ ماذا ترك لى لافعله ؟
اليس هناك تاج خالد لاكسبه ؟

المجرب

نعم ، ياتوماس ، نعم ، لقد فكرت في ذلك ايضا
ماذا يقارن بمجد القديسين
اذ يسكنون الى الابد في حضرة الرب ؟
واى مجد ارضى ، لملك او امبراطور ،
او اى زهو ارضى ، ليس في الحق فقرا
اذا قورن بثراء العظمة السماوية
فابحث عن طريق الاستشهاد ، اجعل نفسك الادنى
على الارض ، لتعلو في السماء .
وانظر الى ابعد من قدمك ، حيث تمتد الهوة .
ويمضى مضطهدوك في عذابهم الابدى ،

في عذاب الاحتراق ، دون تكفير عن الذنب .

توماس

لا !
من انت ، اذ تجربني برغباتي الخاصة ؟
لقد جاء آخرون ، مجربون دنيويون ،
جربوني بالبهجة والسلطان ، بثمن محسوس
ملموس .
فماذا تعرض انت ؟ وماذا تطلب ؟

المجرب

اعرض ما ترغب فيه ، واسأل
ما عليك ان تعطيه . اهو كثير
كثمن لمثل هذه الرؤيا من العظمة الخالدة ؟

توماس

الاخرون عرضوا منافع حقيقية ، لا قيمة لها
لكنها حقيقية . وانت تعرض
احلام الدينونة فحسب .

المجرب

لقد كنت تحلم بها في اغلب الاحيان .

توماس

أليس هناك سبيل اخرى ، لا تنبع من مرضى
الروحي ،

ولا تقود الى الهـــلاك زهوا ؟
فأنا اعلم تمام العلم ان هذه الاغراءات
تعنى زهوا حاضرا ، وعذابا قادما .
ألا يمكن ان يطرد الزهو الخاطىء
الا بزهو اكثر خطئا ؟ ألا استطيع ان افعل
او اعاني دون ان اهلك ؟

المجــرب

أنت تعرف ولا تعرف ، ما معنى الفعل أو المعاناة
انت تعرف ولا تعرف ، ان الفعل هو المعاناة ،
وان المعاناة هى الفعل . وانه لا الفاعل يعاني
ولا المعاني يفعل ، ولكن كليهما ثابتان
في فعل أبدى ، في صبر أبدى
يجب على الجميع الاذعان له حتى يراد الامر ،
ويجب على الجميع أن يعانوه حتى يريدوه ،
حتى يمكن ان يدوم النظام ، وحتى يمكن ان
تدور الرحى وتسكن .
وتظل ساكنة إلى الابد .

الجوقــة

لا راحة في البيت ، لا راحة في الطرق
اسمع حركة الاقدام القلقة . والهواء ثقيل وسميك
سميكة وثقيلة هى السماء . والارض تضغط في
مواجهة أقدامنا .
ما هذه الرائحة التى تثير الغثيان ، أهى السنجار ؟
أهى الضوء الاخضر

الداكن الهابط من غمامة على شجرة ذابلة ؟ إن
الارض
لتلهث نفساء بنسل الجحيم . ما هذا الندى اللزج
الذى
يتكون على ظهر يدى ؟

المجربون الاربعة

حياة الانسان خدعة وخيبة أمل ،
كل الاشياء زائفـــة ،
زائفة ، أو مخيبة للامال :
عجلة العذاب — ، أو اشـــارات المضحكين ،
الجوائز المقدمة في حفلات الاطفال ،
والجائزة المقدمة لاحسن مقال بالانجليزية ،
الدرجات العلمية ، وأوسمة السـاسة .
كل الاشياء تغدو أقل حقيقة ، والانسان يمضى
من زيف إلى زيف .
وهذا الرجل عنيد ، أعمى ، قاصد
إلى دمار ذاته ،
يمضى من خداع إلى خداع ،
من تعاظم إلى تعاظم إلى وهم نهـائي ،
ضائعا في اندهاشه بعظمته ،
فهو عـــدو الجماعة ، عـــدو لنفسه .

---

* في الاصـــل « عجلة كاترين » نسـبة الى القديسة كاترين الاسكندرانية (المترجم)

الكهان الثلاثة

يا توماس يا سيدنا ، لا تحارب المد الجموح
لا تبحر في الريح التى لا تقاوم ، في العاصفة ،
ألا ننتظر حتّى يسكن البحر ، وفي المساء
نظل ننتظر طلوع النهار ، حين يجد المسافر
طريقه ،
ويحدد الملاح مسراه بالشمس ؟
الجوقة والكهان والمجربون بالتوالى

الجوقـــة

أهى البومة التى تنعق ، أم هى اشارة بين الاشجار

الكهـــان

هل قضبان النافذة موصدة ، وهـــل البـــاب
موصد بالمزلاج ؟

المجربـــون

أهو المطر ذلك الذى ينقر النافذة ، أهى الريح
تلك التى تدق على الباب ؟

الجوقـــة

هل يومض المشعل في القاعة ، والشمعة فـــى
الغرفـــة ؟

الكهـــان

هل يسير الحارس بجوار الحائط ؟

المجربـون

هل يجول كلب الحراسة عند البوابة ؟

الجوقـة

للموت مائة يد ، ويسلك ألف طريق .

الكهـان

قد يأتي على مرأى من الكل ، وقد يعبر بنا غير مرئي أو مسموع .

المجربـون

قد يأتي هامسا خلال الهواء أو صدمة مفاجئة على أم الرأس .

الجوقـة

الانسان قد يمشي بمصباح في الليل ، ومع ذلك يغرق في الحفرة .

الكهـان

الانسان قد يصعد الدرج نهارا ، وينزلق على درجة مكسورة .

المجربون

الانسان قد يجلس إلى مائدته ، ويحس ببرد الموت في حقويه .

الجوقــة

لم نكن سعيدات ، يا سيدى ، لم نكن جــد سعيدات .
لسنا نسوة جاهلات ، فنحن نعرف ما قد نتوقع ولا نتوقع .
نعرف ما القهر وما العذاب ،
نعرف ما الابتزاز وما العنف ،
والعوز ، والمرض ،
نعرف العجائز دون نار في الشتاء ،
والطفل دون لبن في الصيف ،
نعرف جهدنا وهو ينتزع منا ،
وخطايانا تغدو أثقل على نفوسنا .
لقد رأينا الشباب يمثل بهم ؛
والفتاة الممزقة ترتعد جنب طاحونة النهر .
وخلال ذلك ، فقد مضينا في الحياة ،
نحيا ، وبطريقة ما نحيا ،
نلم شمل الاجزاء ،
ونجمع الاحطاب عند هبوط الليل ،
ونبنى مأوى جزئيا ،
لكى ننام ، ونأكل ونشرب ونضحك .
لقد وهبنا الله دوما سببا ما ، أملا ما ، ولكن رعبا جديدا يلطخنا الان ، لا أجــد يقدر ان يتفاداه ، لا أحد يقدر ان يجتنبه ، إذ يسيل دون أقدامنا وفوق السماء ؛

دون الابواب ودون المداخن ، يسيل في الهواء
وفي الفم والعينين .
الله يهجرنا ، الله يهجرنا ، مزيد من الغصص ، مزيد
من الالم ، ألم أكبر من ألم الميلاد والموت .
رائحة اليأس الخانقة ، حلوة مغثية للنفس ،
تسقط خلال الهواء الداكن ؛
والاشكال تلتئم خلال الهواء الداكن :
هرير صغار الفهود ، وقع أقدام الدب الثقيلة ،
ربتة كف القرد المطرق ، والصبع المربوع ينتظر
ليضحك ، ويضحك ، ويضحك . ان سادة الجحيم
حاضرون هنا .
إنهم يلتفون حولك ، ويرقدون عند قدميك ، ويهتزون
ويهزون اجنحتهم خلال الهواء الداكن
يا توماس ، يا كبير الاساقفة ، أنقذنا ، أنقذ نفسك
حتى يمكن ان ننقذ ؛
فلو حطمت نفسك ، فقد تحطمنا جميعا .

توماس

والان ، اتضح طريقى ، واتضح المعنى :
لن يكون اغرائي بهذا الشكل مرة ثانية .
فقد كان الاغراء الاخير ، هو أعظم الخيانة ،

وهو ان نفعل الفعل الصحيح للسبب الباطل .
ان همه النفس في اقتراف الخطايا العارضة
هى السبيل التى تبدأ بها حياتنا .
ثلاثون عاما مضت ، فتشت في كل السبل
التى تؤدى إلى المتعة والترقي والثناء .
فرحة الحس ، في التعلم ، والتدبر ،
والموسيقى والفلسفة ، وحب الاستطلاع ،
العصفور القرمزى على شجرة الزنبق ،
مهارة حلقة المبارزة ، خطط الشطرنج ،
الحب في الحديقة ، الغناء بمصاحبة الالة الموسيقية،
كانت كلها أمورا مرغوبا فيها بالتساوى .
الطموح يأتي عندما ينفق الانسان قوته الباكرة
وحين نجد ان كل الاشياء لم تعد ممكنة .
الطموح يأتي متأخراً ، وغير ملحوظ .
وتنمو الخطيئة مع فعل الخير . وحين فرضت
قانون الملك
في انجلترا ، وشننت الحرب معه ضد « تولوز » ،
عند ذاك قهرت البارونات في لعبتهم .
كنت عند ذاك استطيع أن أحتقر الرجال الذين
خالوني أكثر الرجال استحقاقا للازدراء ،
اولئك النبلاء الخاملين ، الذين لا تساوى طباعهم
قلامة
أظفارهم .
وبينما كنت آكل من صحاف الملك
لم تكن رغبتى ان أكون خادما لله .

ان خادم الله اكثر عرضة لاعظم الخطايا
والاحزان من ذلك الذى يخدم ملكا .
إذ أن أولئك الذين يخدمون غرضا أعظم ، قد
ينحرفون
فيجعلون هذا الغرض يخدمهم ، وهم لا يزالون يفعلون
الصواب : كما ان المماحكة مع رجال
السياسة قد تجعل ذلك الغرض سياسيا ، لا بما
يفعلونه ، بل بحكم أوضاعهم .
اني أعلم أن ما بقى من تاريخى لاعرضه عليكم
قد يبدو لمعظمكم – على أحسن الفروض –
عبثا ، ذبحا للنفس
لا معنى به ، يقوم به مجنون ،
هوى صلف لمتعصب .
وأنا أعرف ان التاريخ ، في كل العصور ،
يستخرج أغرب
النتائج من أبعد الاسباب .
ولكننا يجب ان نعاقب جميعاً على كل شر ، كل
انتهاك
للحرمات ، او جريمة ، أو خطأ ، أو قهر ،
أو لا مبالاة ،
أو استغلال ، يجب ان تعاقب أنت ، وأنت ،
وانت ، وانت ايضاً .
لن أفعل بعد أو أعاني ، فالى ذباب السيف .
والآن ، فان ملاكي الطيب الذى ناط به الله ان
يكون حارسي ، يحلق فوق حدود السيوف .

استراحة كبير الأسـاقفة

يعظ فى الكاتدرائية فى عيد الميلاد ، صباح عام ١١٧٠

« المجد لله فى الاعالي ، وعلى الارض السلام ، للرجال ذوى النية الطيبة » العدد الرابع عشر من الاصحاح الثانى من انجيل لوقـا . باسم الاب ، والابن والروح القدس . امين .

يا أبناء الله الاعزاء . ستكون موعظتي فى صباح عيد الميلاد هذا بالغة القصر ، فلست ارجو الا ان تتأملوا بقلوبكـم المعنى العميق ، بل السر فى قداساتنا فى يوم عيدالميلاد . لاننا نعيد تمثيل عذاب سيدنا وموته حين نقيم القداس : ولكنا فى عيد الميلاد هذا نفعل ذلك احتفالا بمولده . وبذلك فنحن فى نفس اللحظة نبتهج بمجيئه لاجل خلاص الانسان ، ونقدم لله جسمه ودمه تضحية وقربانا وكفوًا لخطايا العالم كله . وقد حدث فى نفس هذه الليلة التي انقضت لتوها ان جمعا من الرهط السماوى ظهر امام رعاة بيت لحم قائلين : « المجد لله فى الاعالي وعلى الارض الســلام للبشر ذوى النية الطيبة » . وفى هذا الوقت من العام كله نحتفل نحن فى ان واحد بميلاد سيدنا ، وعذابه وموته على الصليب . ورغم أن هذا الاحتفال محبوب من أهل الكون ، الا أن معناه اننا نسلك مسلكا غريبا ، لانه ما من أحد فى هذا العالم يحزن ويبتهج فى ذات الوقت ولنفس السبب . فالبهجة عندئذ قد تحجبهـا الاحزان ، والاحزانعندئذ قد تكشفها البهجة . ولذلك ، فلا يوجد الا فى هذه الاسرار المسيحية ان يحزن الانسان ويبتهج فى ذات الوقت ولذات السبب . والان ، فكروا لحظـة فى معنى كلمـة « سلام » ، هل يبدو لكم غريبا ان تعلن الملائكة السلام بينما يصك العالم بالحرب وخوف الحرب بلا انقطاع ؟ هل يبدو لكـم ان الاصوات الملائكية قد اخطات ، وان الوعد كان خيبـة مسعى وخداعا ؟

تأملوا الان ، كيف تحدث سيدنا عن السلام . لقـد قـال لحوارييه « أترك معكم سلاما ، سلامي أعطيه لكم » . فهل كان يعني السـلام كما نفكر فيه : مثل ان تكون انجلترا فى سلام مـع

جيرانها ، أو ان يكون البارونات فى سلام مع الملك ، أو ان يحصي المالك ارباحه فى سلام ، هل يعنى مصطلاه النظيف ، ونبيذه المفضل لاستضافة صديقه ، بينما زوجته تغنى لاطفاله ؟ ان اولئك الرجال الذين كانوا حوارييه لم يعرفوا مثل هذه الاشياء ، فلقد نهضوا الى الرحلة مبعدين ، لكي يعانوا فى البر والبحر ، وليعرفوا العذاب والسجن ، وخيبة الامل ، وليعانوا الموت استشهادا . فماذا كان يعني اذن ؟ اذا سألتم هذا السؤال ، فاذكروا عندئذ انه قال أيضا : « ليس كما يعطيكم العالم أعطيكم » . وعندئذ تعرفون انه قد أعطي لحوارييه سلاما ، ولكنه ليس السلام الذى يعطيه العالم .

تفكروا ايضا فى أمر ربما كنتم لم تفكروا فيه من قبل . فنحن لانحتفل فى عيد الميلاد بميلاد سيدنا وموته فى آن واحد : ولكننا فى اليوم التالى نحتفل باستشهاد أول شهدائه ، المبارك ستيفن * . هل هذا اذن امر عارض ، ان يتبع يوم استشهاد أول شهيد توا يوم ميلاد المسيح ؟ لا . ليس الامر كذلك ، فنحن حين نبتهج ونحزن فى آن واحد لميلاد وعذاب سيدنا نبتهج ونحزن بصورة أدنى بموت القديسين . نحن نحزن لان خطايا العالم دفعتهم للاستشهاد : ونفرح لان روحا أخرى قد عدت بين القديسين فى السماء ، من اجل مجد الله وخلاص الانسان .

يا أحبائي ، نحن لا نفكر فى الشهيد ببساطة كمسيحي طيب قتل لانه مسيحي : لان هذا معناه أن نحزن فحسب . ونحن لا نفكر فيه ببساطة كمسيحي طيب رفع الى صحبة القديسين : لان هذا معناه ببساطة ان نفرح فحسب : ولكن حزننا وابتهاجنا ليساكحزن العالم وابتهاجه . فالاستشهاد المسيحي ليس صدفة عارضة ، لان القديسين لا يصنعون بشكل عارض . بل ان الاستشهاد المسيحي ليس نتيجة لارادة الانسان ان يصبح قديسا ، مثلما يستطيع بالارادة والتدبير ان يكون حاكما على البشر . فالاستشهاد دائما من تدبير الله ، فالله يحب البشر ، ويريد أن يحذرهم ويقودهم ويعيدهم الى طرقه . ان الاستشهاد ليس من تدبير

---

* اول شهداء المسيحية ، ورد ذكره فى (اعمال الرسل) ، وقتله مجمع اليهود وكان بولس الرسول احد شهود قتله ، وتحول بولس بعد ذلك الى المسيحية .

الانسان ، لان الشهيد الحق هو ذلك الذى أصبح أداة من ادوات الله ، ذلك الذى فقد ارادته فى ارادة الله ، فلم يعد يرجو لنفسه شيئا ، ولا حتى مجد أن يكون قديسا . فاذا كانت الكنيسة على الارض تنوح وتبتهج فى ذات الوقت ، بطريقة لا يستطيع العالم فهمها ، فكذلك الامر فى السماء بالنسبة للقديسين اذ أنهم فى قمة الرفعة ، بعد ان جعلوا انفسهم ادني الخلق شانا ، حيث ينظر اليهم لا كما نراهم نحن ، بل فى ضوء وجه الله الذى يستمدون منه وجودهم .

لقد تحدثت اليكم اليوم ، يا أبناء الله الاعزاء ، عن شهداء الماضي ، راجيا منكم ان تتذكروا شهيدنا فى كانتربرى ، المبارك كبير الاساقفة « الفيج » * ، لانه من الملائم ، فى يوم ميلاد المسيح ، ان تتذكروا ما هو ذلك السلام الذى جلبه ، ولانني — يا اطفالي الاعزاء ، أعتقد انني لن اعظكم مرة ثانية ، فقد توهبون شهيدا آخر فى وقت جد قصير ، وقد لا يكون هو اخر شهدائكم . واني لارجو ان تحفظوا هذه الكلمات التي قلتها فى قلوبكم ، وان تعيدوا التفكير فيها فيما بعد . باسم الاب والابن والروح القدس . امين .

---

* الفيج Eipheec اسقف وقديس ولد عام ٩٥٤ في جرينتش ، وصار كبير اساقفة كانتر برى ، وقتله الغزاة الدانمركيون فى عام ١٩ ابريل عام ١٠١٢.
(المترجم)

الجزء الثـانى

الشخصيات

ثلاثــة كهـان

اربعة فرســان

كبير الاساقفة توماس بيكيت

جوقة من نساء كنتر برى

مرافقــون

المشهد الاول فى قاعة كبير الاساقفة

المشهد الثاني فى الكاتدرائية

فى ٢٩ ديسمبر عام ١١٧٠

الجوقـة

هل يغرد الطير في الجنوب ؟
طائر البحر وحده يصيح ، تدفعه العاصفة إلى البر
أثمة علامة للربيع هذا العام ؟
ليس غير موت المسنين : لا نأمة ، لا نبت ،
لا نفس يتردد .
هل بدأت الايام تطول ؟
ازداد اليوم طولا واظلاما ، والليل بردا وقصرا
الهواء راكد خانق ، ولكن ثمة ريح مخزونة في
الشرق .
يجلس الغراب الجائع في الحقل متحفزا ، وتجرب
البومة
في الغابة نغمة الموت الجوفاء .
أثمة علامات لربيع مرير ؟
الريح المخزونة في الشرق .
ماذا ؟ أفي يوم ميلاد سيدنا ، في ابان عيد الميلاد ،
ألا يوجد سلام على الارض ، أو نية خالصة
بين البشر ؟

ان سلام العالم يظل ملتبسا ، الا إذا حفظ البشر
سلام الله .
والحرب بين البشر تدنس العالم ، ولكن الموت في
الرب يجدده ،
ويجب أن يتطهر العالم في الشتاء ، والا فلن يصيبنا
الا ربيع مرير ، وصيف لافح ، وحصاد معلوم
وماذا عسانا نصنع بين عيد الميلاد وعيد الفصح ؟
سيخرج الحراث إلى حقله في مارس ، ويقلب
في ذات
الارض التي قلبها من قبل ، وسيغني الطائر ذات
الاغنيـــة .

وعندما تنبت الورقة من الشجرة ، ويندفـــع
الكبار والصغار
فوق الغدير ، ويصبح الهواء نقيا عاليا ،
وتزغرد الاصوات مـــن النوافـــذ ، ويتمرغ
الاطفال أمام
الابواب ،
ماذا عسانا نكون قد انجزنا من أعمال ، وأى ذنب
سوف تحجبه غنوة الطير ، وما عسى أن تحجبه
خضرة الشجر ،
أى ذنب سوف تحجبه الارض الغضة ؟ نحن
ننتظر ، والوقت قصير ، ولكن الانتظار طويل .
(يدخل الكاهن الاول ، رافعاً راية التقديس

ستيفن منشورة أمامه ، والاسطر التى ستغنى هى التى تحتها خط)

الكاهن الأول

منذ يوم عيد الميلاد : ويوم القديس ستيفن ، أول الشهداء .

جلس الامراء علاوة على ذلك ، وشهدوا ضدى زورا .

يوم كان عزيزا دائما على قلب كبير الاساقفة توماس .

ولقد خر فيه راكعاً ، وصاح بصوت عال :

يا سيد ، لا تجعل هذه الخطيئة الى ذنوبهم

وجلس الامراء علاوة على ذلك .

(تسمع ترنيمة القديس ستيفن)

(يدخل الكاهن الثاني ، ومعه راية القديس يوحنا منشورة أمامه)

الكاهن الثاني

منذ يوم القديس ستيفن ، ويوم القديس يوحنا الرسول .

في وسط المجمع فتح فـــاه .

وذلك هو ما كان منذ البداية ، وقد سمعناه ، ورأيناه بأعيننا ، ولمسته أيدينا

عن كلمة الحياة ؛ ذلك ما شهدنا وما سمعنا

وها نحن نعلن ذلك لكم .

في وسط المجمـــع

(تسمع ترنيمة القديس يوحنا)

(يدخل الكاهن الثالث ناشرا راية « الابرياء المقدسين(*) » أمامه)

منذ يوم القديس يوحنا الرسول ، ويوم الابرياء المقدسين .

من فم جميع الاطفال ، يا إلهى .

كما هو صوت الامواه ، والرعد ، والمزامير
غنوا كما لو كان يطلقون لحنا جديدا .
لقد سفكوا دم قديسيك كأنه ماء ،
ولم يكن هناك من يدفنهم ، فاثأر ، يا رب ،
لدم قديسيك . فقد سمع في « الرامة » صوت يبكى

من فم جميع الاطفال ، يا رب !

(يقف الكهان معا ، واعلامهم خلفهم) .

الكاهن الأول

منذ يوم الابرياء المقدسين ، اليوم الرابع لعيد الميلاد .

الكهان الثلاثة

لنبتهج جميعا ، راعين لحق اليوم المقدس .

---

* يطلق هذا الاسم على اطفال بيت لحم من سنتين عمرا فما دون ذلك الذين قتلوا بامر الملك هيرود للتخلص من الطفل الذى قد يكون يســوع .

(المترجم)

الكاهن الاول

من أجل الشعب ، ومن أجل نفسه ايضا ، تكفيرا
عن الخطايا
يقدم حياته قربانا . ومن أجل القطيع يضحى
بحياته .

الكهان الثلاثة

لنبتهج جميعا ، راعين لحق اليوم المقدس .

الكاهن الاول

أهو اليوم ؟

الكاهن الثاني

وما اليوم ؟ لقد انقضى نصفه .

الكاهن الاول

اليوم ، وما اليوم ؟ مجرد يوم آخر ، هو غسق
العام .

الكاهن الثاني

وما اليوم ، ما اليوم ؟ ليلة أخرى وفجر آخر .

الكاهن الثالث

أى يوم هو هذا اليوم الذى نعرف أننا نأمل فيه
أو نخشى عليه ؟

كل يوم هو اليوم الذى يجب ان نخشاه أو نأمل
فيه .
ان لحظة واحدة تزن مثل لحظة أخرى .
ولا نستطيع ان نقول ان ذلك كان هو اليوم الا
بعد الاعتبار واعادة النظر .
وليست اللحظة الحرجة الا الان ، وهنا ،
وحتى في تفاصيلها التافهة قد تتبدى الارادة الالهية
الان .

(يدخل الفرسان الاربعة ، وتختفى الاعلام)

الفارس الأول

نحن خدام الملك .

الكاهن الاول

نعرف من انتم
اهلا بكم ، هل ركبتم طويــــلا ؟

الفارس الأول

لم نركب طويلا اليوم ، ولكن امورا عاجلــة
قد جاءت بنا من فرنسا ، وقد حثثنا السير ،
وابحرنا امس ، ورسونا الليلة الماضيــة ،
اذ ان لنا شأنا مع كبير الاساقفــة .

الفارس الثاني

شــأن عاجــل .

الفارس الثالث

من عند المــلك .

الفارس الثاني

بأمر من المــلك .

الفارس الأول

ورجالنــا بالخــارج .

الكاهن الأول

انتم تعرفون حسن ضيافة كبير الاساقفــة .
ونحن على وشك التوجــه للعشاء .
ولسوف يتكدر كبير الاساقفة الطيب
لو لم نقدم لكم بعض الضيافة
قبل ان تسووا شأنكم معــه ، نرجو ان تتناولوا
عشاءكم معنا .
ولسوف نرعى رجالكم ايضا
العشاء يسبق العمــل . هل تحبون لحــم الخنزير
المشوى ؟

الفارس الأول

العمل قبل العشاء . سوف نشوى لحم خنزيركم
اولا ، ثم نتعشى به بعد ذلك .

الفارس الثاني

يجب ان نرى كبير الاساقفة .

الفارس الثالث

اذهب واخبر كبير الاساقفة
اننا لا نحتاج الى ضيافتــه ،
فلسوف نجــد عشاءنا .

الكاهن الأول

(للمرافــق)
اذهب واخبر نيافتــه .

الفارس الرابع

حتّام ستدعنا ننتظــر ؟
(يدخل توماس)

تومـــاس (للكهنــة)
مهما يكن توقعنـــا مؤكـــدا
فان اللحظة المنتظرة قد تكون غير متوقعـــة حين تجيء .
وهي تأتي حين نكون مستغرقين في شئون اخرى عاجلـــة .
ستجدون الاوراق مرتبة على مائدتي والوثائـــق موقعـــة .
(للفرســـان)
مرحبا بكم ، مهما يكن شأنكم معي
تقولون انكم جئتم من عند الملك ؟

الفارس الأول

من عند الملك بكل تأكيـــد
ويجب ان نخاطبك وحـــدك .

تومـــاس (للكهنـــة)

دعونا اذن وحـــدنا .
والان ، ما الامـــر ؟

الفارس الأول

هذا هو الامـــر .

الفرسان الثلاثة

انت كبير الاساقفة الثائر ضد الملك ، المتمرد
على الملك وعلى قانون البلاد ،
انت كبير الاساقفة الذى نصبه الملك ، ووضعه
في هذا المنصب لكي ينفـــذ اوامـــره .
انت خادمة ، واداته ، وعدته ،
وانت تتزيا بأفضاله على بدنك ،
ولقد نلت كل شارات شرفك من يده ، ومنـــه
استمددت
السلطة ، والخاتم ، والاختـــام .
هذا هو الرجل الذى كان ابنا لتاجر ، الطفـــل
المزعـــج
الذى كان مكانه هو السلم الخلفى . الذى
ولد في قرية تشيبسايد ،

هذا هو المخلوق الذى زحف نحو الملك ،منتفخا
بالدم ، منتفخـــا بالزهـــو .
وانســـل من قـــذر لنـــدن
ثم زحف صاعدا كما تزحف القملة على قميصك،
هذا هو الرجل الذى غش ، وخادع ، وكذب ،
وحنث
بقســـمه ، وخان المـــلك .

تومــاس

هذا غير صحيح .
فقد كنت أحد رعيـــة الملك المخلصين
سواء قبل أن أتلقى الخاتم ، أو بعد ان تلقيته .
وفيما عدا ما يتصل بالسلك الكهنوتي ، فأنا طوع
ارادته ،
كأكثر تابعيه ولاء في هذا البلد .

الفارس الأول

فيما عدا سلكك الكهنوتي ! دع كهنوتك ينقذكـ
ولا أظن انه يستطيع ذلك .
ولعلك تعني ، فيما عدا طموحك ،
فيما عدا زهوك ، فيما عدا حسدك وحقدك.

الفارس الثاني

فيما عدا وقاحتك وجشـــعك .

ألا تسألنا ان نصلي لله من أجلك ، في ســاعة حاجتك ؟

الفارس الثالث

نعم ، سنصلي من أجلك !

الفارس الأول

نعم ، سنصلي من أجلك .

الفرسان الثلاثة

نعم ، سنصلي لله عسى أن يعينك !

تومــاس

ولكن ، يا ســادة ، أكان شأنكم
الذى قلتم انه جد عاجل ، هو مجرد
التعنيف والتجديف ؟

الفارس الأول

كان ذلك فحسب
هو مجرد اظهار لسخطنا ، كرعايا مخلصين .

تومــاس

مخلصين ؟ لمــن ؟

الفارس الأول

للمــلك .

الفارس الثاني

المـــلك !

الفرسان الثلاثة

ليحفظه الله !

تومـــاس

اذن ، فلترتدوا معطف ولائكم الجديد
بعناية ، حتى لا يتلطخ أو يبلى .
ألديكم ما تقولون ؟

الفارس الاول

ما نقوله بأمـــر الملك .
هل نقـــوله الان ؟

الفارس الثالث

دون ابطـــاء
قبل ان يهرب الثعلب العجوز ويبتعد .

تومـــاس

ما يجب عليكم قولـــه
بأمـــر الملك ـ اذا كان بأمـــر الملك ـ
يجب ان يقال علنا . فاذا وجهتم الي تهما ،
فانني علنا سأدحضها أمام الناس .

الفارس الاول

لا ! بل هنا والآن !

(يشرعون في الهجـــوم عليه ، ولكن الكهـــان والمرافقين يعودون ، ويعترض الجميع طـــريق بعضهم البعض) .

تومـــاس

الآن وهنـــا !

الفارس الاول

لن أذكر ســـالف افعالك الســـيئة.
فأمرها جد معروف ، ولكن بعد ان خمدت
الفتنة في فرنســـا ، ومنحت سالف فضلك
وميزاتك ، كيف أبديت عرفانك بالجميل ؟
لقد هربت من انجلترا ،غير منفي أو
مطارد ، هل تذكر ؟ هربت آملا أن
تثير المتاعب في ممتلكات الملك في فرنسا.
لقد بذرت الفتنة خارج البلاد ، وعبت
الملك عند ملك فرنســـا والبـــابا ،
ناسبا اليه آراء زائفـــة .

الفارس الثاني

ولكن الملك ، ببـــاعث من رحمته
وحين حثه اصدقاؤك ، منحك عفوه ،

وابرم اتفاق صلح بينكما وبعد أن انتهت كل
الخلافات ،
ردك الى كرسيك الاسقفي كما طلبت .

الفارس الثالث

ولكن كيف – وأنا اكـــرر السؤال –
أبديت عرفانك بالجميل ، بعد ان دفن
ذكرى عصيانك ، ورد اليك شارات
تكريمك وممتلكاتك ، ومنحك كل ما التمست ؟

الفارس الاول

لقد اوقفت أولئك الذين توجوا الامير الصغير
وانكرت شرعية التتويج .

الفارس الثاني

ومضيت تكبلهم بأغلال الحرمان .

الفارس الثالث

ومستغلا كل وسيلة في طاقتك لكي تعرض
بخـــدام الملك المخلصين ، وبكل من أنجـــز
عملا من أعمال الملك في غيابه ، عملا من أعمال
الامـــة .

الفارس الاول

هذه هي الحقائق

فقل الآن هل أنت راض
بأن تجيب عن هذه التهم في حضرة الملك .
ذلك ما بعث بنـــا من أجلـــه .

تومــاس

ما كانت رغبتي قــط
ان لا أتوج ابن الملك ، أو أصغر
من شرفه وسلطانه . فلماذا يريد الملك اذن
ان يحرم رعيي مني ، ويبعدني عن شعبي
ويأمرني ان أبقى وحدي في كانتر بری ؟
أني لاتمنى له ثلاثة تيجان لا واحدا فحسب ،
أما عن الاساقفة ، فليس نیری هو
ما يغل أعناقهم ، ولست أنا الذی يرفعه .
ليذهبوا الى البـــابا ، فهو من أدانهم .

الفارس الاول

لقد أوقفـــوا من خـــلالك .

الفارس الثاني

وعليك عـــلاج ذلك .

الفارس الثالث

أبرئهم من أمـــر الحرمان .

الفارس الاول

أبرئهـــم .

توماس

ان هذا من صنع يدى ، ولكن لست أنا
الذى ينقض ما أبرمه البـــابا .
ليذهبوا اليه ، فهو الذى عرض عليه ازدراؤهم
بي ، وبدا له ازدراؤهم بالكنيسة

الفارس الاول

ليكن الامر ما يكون ، فهذا أمر الملك :
أن ترحل أنت وخدمك عن البلاد .

توماس

اذا كان ذلك هو أمر الملك ، فسأكون جـــريئا
لاقول : لقد مضت سبع سنوات ، وشعبي
يحيا دون وجودى ، سبع سنوات من البؤس
والالم . سبع سنوات وانا أتسول الـــبر
من خارج البـــلاد .
لقد تلبثت بالخارج سبع سنوات ، وما هي بالمدة
القصـــيرة .
لن تعود تلك السنوات السبع مرة ثانية .
لن تتكرر ابدا ، ولا يتطرقن اليكم الامل
ان البحر سيفصل مرة ثانية بين الراعي
وقطيعه .

الفارس الاول

لقد سببت باهانة بالغـــة .

عـــدالة الملك ، وعظمة الملك ،
انك مجنون وقح ، لا يردعه شيء
عن السيطرة على خـــدمه وقساوسته .

تومـــاس

لست أنا الذى يســب الملك ،
وهناك من هي أعلى قــدرا مني ومن الملك
ليس ضدى أنا ، بيكيت ، من تشيبسايد ؛
أنتم لا تجاهلون ضدى أنا ، بيكيت .
وليس بيكيت هو من ينطق بالقضاء ،
ولكنه قانون كنيسة المسيح ، وقضاء روما .

الفارس الأول

أيها الكاهن ، لقد تحدثت مخاطرا بحياتك .

الفارس الثاني

أيها الكاهن ، لقد تحدثت معرضا نفسك لخطـــر المـــدية .

الفارس الثالث

أيها الكاهن ، لقد نطقت بالغـــدر والخيانة .

الفرسان الثلاثة

أيها الكاهن ، يا خائن ، يا ضالعا في الاثم .

توماس

اني ارفع قضيتي لقضاء روما .
ولكن اذا قتلتموني ، فسأنهض من قبرى
لارفع قضيتي أمام عرش الله .
(يخرج)

الفارس الرابع

يا كاهن ! يا راهب ! يا خادم ! خذوه ،
امسكوه ، احجزوه ،
اعتقلوا هذا الرجل باسم الملك .

الفارس الاول

أو أجيبوا بجثتكم .

الفارس الثاني

كفى كلمات .

الفرسان الاربعة

لقد جئنا لتنفيذ عدالة الملك ، جئنا بالسيوف .

(يخرجون)

الجوقة

لقد شممتم ، القادمين بالموت ، فالحواس تستثار
بالنذر الحاسمة ، لقد سمعت ،
الخشخشة في أوان الليل ، الخشخشة والبوم ،ولقد

رأيت في الظهـــيرة ،
الاجنحة ذات الحراشيف وهي تنحدر ، ضخمة
وسخيفة .
ولقـــد تذوقت
مذاق الجسد المتعفن في الملعقة ، ولقدأحسست لهاث
الارض عند حلول الليل ، قلقا ، عبثيا ، ولقد
سمعت ،
الضحك في ضجة الوحوش التي تصنع أغـــرب
الضجة :
ابن آوى ، والحمار ، والغراب ؛ والضجة المارقة
للفـــأر واليربوع
وضحكة الاوز البرى ، الطائر المجنون . ولقـــد
رأيت ،
الرقاب الرمادية تتلوى ، واذيال الفيران تنفتل ،
في ضـــوء
الفجر الكثيف . ولقد أكلت
المخلوقات الرقيقة وهي لا زالت حية ، مع طعم
الملح الحاد للمخلوقات
الحية في البحر ؛ ولقد ذقت
جـــراد البحر الحي ، وسرطان البحر ، والمحار ،
والحلزون
ولكنها تحيا ، وتضع بيضها في احشائي ، واحشائي
تذوب في ضـــوء الفجر . ولقد شممت
الموت في الوردة ، الموت في زهـــرة الخطمى ،
والجلبـــان

العطرى ، والزنبق ، وزهرة آذان الدب . ولقد
رأيت
الجذع والقرن،والناب والحافر ، وتنفست مع تنفس
زهرات البحر ، وابتلعت مع الاسفنج ، لقــد
استلقيت
في التربة ، وانتقدت الدودة . وفي الهواء
ترجرجت مع مــر الحدأة ، غطست مع الحدأة ،
وربضت
مع العصفور . ولقد أحسست
قرن الخنفساء ، وحرشفة الافعى ، وجلد الفيل
الجامد القليل الحساسية ، وجنبالسمكة المراوغ ،
ولقــد شممت
الفساد في صحن الطعام ، والبخور في المرحاض ،
والبالوعة في البخور ، ورائحة الصابون الحلوة في
ممــر الغابة ،
رائحة شيطانية عطرة في ممــر الغابة ، بينما كانت
الارض تلهث . ولقد رأيت
حلقات من النور تلتف منحدرة ، هابطة .
تنزل الفزع بالقردة . ألم أعرف ، ألم أعرف
ما سوف يحدث ؟ لقد كان ما يحدث هنــا في
المطبخ ، في الممــر
في مواء القطط ، في الجرن ، في الحظيرة،في السوق
وفي عروقنا ، احشــائنا ، جماجمنا ايضا .
مثلما هو في مكائد العواهل ،
وفي مداولات السلطات .

ان ما ينسج في مغزل القــدر
وما ينسج في مجالس الامــراء
ينسج كذلك في عروقنا ، في عقولنا ،
ينساب كسرب من الديدان الحيــة
في احشــاء نســاء كنتر برى .
لقد شممتم ، القادمين بالموت ؛ والان فات الوقت
وقت الفعل ، ولم يحن بعد وقت النــدم .
ليس هناك شيء ممكن الا الاغماء الخجلان
لاولئك الراضخين إلى أبعد حدود المذلة .
لقد رضخت ، يا سيدى كبير الاساقفة ، لقد
رضخت .
لقد تمزقت ، قمعت ، انتهكت حرمتى ،
لقد توحدت بالجسد الروحى للطبيعة ،
مقودا بقوى الروح الحيوانية ،
مقهورا بشهوة اهلاك النفس ،
بموت الروح النهائي الكامل ،
بالنشوة المتناهية للضياع والعار ،
يا سيدنا كبير الاساقفة ، يا تومــــاس كبير
الاساقفة ،
سامحنا ، سامحنا ، صل من أجلنا حتى نستطيع ان
نصلى من أجلك ، صلاة نابعة من احساسنا بالعار .
(يدخل توماس)

تومــاس

سلام ، ولتكن في سلام مع أفكاركن ورؤاكن.

مقدر لهذه الامور ان تحدث ، ومقدر لكن ان
تتقبلنها ،
وهذا هو نصيبكن من العبء الابدى ،
المجد الازلى . هذه مجرد لحظة ،
ولكن اعلمن ان لحظة أخرى
سوف تطعنكن بفرح مؤلم مفاجىء
حين تصبح اردة الله كاملة الشكل .
وسوف تنسين هذه الامور ، وانتن تعالجن
في عناء أمور بيوتكن ،
ولسوف تذكرنها ، وانتن تلغين حول النار ،
حين يزيل العجز والنسيان مرارة الذاكرة ،
ستكون كأنها مجرد حلم ، تعاد حكايته بين حين
وآخر
وفي كل مرة يتغير حين يحكى . وستبدو هذه
الامور غير
حقيقيـــة .
فالبشر لا يستطيعون تحمل الكثير من الحقيقة .
(يدخل الكهنـــة)

الكهنـــة

(متفرقين)
سيدنا ، يجب ألا تقف هنا . هيا إلى داخل الكنيسة
من خلال الرواق . لا وقت لا ضاعته . هـــم
عائدون ،
ومسلحون . إلى المذابح ، إلى المذبح .

توماس

طيلة حياتي وهى قادمة ، هذه الاقدام .
لقد انتظرت طيلة حياتي . سيأتي الموت حين
أكون جديرا به
فحسب ، وإذا كنت جديرا به فلا خطر منه .
وليس عليَّ عندئذ الا ابلغ بعزيمتي
حد الكمال .

الكهنة

سيدى ، أنهم قادمون . سيقتحمون فورا . وسوف
تقتل . تعال للمذبح .
أسرع ، يا سيدنا . لا تقف هنا لتتحدث . هذا
ليس
صوابا .
ما مصيرنا ، يا سيدنا ، إذا قتلت ، ما مصيرنا ؟

توماس

سلاما ! اهدأوا ! وتذكروا أين أنتم ، وماذا
يحدث ؟
ليست هناك حياة مطلوبة (هنا الا حياتي ،
وانا لست في خطر ، ولكنى قريب من الموت
فحسب .

الكهنة

يا سيدنا ، اذهب لتصلى صلاة المساء! يجب الا

تتخلف عن صلاة المساء . يجب الا تتخلف عن
أداء الواجب
المقدس . إلى صلاة المساء . في داخل الكاتدرائية !

توماس

اذهبوا أنتم لصلاة المساء ، وتذكروني في
صلواتكم .

سوف يجدون الراعي هنا، ولكن القطيع سينجو.
فلقد مرت بي رجفة الغبطة ، طرفة عين من
السماء ، همسة ،
ولن أكون منكورا بعد الان ؛ إذ ان كل
الامور تمضى نحو النهاية السارة .

الكهنة

أمسكوا به ! أجبروه ! جروه !

توماس

ارفعوا أيديكم !

الكهنة

أسرع إلى صلاة المساء .

(يجروونه للخارج ، بينما تتحدث الجوقة
ويتغير المشهد إلى داخل الكاتدرائية) .

الجوقــة

(بينما يتصاعد ترتيل يوم الغضب ، باللاتينية ،
من بعيد)

لتنحدر اليد ، وليسقط الجفن
ما زال الرعب ، بل لقد اصبح أشد
مما يكون حين يتمزق الجوف .
ما زال الرعب ، بل لقد اصبح أشد
مما يكون حين تلتوى الاصابع ،
مما يكون حين تنشق الجماجم .
أكثر من رعب وقع الاقدام في الممر ،
أو الظل في المدخل ،
أو روح الغضب في القاعة .
ان زبانية الجحيم يختفون ، والبشر ينكمشون
ويذوبون
في التراب على وجـــه الريح ، منسيين ، غير
مذكورين ، وليس هنا
سوى وجه الموت المسطح الابيض ، الموت خادم
الرب
الصامت ،
وخلف وجه الموت هناك الدينونه
وخلف الدينونة هناك العدم ، أكثر بعثا للرعب
من
أشكال الجحيم المتغيرة ؛
الخواء ، والغياب ، والانفصال عن الله ؛

وعبء الرحلة التي هي دون جهد ، إلى الارض
الخـــواء
التي هي ليست ارضا ، ليس الا الخـــواء ،
والغياب ، والعدم ،
حيث لم يعد اولئك الذين كانوا بشرا يستطيعون
أن
يتحولوا بعقولهم إلى الذهـــول والوهم ، أو
يهربوا في
الحلم والادعـــاء ،
حيث لا تخدع الروح بعد ، فليست هناك أشياء ،
أو نغمات ، أو ألوان أو صيغ لكى تحير الروح أو
تصرفها
عن ان ترى نفسها ، وقد انحدرت كلها ملوثة ،
لا شيء مع لا شيء ،
نحن نخاف ، نخاف ،
ليس مما نسميه الموت ، ولكن مما خلف الموت
الذى
ليس هو الموت .
نحن نخاف ، نحن نخاف ، من سيدافع عنى ،
من سيشفع لى ، في شدة حاجتى ؟
ميتا فوق الشجرة ، يا مخلصى ،
لا تدع عناءك يذهب هباء ؛
ساعدني ، يا ربي ، في خوفي الاخير .
تراب أنا ، ينحنى للتراب ،
يهددني الهلاك الابدى ،

فساعدني ، يا ربي ، لأن الموت قريب .
(في الكاتدرائية . توماس والكهنة)

الكهـــان

اقفلوا الباب بالمزلاج . اقفلوا الباب بالمزلاج .
الباب مقفل بالمزلاج .
نحن في أمان . نحن في أمان .
لا يجرأون على الاقتحـــــام ،
لا يستطيعون الاقتحام . فليس لديهم القوة .
نحن في أمان . نحن في أمان .

تومـــاس

ارفعوا المزاليج ! افتحوا الابواب على اتساعها !
لن أحيــل مكان الصلاة ، وكنيسة المسيح ،
والمحراب ، إلى قلعة .
ستحمى الكنيسة ما يخصها ، بطريقتها الخاصة ،
ليس
كأخشاب وحجر ، فالخشب والحجر ينحلان
ولا يدومان ،
ولكن الكنيسة ستدوم على الزمن .
ستفتح الكنيسة ، حتى لاعدائنا . افتحوا الباب !

الكهـــان

يا سيدنا ! انهم ليسوا ببشر ، انهم لا يجيئون كما
يجيء البشر ، لكن

مثل وحوش مجنونة . لا يجيثون كبشر ، يحترمون
المذبح ، ويركعون لجسد المسيح ،
ولكن كوحوش . ينبغي ان تقفل الباب بالمزلاج
في مواجهة
الاسد أو الفهد أو الذئب أو الخنزير البرى ،
فلماذا لا يقفل في مواجهة الوحوش القادمة
ولها أرواح
البشر الملعونين . في مواجهة البشر الذين يلعنون
أنفسهم إلى وحوش .
يا سيدنا ! يا سيدنا !

توماس

انتم تحسبونني طائشا ، يائسا ومجنونا .
وتقيسون الامور بنتائجها ، كما يفعل هذا العالم
حين يريد ان يقرر ما إذا كان الفعل خيرا أو شرا
ولكنكم تخالفون الحقيقة ، لأن كل حياة
وكل فعل
يرى فيهما الخير والشر مختلطا العواقب
ولما كانت نتائج كثير من الافعال
تختلط على مدى الزمن
فان الخير والشر يبلبلان الفكر في نهاية الامر .
ولن تعرف عبرة قرارى في مدى الزمان ،
لان قرارى قد اتخذ خارج الزمن
هذا اذا دعوتموه قرارا
فالى هذا القرار قد اعطى كياني كله مصادقته .

اني احب حياتي .
لقانون الله الذى هو فوق قانون البشر .
افتحوا الباب ! افتحوا الباب !
فلسنا هنا لننتصر بالقتال ، او المناورة ، او
المقاومـــة ،
او لنقاتل الوحوش كرجال ، فقد قاتلناالوحوش
وانتصرنا . وعلينا ان ننتصر الان
بالمعاناة فحسب ، ذلك هو النصر الاسهل .
الآن ينتصر الصليب ، الآن .
افتحوا الباب ! انا آمركم . افتحوا الباب !
(يفتح الباب ، ويدخل الفرسان ، وهم ثملون قليلا

الكهان

من هنا ياسيدى ! اسرع . اصعد الـدرج . الى
السطح .
الى القبو . اسرع . تعال . اجبروه .

الفرســان

اين بيكيت ، خائن الملك ؟
اين بيكيت ، الكاهن المتدخل فيما لايعنيــه ؟
اهبط يادانيال الى عرين الاسود ،
اهبط يا دانيال لكى يضع عليك الوحش وسمه .
هل اغتسلت بدم الحمل المقدس ؟
هل وسمت بوسم الوحـــش ؟
اهبط يا دانيال الى عرين الاسود ،

اهبط يادانيال لتشارك في الوليمـــة .
اين بيكيت ، هذا الولد من تشيبسايد ؟
اين بيكيت ، الكاهن الخـــائن ؟
اهبط يا دانيال الى عرين الاسود ،
اهبط يادانيال لتشارك في الوليمـــة .

تومـــاس

ليس سوى الانسان العـــادل ،
من يجب عليه الا يعرف الخوف ، كأسد جرىء
انا هنـــا .
لست خائنا للملك ، فأنا كاهـــن ،
ومسيحى ، مخلص بدم المسيح ،
ومتأهب لان اعاني بدمى .
هذه هى علامة الكنيسة دائمـــا .
علامة الدم . الدم بالدم .
لقد وهب دمه ليشترى حياتي ،
وانا ابذل دمى لأؤدى ثمن موته ،
موتي لقـــاء موته .

الفارس الاول

أحـــلّ جميع من حرمتهم .

الفارس الثاني

تخـــل عن السلطات التي انتحلتها .

الفارس الثالث

رد الى الملك المال الذى اغتصبته .

الفارس الأول

جــدد الطاعة التي انتهكتها .

تومـــاس

أنا متأهب الآن للموت من أجل سيدى ،
حتى تحوز كنيسته السـلام والحرية .
افعلوا بي ما شئتم ، او ما شاء لكم الاذى والخزى ؛
ولكن لا تلمسوا أحدا من شعبي ، سواء أكان عاميا
أو كنسـيا ، أرجوكم باسم الله .
هذا ما أمنعكم عنه .

الفرســان

خائن ! خائن ! خائن !

تومـــاس

أنت الخائن ثـلاثا يا ريجينالد :
خائن لي كتابعي الدنيـوى ،
وخائن لي كسـيدك الروحي ،
وخائن للـرب اذا انتهكت حـرمة الكنيسة .

الفارس الأول

لا ولاء عندى لمـرتد .
وما أدين لك به سـأدفعه الآن .

توماس

والآن الى الله القدير ، والى المباركة مريم العذراء دائما ، والى المبارك يوحنا المعمدان ، والى الحواريين المقدسين بطرس وبولس ، والى المبارك الشهيد دنيس ، والى جميع القديسين ، ارفع اليهم جميعا قضيتي وقضيـة الكنيسـة .

(نسمع الجوقة ، بينما الفرسان يقتلونه)

الجوقـة

نقوا الهواء ! نقوا السماء ! اغسلوا الريح ! انزعوا الحجر عن الحجر واغسلوهما .

الارض ملوثة ، الماء ملوث ، وحيواناتنا وانفسنا مدنسـة بالـدم .

مطر من الـدم قد أعمى عيني . أين انجـلترا ؟

أين كنت ؟

أين كانتر بري ؟

هي بلاد بعيدة بعيدة بعيدة في الماضي ، وأنا شريدة في ارض من الغصون العميقة ، لو كسرتها لنزفت ؛ أنا شريدة في ارض من الاحجار الجافة ؛ لـو لمسـتها لنزفت .

كيف لي أن أعود الى الفصول الناعمة الهادئة ؟

يا ليل ابق معنا ، ويا شمس توقفي ، ويا فصـل ظـلّ ،

ودع النهار لا يجيء ، ودع الربيع لا يجيء ،

هل استطيع ان أعاود النظر في النهار واشـــياته العادية ،
وأراها جميعا ملطخة بالـــدم ، من خلال ستارة من الـــدم
المسفوح المتدفق .
ما رغبنـــا في حدوث أى شيء .
نحن نفهـــم الكوارث الخاصة
الفقد الشخصي ؛ البؤس العـــام ،
ونحن نحيـــا ، وقليلا ما نحيـــا ؛
نعرف رعب الليل الذى ينتهي في عمل النهار ،
ورعب النهار الذى ينتهي بالنـــوم ؛
ولكن الحديث في السوق ، واليد على المكنسة ،
وتكويم الرماد حين يهـــل الليل ،
واشعال النـــار حين يهـــل الصباح ،
تلك الافعال هي حدود معاناتنا .
كان لكل رعب تعريفه ،
ولكل حـــزن نهـــايته :
ففي الحياة لا وقت للحزن الطويل .
ولكن هذا الذى حدث ، هذا كان خارج الحياة، هـــذا
كان خارج الزمـــن ،
أبدية عاجـــلة للشر والخطيئة .
لقد تلطخنا بنجس لا نستطيع ان ننظفه ، توحدنا بالهوام الخـــارقة للطبيعة ،
ولسنا في هذا وحدنا ، ليس البيت أو المدينة

هما ما تدنس
ولكن العــالم كله اصبح ملوثا تمــاما .
نقوا الهواء ! نظفوا السماء ! اغسلوا الريح !
انزعــوا
الحجر عن الحجر ، انزعوا الجلد عن الذراع ،
انزعوا العضل عن العظم ، واغسلوهما . اغسلوا
الحجر ! اغسلوا العظم . اغسلوا الدماغ ! اغسلوا
الروح . اغسلوها . اغسلوها جميعا !
(يتقدم الفرسان الى مقدمة المسرح بعد ان أتمــوا
القتل ، ويخاطبون المتفرجين)

الفارس الأول

نتوسل اليكم ان تعيرونا انتباهكم للحظات قليلة ،
نحن نعلم انكم قد تكونون ميالين الى الحكم في
غير صالحنا على ما فعلناه .
انكم انجليز ، ولذلك فانتم تؤمنون باللعب العادل :
وعندما
ترون رجــلا ينقض عليه اربعة رجــال ، فان
تعاطفكم كله يكون مع
المقهور . وانا احترم مثل هذه الاحاسيس، واشارك
فيها . ومع ذلك فأنا اناشــد حاســة الشرف
عندكم . أنتم
انجليز ، ولهذا فلن تحكموا على شخص دون ان
تستمعوا الى
وجهتي النظر في القضية . وذلك يتمشى مع مبدأنا

الذى طال اقراره ، وهو الحكم بواسطة المحلفين.
ولست أنا
مؤهلا لكي ابسط قضيتنا امامكم . فأنا رجـــل
فعل لا رجل كلام .
ولهذا السبب فلن أفعل اكثر من تقديم المتكلمين
الاخرين ،
الذين سيستعينون بقدراتهم المتنوعة ، ووجهات
نظرهم
المختلفة ، لكي يضعوا أمامكم ما تستحقه هــذه
المشكلة البالغة
التعقيد . وسوف أدعو اكبر الاعضاء سنا لكي
يبدأ الكلام . زميلي في الريف . البارون ويليام دى
تراكــي .

الفارس الثالث

أخشى الا أكون متحدثا ذا تجربة في الحديث ،
مثلما قادكم صديقى ريجنالد فيتز أورس
الاعتقاد . ولكن هناك شيئا واحدا أحب أن اقوله
وسأقوله فورا على أى حال. وهو أننا فيما فعلناه ،
ومهما يكن ما تفكرون فيه تجاه هذا الفعل ، كنا
قوما غير ذوى مصلحة .

الفرسان الاخرون

« اسمعوا ! اسمعوا !
لن نستفيد شيئا من هذا .بل اننا نخسر اكثر ممـــا
نكسب.

نحن اربعة رجال انجليز بسطاء . نضع بلادنا في
المقـــدمة
واجرؤ على القول اننا لم نترك انطباعا حسنا حين
دخلنـــا الان .
والحقيقة اننا كنا نعرف اننا أخذنا على عاتقنا عملا
بالغ العنف ؛ سوف أتحدث عن نفسي فحسب ،
ولكنني قـــد شربت
كثيرا ــ ولست رجلا شريبا في العادة. كان هذا
لكي استجمع قواي للقيام به . وحين تأتون الى
لب المشكلة ، فانه من المخالف
للطبع السليم ان يقتل المـــرء كبيراساقفة . وخاصة
اذا كان قـــد ترعرع
في ظل تقاليد كنسية طيبة . ولهذا فاذا بـــدونا
مشاغبين قليلا ،
فسوف تعرفون السبب . وعن دوري فأنا آسف
لـــه جدا .
كنا ندرك ان هذا كان واجبا علينا ، ورغم ذلك
كان علينا ان نستجمع قوانا للقيام به . وكما قلت
فلن نحصل على بنس واحد من جرائه .
ونحن نعرف تمـــاما ماذا ستتمخض عنه الامور.
فالملك هنري ــ يحفظه
الله ــ سيكون عليه ان يقول لاسباب سياسية انه لم
يعن أبدا ما حدث ؛ وسيكون هناك شغب مخيف ؛
وعلى أحسن الفروض سيكون علينا ان نقضي

بقية حياتنا في خارج البلاد . وحتى عندما يصل قوم عقلاء الى فهم أن كبير الاساقفة كان يجب ان يزاح — وقد كنت انا شخصيا أكن له اعجابا رائعا ، ولا بد انكم لاحظتم أى عرض بديع أداه في النهاية ، فان

هؤلاء القوم العقلاء لن يمنحونا أى مجد . لا ، لقد اضعنا أنفسنا بأيدينا ،

دون أدنى شك . ولهذا ، فكما قلت في البداية ، ارجوكم ان تعطونا

على الاقل فضل أننا كنا غير ذوى مصلحة في هذه المهمة . واظن

ان هذا هو تقريبا كل ما يجب علي قوله .

الفارس الاول

أظن أننا نتفق جميعا على أن ويليام دى تراكي قد أجاد الحديث ،

وبسط نقطة هامة . ولباب حجته هو هذا : لقد كنا غير ذوى مصلحة

تماما . ولكن فعلتنا ذاتها تحتاج الى تبرير اكثر . ولا بد ان تسمعوا بقية متحدثينا . وسوف أدعو ولا بد ان تسمعوا

بقية متحدثينا . وسوف أدعو هيو دى مورفيل ، الذى أنجز دراسة خاصة

عن شئون الدولة والقانون الدستورى . السير هيو دى مورفيل .

الفارس الثاني

أود ، أولا ان أعود الى نقطة وضعها بحذق قائدنا ،
ريجنالد فيتز اورس :
وهي انكم انجليز ، ولذلك فان تعاطفكم يكون
دائمـــا مع المقهور . وتلك
هي الروح الانجليزية للعب العادل . والان ، فان
كبير الاساقفة الجدير بالتقدير ، الذى اعجبت
دائمـــا بخصاله الطيبة ، قد قـــدم في هذه الامر
على أنه المقهور ، ولكن هل هذه هي الحال بحق
لست اقصـــد أن
أحتكم الى عواطفكم بل الى عقولكم . فانتم رجال
عقلاء راسخون . كما أرى ،
ولن تحرفكم الضجة العاطفية الفارغة . ولذلك
أسألكم ان تفكروا برزانة :
ماذا كانت أهداف كبير الاساقفة ؟ وماذا هي
أهداف الملك هنرى ؟ ففى
الاجابة عن هذين السؤالين يثوى مفتاح المشكلة .
لقد كان هدف الملك راسخا تمـــاما . فخـــلال
حكم الملكة السابقة ماتيلدا ،
وخلال حملـــة المغتصب ستيفن التعس ، كانت
المملكة بادية الانقســـام .

وقد رأى ملكنا ان أول ما قد يطلب منه ويرتجى
هو اعادة النظام ، وذلك

بأن يكبح جماح السلطات المتجاوزة للحكومة
المحلية ، وهي التي كانت

تمــارس عادة لغايات أنانية أو مثيرة للفتنة

ولكي يصلح الملك النظام القضائي

فقد قصد الى بيكيت الادارى الذى اثبت مقدرته التى لا ينكرها أحد لكي يجمع بين منصب الوزارة ومنصب كبير الاساقفة . ولو تلاقى بيكيت مع رغبة الملك لكان لنا دولة مثالية تقريبا ؛ اذ تتوحد الادارة الروحية والادارة الدنيوية تحت سـيطرة الحكومة المركزية ، ولقد عرفت أنا بيكيت جيدا ، في علاقات رسمية مختلفة ، واستطيع ان أقول انني لم أعرف رجلا مؤهلا لأعلى مراتب الخدمة المدنية مثله . فماذا حدث عندئذ ؟ ففي اللحظة التي نصب فيها بيكيت كبير اساقفة بنـاء على طلب الملك ، استقال من وظيفته كوزير ،واصبح اكثر كهنوتية من الكهنة ، وتبنى اسلوبا زاهـدا في الحياة بمباهاة وعدوانية . وسرعان ما انطلق يؤكد ان هناك سلطة أعلى من السلطة التي كافح مليكنا سنوات كثيرة ، وكافح هو كخادم للملك لاقرارها . بل لقد أضاف ــ والله يعلم لمــاذا ــ ان السلطتين متناقضتان .

وستتفقون معي أن مثل هذا التدخل حين يقوم به

كبير اساقفة يثير ثائرة رجال مثلنا . والى هنـا ، وانا أعلم انكم توافقوني : أقـرأ ذلك في وجوهكم . لكن موضع النزاع هي الاجراءات التي اتخذناها لكي نضع الامور في نصابها . وليس هناك من يأسف لضرورة العنف مثلنا . ولسـوء الحظ ، فان العنف في بعض الاحيان قد يكون هو الوسيلة الوحيدة لتأمين العدل الاجتماعي . وفي زمن آخـر ، قد تدينون كبير اساقفة بالتصويت في البرلمـان ثم تعدمونه رسميا كخائن ، ولا يكون هناك عندئذ من يحمل وزر تسميته قاتلا . بل في زمن آخـر ايضا قد لا تكون مثل هـذه الاجراءات المعتدلة لازمة . فاذا كنتم قد وصلتم الان الى تقدير عادل لادعاءات الكنيسة ضـد رفاهية الدولة ، فتذكروا اننا كنا أول من خطا هذه الخطوة . لقد كنا فعالين في اقامة الدولـة المدنية التي توافقون عليها . ولقد خدمنا مصالحكم ونحن نستحق اطراءكم ، ولو كان هناك جـرم في هذا الامر ، فأنتم شركاؤنا فيه .

الفارس الاول

لقد أعطانا مورفيل الكثير ممـا يستدعي التفكير فيه . ويبدو لي انه أوشك على قول الكلمةالفصل ، لاولئك الذين كانوا قادرين على تتبع تفكيره الحاذق . ولدينا — على أى حال — متحدث آخر ، لديه فيما أظن وجهة نظر أخرى سيعبر عنها .

فاذا كان وهناك من لا يزال غير مقتنع ، فاني أظن ان ريتشارد بريتو الذى انحـــدر من اسرة تميزت بولائها للكنيسة ، سيكون قادرا على اقناعه

ريتشارد بريتـــو .

الفارس الرابع

لقد تحدث جميع المتحدثين الذين تقدموني حديثا فاصلا ، وبخاصة قائدنا ريجنالد فيتز اورس . وليس لدى ما اضيفه على سطور حججهم . ولكن ما اريد ان أقوله يمكن ان يصاغ في هيئة سؤال : **من قتل كبير الاساقفة ؟** ولمـــا كنتم شهود عيـــان لهذا المشهد المحزن ، فقد تدهشون لوضعي الامر في هذه الصيغة . ولكن تدبروا مجرى الاحداث . وانا مضطر ان أطوف ملما بالارض التي اجتازها آخـــر المتحدثين . فحين كان كبير الاساقفة وزيرا ، فان احدا من رعية الملك لم يزد عليه في سعيه للحم عرى الوطن ، لكي يهبه الوحـــدة والاستقرار والنظام والهدوء . فضلا عن العـــدالة التي طال افتقادها . ولكنه في اللحظة التي نصب فيها كبير اساقفة مضى على عكس سياسته تماما ، فاظهر لا مبالاة مطلقة بمصير البلد ، حتى لقـــد اصبح في الحقيقة وحشـــا أنانيا . ونمت هـــذه الانانية ، حتى اصبحت جنونا لا شك فيه . ولدى دليل لا يدحض أنه تنبأ قبل ان يغادر فرنسا امام شهود عديدين أنه لم يبق له أيام كثيرة في الحياة ،

وانه سيقتل في انجلترا . ولقد استعمل كل وسائل الاثارة ، ولا نستطيع أن نستنتج من سلوكه خطوة بخطوة الا انه كان مصمما على الموت استشهادا . وحتى في النهاية كان بامكانه أن يعطينا سببا : ولكنكم رأيتم كيف كان يتفادى اسئلتنا . وحتى عندما دفع بنا الى الغضب عامدا ، حتى جاوز غضبنا حدود الاحتمال كان بوسعه ان يهرب بسهولة . كان يستطيع ان يبقى بعيدا عن أيدينا زمنا يكفي لكي يبرد غضبنا الذى استعر عن حق . ولكن هذا بالتحديد هو ما لم يشأ ان يحدث ؛ فلقد أصر بينما كنا ما نزال مشتعلين غضبا أن تفتح الابواب . أتراني في حاجة الى مزيد من القول ؟ أظن أنكم — وهذه الحقائق امامكم — لن ترددوا في أن يكون قراركم أن الامر هو انتحار في حال عقلية غير طبيعية . وذلك هو القرار الخير الوحيد الذى بوسعكم ان تصلوا اليه تجاه رجل ، كان رغم كل شيء ، رجلا عظيما .

الفارس الاول

اشكرك يا بريتو . ولا أظن ان هناك حاجة لمزيد من القول . واقترح ان تتفرقوا الآن الى منازلكم بهدوء . واحذروا ، من فضلكم ، انتتجمعوا متلكئين عند حنايا الشوارع . أو تفعلوا شيئا قد يثير فتنة الشعب .

(يخرج الفرسان)

الكاهن الأول

يا أبانا ، أبانا ، الذى ذهب عنا ، الذى فقدناه ،
كيف سنجدك ، من أى مكان بعيد
تنظر إلينا من عل ؟ وانت الآن في السماء ،
من سيقود خطانا الآن ، يحمينا ، يوجهنا ؟
وبعد أى رحلة خلال أى رعب قادم
سنستعيد حضورك ؟ متى نرث
قوتك ؟ الكنيسة تثوى مفجوعة
وحيدة ، منتهكة ، خربة ، وسوف
يبنى الوثنيون على أطلالها ،
عالمهم بلا اله . أنا أراه . أنا أراه .

الكاهن الثالث

لا ، لأن الكنيسة قد زادت قوة بهذا الحدث ،
فهى منتصرة في بلواها ، محصنة
بالاضطهاد ، دائمـــة الرفعة ، ما دام الرجـــال
يموتون من أجلها .
اذهبوا ، أيها الرجال الحزاني الضعفاء ، أيتها
الارواح
المخطئة الضالة . بلا مأوى لكم في الأرض أو
السماء .
اذهبوا حيث يخلـــع الغروب حمرتـــه على آخر
صخرة رمادية في
بريتاني ، أو بوابات هرقـــــل .
اذهبوا ، واجتّرئوا على اغراق السفن عـــــلى

السواحل الكئيبـــة
حيث يأسر الافارقة السود المسيحيين ،
اذهبوا إلى بحار الشمال المحوطة بالثلج ؛
حيث تشل الانفاس الميتة الايدى ، تبث الظلام
في العقـــول ؛
ابحثوا عن واحة في شمس الصحراء ،
اذهبوا ، واسعوا إلى التحالف مع المسلمين—
الوثنيين ،
لتشاركوهم طقوسهم النجسة ، وحاولوا أن—
تخطفوا
النسيان في بلاطه الداعر ،
النسيان عند نافورة جنب شجرة التمر ؛
أو اجلسوا وعضوا أظافركم في « أكويتين » .
وستدور دائرة الالم الصغير في داخل جماجمكم
وتظلون تجوبون وتطأون دائرة واحدة لانهاية لها ،
دائرة من الفكر ، مداها أن تبرروا لانفسكم هذا
الحـــدث ،
ناسجين قصة خيالية تتضح كلما نسجتم ،
وتظلون تخطون إلى الابد في جحيم الاقتناع الزائف
الذى هو ليس اعتقادا : ذلك هو قدركم عـــلى
الارض
ويجب علينا ألا نفكر فيكم بعد الآن .

الكاهن الأول

يا سيدنا ،

يا من خبيء عنا مجده في حاله الجديد ،
صل من أجلنا بفضل محبتك .

الكاهن الثاني

والآن في مرآى الله
متحدا بكل القديسين والشهداء الذين سبقوك ،
تذكرنـــا .

الكاهن الثالث

دعوا شكرنا يصعد
لله الذى وهبنا قديسا آخر في كانتر بري .

الجوقـــة

(بينما تسمع ترتيلة **الشكر لك يا رب** بالتلاتينية
من بعيـــد)
نمجدك ، يارب ، للمجد المتجلى في كل مخلوقات
الارض
في الثلج ، في المطر ، في الريح ، في العاصفـــة ،
في كل المخلوقات
في كلا الصياد والصيد .
في كل الاشياء الموجودة ، مرئية لك وحدك ،
معروفة
لك وحدك ، كل الاشياء الموجودة
في نورك وحده ، يتجلى المجد ويعلن حتى في
ذلك الذى
ينكرك . الظلام يعلن مجد النور .

أولئك الذين ينكرونك لا يستطيعون الانكار ،
لو أنك
كنت غير موجود ، فان انكارهم لا يكمل أبدا ،
لانك لو لم تكن موجودا لما وجدوا .
إنهم يؤكدونك في الحياة ، كل الاشياء تؤكدك
في الحياة :
الطائر في الهواء . كل من الصقر والعصفور ،
الحيوان
على الارض ، كل من الذئب والحمل . الدودة
في التربـــه
والدودة في الجوف .
ولذلك فان الانسان ، الذى جعلته واعيا بك ،
يجب
ان يحمدك واعيا ، في فكره وكلمته وفعله .
حتّى وايدينا على المكانس ، وظهورنا محنيـــة
نوقد النار ،
وسيقاننا محنية ننظف الساحة ، نحن خدم كنزّ
برى
وكناسيهـــا ،
الظهر محنى تعبا ، والساق محنية تحت الاثم ،
والايدى
على الوجوه فرقا ، والرأس محنية حزنا ،
حتّى فينا تمجدك أصوات الفصول ، غنة الشتاء ،
واغنية الربيع وطنين نحل الصيف ، واصوات
الحيوان

والطـير .
نمجدك لاجل رحمتك حين يسيل الدم ، من أجل
الافتداء ،
بالدم ، لأن دم الشهداء والقديسين
سوف يثرى الارض ، ويخلق فيها الامـاكن
المقدسة .
لانه حيثما أقام قديس ، وحيثما وهب شهيد دمه
فداء لدم المسيح
ستكون ارض مقدسة ، لن ترحل القداسة عنها
رغم ان الجيوش تمتهنها وتدوس عليها ، رغم أن
المتفرجين يأتون ومعهم كتب السياسة ليتفرجوا
عليها ؛
من حيث تقضم البحار الغربية ساحل أيونا
إلى حيث الموت في الصحراء ، والصلاة في أماكن
منسية بجنب العمود الامبراطورى المكسور ،
من مثل هذه الارض يرتفع ذلك الذى يجـدد
الارض
إلى الابد
رغم أنها تنكر للابد . ولذلك ، يا رب ، نحن
نشكر لك
لأنك أعطيت مثل هذه النعمة لكانتر برى .
سامحنا ، يا رب ، فنحن نعترف أننا نمط عادى
من الناس ،
ذلك النمط الذى يخشى نعمة الله ، والوحدة في
مساء

الله ، والامتثال المطلوب ، والحرمان الواجب
ذلك النمط الذى يخشى ظلم البشر أكثر مما يخشى
عدالة الله ؛
ويخشى اليد على النافذة ، النار في سقف المنزل ،
القبضة الممدودة في الحانة ، الدفعة المغرقـــة في
القنـــاة .
أكثر مما يخشى حب الله .
نحن نعترف باخطائنا ، بضعفنا ، بخطئنا ، نحن
نعترف
أن خطيئة العالم فوق رؤوسنا ، ان دم الشهداء
وعذاب القديسين
فوق رؤوسنا
يا رب ، ارحمنـــــا
يا أيها المسيح ، ارحمنا
يا رب ، ارحمنـــا
يا توماس المبارك ، صل من أجلنا .



فهرست

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ماتويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان آنوى	القبرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة أو عرض الأزياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى أو قصة مغامرة
٨	تيرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيـزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال البى	دراما اللامعقول
١/١٢	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليـا ٢ ـ الاب
١٣	نيكوس كازنتزاكى	عليل يعـود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فانتصرت
١/١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجاليـة فرساى
١٧	دوجلاس ستيورات	عسكر ولصوص اوتيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١/١٩	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ الطريق الى دمشق ـ الثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليـو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
١/٢٦	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ــ ١ نساء تراخيس
١/٢٧	جبريل مارس	من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ب ١ ١ ــ رجل الله ٢ ــ القلوب النهمة
٢٨	انريكي خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٣/٢٩	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ــ ٣ ١ ــ الاقــوى ٢ ــ الرباط ٣ ــ الجرائم ٤ ــ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
١/٣١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ١ ١ ــ حكاية فاسكو ٢ ــ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان	انتصار جونس
١/٣٣	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ــ ١ ١ ــ بيوت الأرامل ٢ ــ الدليل
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ــ قرافة السيارات ٢ ــ فاندو وليـز ٣ ــ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣/٣٥	ـ سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢
		١ ـ اوديب الملك
		٢ ـ اوديب فى كولون
		٣ ـ اليكترا
١/٣٦	ـ جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١
		١ ـ اليكترا
		٢ ـ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١
		١ ـ المغنية الصلعاء
		٢ ـ الدرس
		٣ ـ جاك او الامتثال
		٤ ـ المستقبل فى البيض
		٥ ـ الكراسى
٣٨	ـ كوبر ـ تشيرشل ـ شارب مانج	مسرحيات انامية
٢/٣٩	ـ جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢
		١ ـ روما لم تعد فى روما
		٢ ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)
٤٠	ـ انطون تشيخوف	١ ـ شـيطان الغابة
		٢ ـ الخال فانيـا
٢/٤١	ـ جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢
		١ ـ مهاجر بريسبان
		٢ ـ البنفسـج
٢/٤٢	ـ لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١
		١ ـ ديانا والمثـال
		٢ ـ الحياة عطاء
		٣ ـ لذة الامانة
٤٣	ـ جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د »
		٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤
		١ ـ الفرماء
		٢ ـ الاميرة البيضاء
		٣ ـ عيد الفصح
٢/٤٥	ـ سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢
		١ ـ انتيجونة
		٢ ـ اجاكس
		٣ ـ فيلوكتيت
٢/٤٦	ـ جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢
		١ ـ سدوم وعمورة
		٢ ـ مجنونة شايو
٢/٤٧	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢
		١ ـ ضحايا الواجب
		٢ ـ مرتجلة ألمـا
		٣ ـ سفاح بلا كراء
٢/٤٨	ـ جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢
		١ ـ طريق القمة
		٢ ـ العالم المكسور
٤٩	ـ البى شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى
		٢ ـ الطابعان على الالة
٥٠	ـ ارمان سالاكرو	الارض كروية
٢/٥١	ـ جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢
		١ ـ السلاح والانسان
		٢ ـ كانديدا
		٣ ـ رجل المقادير
٥٢	ـ هارولد بنتر	الحارس
٥٣	ـ مارتنيس دى لاروزا	ابن أمية أو ثورة الوريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو بايخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦	يوربيديس	● الكترا ● اورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٢/٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٢ ١ ـ سجاناريل ٢ ـ المتحذلقات المضحكات ٣ ـ مدرسة الازواج ٤ ـ الطبيب الطائر ٥ ـ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	● المهرجون ● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جى	● اوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٥/٦٥	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥ ١ ـ رقصة الموت ٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم سارويان	١ ـ أيام العمر ٢ ـ سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ ـ العارض ٢ ـ بيرنيس المصرية
٢/٦٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ـ ٢ ١ ـ المعصرة ٢ ـ اداء الادوار ٣ ـ أبو زهرة بفمه

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٩	البير كامي	حالة طوارىء
١/٧٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ١ ١ ـ حياة جاليليو ٢ ـ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	غرفة المعيشة
٢/٧٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ المستاجر الجديد ٢ ـ اللوحـة ٣ ـ الخرتيت
٢/٧٣	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ السـفر ٢ ـ سهرة الامثال
٧٤	ثورنتون وايلدر	نجونا باعجوبة
٢/٧٥	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٣ ١ ـ تلميذ الشيطان ٢ ـ هداية القبطان براسباوند
٧٦	وليم شكسبير	● الملك لـير
٧٧	وول شوينكا	● الطريـق
٧٨	الكسى اربوزف	● عزيزى مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	زفاف زبيدة
١/٨٠	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ١ ١ ـ مياه بابل ٢ ـ رقصة العريف
٨١	رومان رولان	روبسبيير
٨٢	سـنـكا	● آوديب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/٨٣	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ١ ١ ـ ظمأ ٢ ـ عبودية ٣ ـ ضباب ٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف ٥ ـ فى المنطقة ٦ ـ بدر على البحر الكاريبى
٨٤	جان كوكتو	١ ـ فرسان المائدة المستديرة ٢ ـ الأبناء الأشقياء
٨٥	تيرانس راتيجان	١ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ٢ ـ الممر المضىء
٨٦	فدريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧	كالدرون دى لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	يوريبيديس	١ ـ الفينيقيات ٢ ـ المستجيرات
٩٠	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
١/٩١	جون مليتجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ١ ١ ـ ظل الوادى ٢ ـ الراكبون الى البحر ٣ ـ زفاف السمكرى ٤ ـ بئر القديسين
٢/٩٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ٢ ١ ـ فتى الغرب المدلل ٢ ـ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ـ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميللر	١ ـ كلهم ابنائى ٢ ـ الثمن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٩٤	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢ ١ ـ أوبرا القروش الثلاثة ٢ ـ لوكلوس ٣ ـ بعـل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثينى
٩٦	كارلو جولدونى	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤ ● فتاة فى سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● لخريف ثنائي ● الثغـرة ● لعبة الموت
٢/٩٩	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ٢ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيخ له طريقة ٣ ـ الليلة نرتجل
١/١٠٠	تشيكا ماتسو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ـ معارك كوكسينجا
٢/١٠١	يوجين أونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافق ٢ ـ انا كريستى
٢/١٠٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحرية المغلولة ٢ ـ صعود البطل
١٠٣	وليم شكسبير	مأساة عطيل
١٠٤	جايلز كوبر ، كولين فيتيو	١ ـ الطلبة الشاقيون ٢ ـ قبل يوم الاثنين الموعود ٣ ـ الليلة يوم الجمعة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١٠٥	برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعادة الوزير ٢ ـ الدكتور
١/١٠٦	دنيس جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ ١ القمر في النهر الاصفر
١٠٧	تيرانس راتيجان	١ ـ بينما تسطع الشمس ٢ ـ المهرجـون
١٠٨	فرانسواز ساجان	● ـ الحصان المغمى عليه ● ـ الشوكة
٢/١٠٩	تشيكاماتسو	(من الاعمال المختار) تشيكاماتسو ـ ٢ ● ـ الصنوبرة المجتثة ● ـ انتحار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتى
٥/١١١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع
١١٢	وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	الفونسو ساسترى	● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحـة ● الكمـامـة
٣/١١٥	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٣ مرحلة الواقعية الاولى رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	جان كوكتو	الالة الجهنمية
١١٧	يوهان فلفجانج جيته	جيتس فون برلشنجن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١١٨	جان راسين	ماساة طيبة او الشقيقان فيــدر
١١٩	جان انوى	ليوكاديا
١/١٢٠	جاك اوديبرتى	● الشر يستطير ● الصابرون
٢/١٢١	جاك اوديبرتى	مصيدة النزلاء
٣/١٢٢	بويرو باييخو	اسطورة دون كيشوت ١٦٦٨
٤/١٢٣	بويرو باييخو	حالم العقل
١٢٤	وليم شكسبير	مكبث
١٢٥	جوزيف اوكونر	القيثارة الحديدية
١/١٢٦	ادواردو دى فيليبو	١ ـ عائلتى ٢ ـ الابتهاج
١٢٧	جيمس بروم لين	● الزملاء الثلاثة
١٢٨	برانيسلاف نوشيتش	(من الاعمال المختارة) برانيسلاف ● ممثل الشعب
١٢٩	آرثر ميللر	● الناشزون
١/١٣٠	ايفان سرجييفتش تورجنيف	● العالة ● خيال مرباى
١٣١	روبرت بولت	الكرز الزهر
١٣٢	يوهان فلفجانج جيتة	توركواتوتاسو
١٣٣	الر رايس	● مشهد فى الطريق
١٣٤	وليم كونجريف	● حبا بحب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٣٥	ـ روبرت بولت	● تحيا الملكة
١٣٦	ـ الفريد دي موسيه	● لورنزاتشو
١٣٧	ـ يوجين أونيل ـ ٢	من الاعمال المختارة ● الامبراطور جونز ● الغوريلا
١٣٨	ـ سينيكا	هرقل فوق جبل أويتا
١٣٩	ـ موس هارت جورج كوفمان	دنيا زوال
١٤٠	ـ بيير كورني	ميليت السيد
١٤١	دونا ماكونا	قفزة في الظلام او العجوز المراهق
١٤٢	ـ برانيسلاف نوشيتش	● المستر دولار
١٤٣	ـ جورج كيلي	● زوجة كريج •
١٤٤	ـ كارلوجولدوني	١ ـ التطلع الى المصيف ٢ ـ مغامرات المصيف ٣ ـ العودة من المصيف
١٤٥	ـ فريدريش شلر	اللصوص
١٤٦	ـ ميجيل ميورا	ثلاث قبعات كوبا
١٤٧	ـ جون فورد	القلب المحطم
١٤٨	ـ ت•س•اليوت	جريمة قتل في الكاتدرائية

من الاعداد القادمة

١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤

المؤلف	المسرحية	المترجم
من المسرح الافريقي :		
فرديناند اويونو	الخادم	د. نايف خرما
هارولد كمل	الزنزانة	د. نايف خرما
كويسى كاى	ضحك وصخب في المنزل	د. نايف خرما
كويبناسكي	المتمامون	د. نايف خرما
وول سوينكا	مجانين واختصاصيون	د. علي حسين حجاج
وول سوينكا	الموت وفارس الملك	د. علي حسين حجاج
وول سوينكا	السلالة القوية	د. سليم الاسيوطي
جيمس نوجوجي	الناسك الاسود	د. سليم الاسيوطي
توم اومارا	الخروج	د. سليم الاسيوطي
سام توليماوهيكا	ولد للموت	د. سليم الاسيوطي
من مسرح الخيال العلمي :		
راى برادبورى	عمود النار	رؤوف وصفي
راى برادبورى	الكلايدوسكوب	رؤوف وصفي
راى برادبورى	نفير الضباب	رؤوف وصفي
الم رايس	الآلة الحاسبة	د. طه محمود طه
ج كوفمان ، م.كونيلى	فعلا على صهوة جواد	د. طه محمود طه
من المسرح العالمي :		
ميوريل سبارك	حملة الدكتوراه	د. أحمد النادى
ادواردو دى فيليبو	عيد الميلاد في بيت كوبيللو	د. سلامة محمد محمد سليمان
ادواردو دى فيليبو	اصوات الاعماق	د. سلامة محمد محمد سليمان
تورجينيف	الاعزب ـ الريفية	د. سمية عفيفي
تورجينيف	شهر في القرية	د. سمية عفيفي
بيتر تيرسون	ليلة تبكي الملائكة	الشريف خاطر

تابع من الاعداد القادمة

المؤلف	المسرحية	المترجم
ف. جريلبارتسر	الجدة الاولى ـ سابفو	د. باهر الجوهرى
ب. نوشيتس تولستوى	المرحوم اول من صنع الخمر سلطان الظلام	د. فوزى عطية محمد
كارل تسوكماير	نقيب كوبنيك	د. عبد السلام اسماعيل
يوجين اونيل	الاله الكبير براون	د. عبد الله عبد الحافظ
روبرت بولت	النمر والحصان	الشريف خاطر
شون اوكيس	المحراث والنجوم ـ وورد حمراء من اجلى ـ ظل مقاتل ـ نهاية البداية	فوزى العنتيل حسين اللبودى
شــــلر	فلهلم تل	د. عبد الرحمن بدوى
اليوت	حفلة كوكتيل جريمة فى الكاتدرائية	صلاح عبد الصبور
اريستوفانيس	السحب	د. احمد عتمان
يوريبيديس	عابدات باكخوس ايون هيبولوتوس	د. عبد المعطى شعراوى
يوريبيديس	اندروماخى الطرواديات ايفجينيا فى اوليس ايفجينيا فى تاوريس	اسماعيل البنهاوى

المترجم :

صلاح عبد الصبور ·· من مواليد الزقازيق ج.م.ع. شغل قبل رحيله الى الدار الآخرة منذ شهور قليلة منصب مدير عام المجلات بوزارة الثقافة فى مصر ·· وعمل محررا بكل من الاهرام وروزاليوسف ·· وترأس تحرير عدد من المجلات الثقافية بمصر ·· له ستة دواوين شعر وخمس مسرحيات شعرية · ترجم معظمها الى اللغات الاوروبية ·

المراجع :

د. أمين العيوطى ·· من مواليد القنايات ·· ج.م.ع ·· أستاذ بالمعهد العالى للفنون المسرحية بالكويت ·· له ابحاث ودراسات فى أدب الرحلات ·· وفن الرواية ·· والرواية الواقعية والرومانسية ·· الف روايتين ·· له ترجمة ومقالات فى المسرح الغربى والعربى ·

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الأردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سورية	١٫٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربى	٢ ريال
لبنان	١٫٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

في العدد القادم

حفــل كوكتيــل ١٩٥٠

تاليف : ت • س • اليوت (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥)

ترجمة وتقديم : صلاح عبد الصبور

جوهر **حفل كوكتيل** ينبع من يقين اليوت الديني ، اذ أن موضوعها هو الخلاص • قد تبدو المسرحية في مظهرها « دراما عائلية » معنية بما يكون بين الأزواج من رضا وسخط ، وهجر ووصل ولكن ذلك هـو مجرد ظاهرها البادى ، أما باطنها فديني صـرف • عيـادة الطبيب النفسي قد تكون مقصورة الاعتراف يلعب فيها الطبيب النفسي دور القسيس الذى يرشد مرضاه الى طريق الخلاص ، لهذا لا يتقاضى من سيليا أتعابا ويودعها بأسلوب انجيلي : « اذهبي في سلام يا بنيتي • اعملي على خلاصك بجد » • كما يودع ادوارد ولافينيا بالتبريكـات ذاتها : « اذهبا في سلام • واعملا لخلاصكما بجد • »

الحيرة ، الوحدة ، العزلة ، الاغتراب ، القلق : كلمات يزخر بها الأدب الغربي عامه في القرن العشرين ، في الشعر والروايـة والمسرحية • وفى **الأرض الخراب** نقرأ عـن هـذه الهواجس : عـن « مدينة الوهم » لندن ، حيث

انساب جمهور على جسر لندن ، غفير

ما كنت احسب أن الموت قد طوى مثل هذا الجمع

قد تكون حفلات الكوكتيل مهربا مؤقتا كما في هذه المسرحيـة ، أو جرس الباب نسمعه قبل استدال الستار ، أو طرقة على باب كما في « لعبة شطرنج » في الجزء الثاني من **الأرض الخراب** ولكن اليـوت يقول : « لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسـه » (متى ٢٦/١٦ ، مرقس ٣٦/٨)•

سلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

محمد يوسف الرومي
وكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه
أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث
بجامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الاعلام
ص.ب ١٩٣

في هذا العدد

★ جريمة قتل في الكاتدرائية : ١٩٣٥

تاليف : ت٠ س٠ اليوت (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥) ترجمة وتقديم : صلاح عبد الصبور

في خاتمة مقدمته لاليوت كتب صلاح عبد الصبور :

وانطوت حياة شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس وأسهم بشعره فى صنع حساسية العصر الذى نعيش فيه ، وأثر فى عديد من الشعراء فى مختلف بلاد العالم ٠

وانطوت أيضا حياة مسرحية ، حاول خلالها اليوت أن يعيد المسرح الشعرى الى مكانه ومكانته ، بعد أن كاد الشعر أن يطرد من على خشبة المسرح ٠

وانطوت أيضا حياة نقدية استطاع صاحبها بخطواته ومقالاته النقدية أن يفتح الطريق لتيار نقدى جديد مشى فيه لاحقوه وتابعوه طويلا ٠

وعن المسرحية كتب :

لهذه المسرحية جلالها ٠٠٠ فقد قدمت لنا شخصية « بيكيت » حين تسير من زهو الى زهو ، من زهو المنصب الى زهو مصاولة الملك ثم تختتم بزهو الاستشهاد ، للسبب الصحيح ، وهو أن يكون الانسان جزءا من ارادة الله دون أن يحسب حسابا لعواقب هذا الاستشهاد

